

بقايا حياة أخرى

دار خيال للنشر والترجمة ©
تجزئة 53 قطعة. رقم 27. بليمور
برج بوعريج - الجزائر -
0668779826
Khyaleditions@gmail.com
ردمك: 978-9931-738-28-2
الإيداع القانوني: سبتمبر 2023.

شهيناز دوباىي

**بقايا
حياة أخرى**

الإهداء

...إلى الذين لم يكونوا أكثر من عقبة في حياتنا، لقد واصلنا السير
تاركين إياكم خلفنا، فهل مازلتم في نفس المكان؟ "
"مرحبا، أنت على أبواب نقطة اللارجوع ، تلك النقطة التي عند
وصولك إليها لا أمل لك في العودة أبدا ، وحتى لو عدت منها فلن تكون
أبدا كما كنت.. ما دمت قد جئتَ بقدميك وفتحتَ هذا الباب بيديك
دع كل شيء خلفك، ودعنا نساfer معا إلى عوالم خفية ، تخيل معي أن
من بين ثمانية ملايين شخص في العالم اخترتُك لتكون رفيقي في هذه
الرحلة، سوف نزرع معا أرض قَدَرِ الشمس، إنها أرض تغرب الشمس
عنها مع منتصف الليل ! وحين يحل منتصف الليل.. لن أخبرك بما
سوف يحدث، ستكتشف ذلك بنفسك..."

حيث يتواجدون، تكمن حياة أخرى..

"الجميع كان يكرهني، الكل وقف ضدي، لم يعرني أحد ذرة اهتمام، كنت كالأسير داخل قصر عملاق، لا أهمية لما أقوله أو أعتقده، إنني أمير، والمفروض أن كل ما يخرج من لساني هو مسموع منقذ، لكن الأمر لم يكن بتلك البساطة، ألا يقولون أن الأمهات يحبن أولادهن رغم كل شيء، وأن للأطفال منهن حب لا مشروط ولا متناهٍ؟ حتما كنت استثناء ضمن هذه المقولة، فحتى والدي لم تعاملني كما أردت، لم تسقني يوما من حنانها، ولم تُدْفِ يوما أناملها جسدي البارد، ربما لو كان والدي حيا كان قد اختلف الأمر، ربما كنت رجلا حقيقيا، فما فعلته بالمرأة الوحيدة التي طرقت بعنفوانها أبواب قلبي لم يكن أبدا من شيم الرجال، هي أيضا لم تهتم قط بي.. على الرغم من أنني لم أعرف سبيلا لأنثى غيرها منذ شبابي إلا أن ذلك لم يكن يحرك فيها شيئا البتة، على الرغم من النار التي كانت تتقد داخل قلبي، فقد كانت تقف أمامي كموجة البحر الهادئة، فعلت كل ما بوسعي لكنها لم ترني، كنت أعلم في أعماقي أنها لا تريدني، وأنها ترى في وجهي صورة لوحش سكير لا سكينه معه.. وأنها مجبرة على البقاء معي بسبب العادات لكنني لم أستطع الابتعاد عنها، البقاء معها رغما عنها كان كالترياق الذي يخفف من حدة آلامي، حتى لو كانت كميته محدودة، فذاك كان أرحم بالنسبة لي، ها أنا ذا أنني ما بدأت، أرجو أن يتذكرني أحدهم بصورة أجمل من صورة السكير الحقيير يوما ما.. "

وضع قلمه أخيرا، ثم نظر إلى نفسه في المرآة للمرة الأخيرة، انزلقت من بين شفتيه ابتسامة باهتة تنم عن الكثير والكثير.. تحرك متجها إلى الباب دون أن يشعر وغادر غرفته، وكأن روحا خفية تتحكم به..

اجتاز طوابق القصر بتناقل شديد ونزل إلى غرفة الغسيل، آخر مكان قد يخطر ببال أحدهم أن يبحث عنه فيه، أخرج من جيب ثيابه قطعة زجاجية كان قد احتفظ بها بعد أن قام بكسر قارورة النبيذ، وأحدث في يديه جرحا بليغا، كان يعتصر من شدة الألم، لكنه لم يكثر له، استغل تدفق دمائه بغزارة، وكتب بواسطتها جملة وسط الحائط وهو يكابد آلامه، ثم استند على ذلك الحائط محافظا على توازنه، نظر إلى الزجاجاة بتعمق وهو يحكم بقبضة يده عليها بقوة لم يشهدها على نفسه من قبل، فما كان يتحكم به كان أقوى منه بأضعاف المرات ، اغمض عينيه في برود وأخذ يمرر تلك الزجاجاة على جرح يده، دون أن يصرخ صرخة واحدة.. كان يتلذذ بتعذيب نفسه، وكأنه يعاقبها عما سلف، عن كل ما قام به.. وقع على الأرض وهو يئن في صمت لاهثا بأنفاس متقطعة، كان يرغب في إغلاق عينيه بشدة لكنه لم يرد فقدان الوعي قبل أن ينتهي مما ينوي القيام به، فبعدها سيرتاح وإلى الأبد، أمسك بجانبي أقرب طاولة إليه ، وحاول الوقوف مجددا، ونجح في ذلك، أحضر كرسيه ووضع على تلك الطاولة، صعد بعد أن أحكم ربط الحبل في سقف المغسل، وقبل أن ينهي حياته بيديه قام بشق جرح يده أكثر وأكثر، حتى يتسنى لدمائه أن تنزف

ببطء بينما يختنق، رمى الزجاجاة من يديه أخيرا، ووضع رأسه داخل
فجوة الحبل مغمضا عينيه لآخر مرة :
_ هذا من أجل أماريليس، حبيبتي وملكة قصوري، ربما سيختلف
الوضع يوما ما في العالم الآخر، ربما ستحييني..
وكانت تلك آخر جملة له..

قبل ذلك بستة أشهر..

" أرق "

" قد يحدث وأن نحس أن المرء يلاحقنا ، دون أن نفتش في ثناياه

عن السُّكر.."

داميان

_من هنا ؟ أحتاج أحد المساعدة؟

_أما من أحد هنا؟

تراجع بضع خطوات للخلف ..

منذ دقائق وهو يقف على حافة الجسر المؤدي إلى بحيرة "نارسيس" وينادي أحدهم رغبة في المساعدة ، لمح على إحدى الصخور ثيابها الأثوية مرمية بإهمال فظن أن إحداهن قد أصابها مكروه هنا، في الغابة وأثناء الليل.. فبينما كان جالسا تحت إحدى الأشجار الكبيرة، سمع صوت ارتطام شيء بالمياه.. وهاهو يحاول معرفة سبب هذا.

_ هل هناك من هنا؟ يعيد السؤال بصوت أشبه إلى الهمس..

لا جواب..

نزع قميصه بخفة، وبينما كان على وشك القفز في البحيرة خرجت من الماء كالحورية ، هدوء دام لثوان .. لقد عرف من تكون تلك .. لكن بالنسبة إليها فقد انتفض قلبها من مكانه حين رآته فجأة ، شاب طويل القامة، عريض الكتفين، ومن وقع الصدمة لم تتبين ملامح وجهه..
_من أنت؟ وماذا تفعل هنا؟ ولماذا تنظر إلي في صمت؟ سألت وهي لا تزال في الماء.

_هل علي أن أجيب على ثلاثة أسئلة في إجابة واحدة؟ أعتقد أنني
الجدير بسؤالك عما تفعله فتاة هنا في مثل هذا الوقت؟
_وما شأنك أنت؟ هل أنا مجبرة على تقديم توضيح لغريب؟
_كلا، لكن عليك القيام بذلك مع والدك.. ألسنت ابنة الملك الأميرة
أماريليس؟

تجمدت الدماء في عروقها وسط برودة المياه، كيف عرف ذلك،
إنه يعرف من تكون ..

_تحاول أن تراوغ معي بالكلام؟ أرجو منك المغادرة، وأن تسمح لي
بارتداء ملابسِي..
_أنتِ فضة !

_وما الذي تريدني أن أقوله لشخص يقف أمامي دون قميص؟
_اهدئي، لقد اعتقدت أن أحدا ما بحاجة إلى المساعدة، وكنت
على وشك القفز في الماء، وجدير بك أن تعلمي أنك من أفسدت علي
جلستي تحت ضوء القمر.

_بما أنك تعرف من أكون، فهذا يعني أنك تعلم أنني لن أسمح لأي
مخلوق أن يتناول علي بالكلام، أليس هذا صحيحا؟
بدا له تهديدها سخيفا للغاية، فقرر وضع حد لها:
_فلتضعي تهديدك الورقي جانبا من فضلك، فهذا يضحكني بدل
أن يخيفني.

_أنت لا تعلم ما الذي قد أفعله بك! صرخت
_هيا ، فلتريني ما الذي أنتِ قادرة عليه، أنتِ لا ترتدين ثيابك
حتى ! قال وهو يحمل فستانها بين يديه ساخرا منها.

_أيها ال.. فلتعد إلي ملابسي حالا!
_وإن لم أفعل؟ هل ستأتين لأخذها بنفسك؟
استشاطت غضبا..

_هل تتفاخر بالتَّقَوِّي على امرأة؟ كم أنت ضعيف!
_هذا لتحترمي نفسك، حضرة الأميرة، أنتِ وأمثالكِ تعتقدن أنكن
محور الكون، فقط لأنكن ولدتن حسناوات ثريات، بدل أن تشكري
شخصا أراد المساعدة، ها أنتِ تتعجرفين!

_هل تحاول إلقاء اللوم علي!
_اللعنة! أكنت المخطئِ إذن؟

_حسنا، ربما أردت المساعدة، لكن وكما ترى فلا أحد يحتاجك في
شيء هنا بإمكانك المغادرة، أنا لا أتبين ملامحك حتى، ولتعد الثياب
لمكانها لو سمحت، قالت وقد تسلل شيء من الخوف إلى قلبها.
كتم غضبه بكل ما أوتي من قوة، حمل آلة الناي خاصته وغادر
البحيرة مباشرة.. لو ظل لدقيقة أخرى لتناسى أنها أميرة، بل وأنها
امرأة، امتطى حصانه وغاب بين أشجار الغابة وتوارى عن أنظارها..
_اللعنة على ظلام الليل، كيف استطاع معرفتي بيد أنني لم أستطع
معرفته؟ لكن صوته ليس بالغريب عني، ترى من يكون؟
قالت في نفسها..

فلاش باك لتلك الليلة..

...مستلق وقد رمى بثقل جسده في البحيرة، لم يعد يظهر منه غير وجهه، ينظر إلى السماء وعيناه تضيئان بشيء لا اسم له، وقد غلب اليأس على ملامحه..يحاول التحرك بكل ما أوتي من قوة، لكن لا جدوى، يغمض عينيه فاقتدا الأمل .. ليفتحها مرة أخرى فيجد نفسه ملقاً على أرضية صلبة يحيطه الظلام بها من كل صوب، لا نور غير ذلك النور الذي تسترقه الغرفة من قضبان نافذة صغيرة موجودة أعلى الحائط، يحاول معرفة ما الذي يحصل له ، يحاول تذكر السبب الذي جعله في هذه الحالة، يحاول تذكر أي شيء، لكن هيهات، ليقاطع شروده انفتاح باب الغرفة على مصراعيه، يدلف إليها شخصان ذوا بنية قوية، مكبلا اليدين بالي الثياب يُجرُّ إلى الخارج ، كان يشعر أن أشعة الشمس تحرق جلده والحصى تؤلم قدميه الحافيتين، يسوقه العملاقان إلى خشبة تشبه خشبة الإعدام، بل إنها خشبة إعدام يركعه الرجلان مجبرا، ويضعان رأسه فوق مجسم حديدي، وقبل أن يهوي الجلاد على رقبتة بالسيف كان يسمع آخر عبارة : " الجزاء.. إنه العدل يا داميان" ..

...انتفض كالعادة من مكانه مما كان يراه أثناء نومه، جبين متعرق ونبض متضارب كما جرت العادة، أخذ كأسا من الماء أثم اعتدل في جلسته، إنه نفس الكابوس الذي أصبح يلزمه منذ شهور. أصبح معتادا على ذلك الآن، ولم يعد مفزوعا منه كما كان في بادئ الأمر لكنه دائما ما يطرح على نفسه ذات السؤال بعد أن يراه: ما قصة

هذا الكابوس؟ وما المغزى من أن أرمى في بحيرة نارسييس ثم أجزّ حافي القدمين إلى ساحة الديوان؟
وما المعنى من أن يتم إعدامي، والشيء الأهم: ما المقصود بعبارة إنه العدل يا داميان؟

هذه المرة داهمه شعور غريب، مع أنه لم ينم إلا منذ ساعتين إلا أنه شعر وكأنه نام لمدة طويلة، لساعات، بل لأيام، أحس أنه في لياقة بدنية تامة، ونشاط كبير، نهض من سريره وتوجه نحو شرفة جناحه كل شيء يعمه السكون الحرس يؤدون نوباتهم الليلية، وبعض الأحصنة مربوطة قرب بوابة القصر، أما النافورة فتسبح في هدوء الليل. إنها الساعة الثانية بعد منتصف الليل، أي بعد الغروب بساعتين .. يشعر ببعض الضيق يعتليه، إنه ليس بخير إطلاقاً هذه الليلة..

_ أهذا بفعل المشروب؟ قال لنفسه.

_ أستحق هذا، ما الذي دفعني إلى مشاركة ثيودور في الشرب، لم أتذوق النبيذ منذ مدة طويلة، المفروض أن أشعر بالإرهاق لأن أكون نشيطاً هكذا، أضاف.

أخذ حماماً وبدل ملابسه على وجه السرعة، ثم خرج من جناحه، اجتاز ممرات القصر ثم أغلق البوابة الداخليه واتجه إلى الفناء الخلفي، أين يمكث حصانه، ليمتطيه ويغادر القصر متجهاً إلى الغابة أين اعتاد أن يرتاح كلما شعر بالضيق، هذه المرة كان مشتت الأفكار أكثر من اللازم، فقط القليل من الهواء النقي وسينتبي كل شيء..

أماريليس..

...في زاوية تصلها إضاءة خفيفة آخر الجناح، تكومت على مكتب الكثير من الكتب والمراجع القانونية، أوراق دُونت عليها معلومات: أحدهم متهم بسرقة أحد مخازن القمح ، اعتداء على أحد الفلاحين مع بزوغ الفجر، ديون تعذر على صاحبها الدفع... وغيرها، وبين أحد الأوراق تجمعت معلومات حول قصة فريدة نوعا ما مقارنة مع الأخريات: مقتل عجوز سبعينية في ظروف غامضة، أين وجدوها مرمية خلف كوخها، ولا أحد يعلم من الفاعل..

أمسكت بجانبى رأسها، إنها تعاني من حالة أرق، الكثير من الأحداث تتضارب داخل جمجمتها ، طبعا فأن تكون المسؤولة الأولى عن القضاء في بلدها فليس هذا بالأمر الهين، كانت أكثر من تمعق في دراسة هذا المجال من بين جميع أبناء جيلها، لم تصل إلى هذا المنصب لأنها ابنة الملك، ولا لأنها عاشرت أميرات السلالة الحاكمة. كان ذلك لأنها أكثر دراية بالقانون النولاني لبلدها، هاهي اليوم تتربع على عرش الديوان وتترأس العمل هناك، ما جعل وقت الراحة لديها شبه منعدم، أضف إلى ذلك مشاكلها الشخصية مع خطيبها ، إنه ليجاي: ابن عمته الذي عقدت خطبته معها ما إن بلغت سن الثامنة عشرة، إلا أنها ومع تقدمها في السن أصبحت تشعر بقيود تلك العلاقة، التي لا تشعر فيها لا بالحب، ولا بالسعادة وهي اليوم، تتضرع لآلهتها بأن تعفيها من هذه المسؤولية ..

إنها تحس أنها ليست على ما يرام، صداع غير محتمل أصبح يلزمها منذ أيام والأرق أصبح أنيسها، مع أنها أخذت أسبوعاً كاملاً أجازة لكن هذا لم يؤد إلى نتيجة على الأغلب ، تتراجع ببطء بكرسيها إلى الخلف وتهض متجهة نحو السرير إنها الآن ترغب في ملازمة السرير لمدة طويلة راغبة في الراحة والنوم. ارتمت في فراشها وراحت تتقلب يمينا وشمالا ترى ما الحل؟ تهمس لنفسها، تلاعب خصلات شعرها البني الطويل.. وترمي بنظر عينيها العسليتين إلى سقف الغرفة على الأغلب لا سبيل للراحة هنا الليلة، إنها تعلم ما الذي سوف تفعله سبق وأن قامت بذلك ، لكن ليس في هذا الوقت.

_فليكن، القليل من المجازفة يجعل الأمر أكثر إثارة! قالت
انتفضت من مكانها لترتدي شيئاً واجتازت طوابق القصر بخفة توقفت عند إحدى الغرف في الطابق السفلي أين دفعت ورقة تحت باب الغرفة ودقت دقة خفيفة.. " أنا مغادرة ، قم بالتغطية علي إن تتطلب الأمر! " كان ذلك محتوى الورقة ، البوابة الداخلية، الفناء إصطبل الأحصنة ، "قاتم" ..إنه حصانها الوحيد والمفضل، لم تجد الأميرة نفسها إلا وقد امتطت حصانها متوجهة إلى وجهتها المفضلة في مثل هذا الوقت، عليها تستنجد منها بعض الطمأنينة دون تفكير في العواقب..

في ديوان المملكة، العاشرة صباحا..

_ هذا أمر لا يعقل، الجميع يعلم أن قانون قدر الشمس لا يتساهل مع أحد ومع ذلك أرى هذا الشهر هذا الكم من المخالفات! لا أصدق هذا.

_ الأمر خرج عن طورنا سيدتي، وخاصة بعد مقتل تلك العجوز، لا أحد يصدق أننا لم نجد الفاعل حتى الآن، البعض يعتقد أننا نتستر على القاتل، إننا نواجه جماعات من عشرات المواطنين النولانيين يقومون بحملات مطالبين بحق تلك المرأة..

_ ما الذي تقوله يا يمان؟ لماذا ليس لدي علم بذلك؟ ولمّ لم تتدخل قوات الحرس في الأمر؟

_ الجميع يتضامنون بهذه الطريقة لإخراج الحكومة عن طوعها يريدون إخضاعنا والتعجيل من موضوع العجوز، أضف إلى هذا الكثير من المطالب والشكايات التي وصلت هذا الأسبوع إلى الديوان، لقد وضعت جميعها في القسم السفلي لكي تؤخذ بعين الاعتبار..

_ أنا لا أصدق، كل هذا حدث بسبب أسبوع تغيبت فيه عن العمل، ماهذا التساهل يا يمان؟ الست يدي اليمى هنا؟ كان عليكم إخباري بسوء الوضع رسول القصر نور يأتي إلى هنا غالبا لاستلام طرودي وبرقياتى، ما حجتك؟

_ لم نشأ إفساد إجازتك سيدتي، كما أن الأمير "داميان" على علم بكل شيء لقد أتى مساء السبت الفارط وأعلن أنه سيتكفل بالأمر بما أنك متغيبية، كما قال أنه سيناقش الأمر مع والدك شخصيا نظرا لأنك..

_لأنني ماذا؟

_نظرا لأنك مهملة لعملك..

_ما الذي يقصده بمهملة؟ ألم يعلم أنني في إجازة لأنني بحاجة إلى الراحة! من أعطاه الحق لقول ذلك، كما أنه نادرا ما يأتي للديوان.

_أنا لا أعلم المزيد من التفاصيل سيدتي.

شعور بالغضب ونزعة من النرجسية أصابتنا أماريليس، كيف للأمير داميان أن ينعتها بالمهملة وهي المسؤولة عن كل شيء هنا، لا يمكن لأي كان أن يهينها مهما كان مقامه..

_يمان، فلتخبر جميع أعضاء مجلس الديوان أن هناك اجتماعا استثنائيا هذا المساء، بما فيهم الأمير داميان، والحضور إجباري، قالت وهي تغادر القاعة بعنفوان.

_سوف نرى من هو المهمل!

في قصر عائلة كوروليو النبيلة في نفس الوقت..

_ اه، انتبه أيها الولد.. أرى أنك أصبحت تبلي حسنا.. كاد السيف أن يقطع رأسي!

_ أنت لم تر شيئاً بعد يا داميان، دعني أظهر لك المزيد وستركع طالبا مني أن أرحمك.

_ أعتقد أن تلك الكتب الفلسفية التي أدمنت عليها قد غيرت أسلوب كلامك لقد أصبحت حكيما يا ولد! اه انتبه.

_ لا علاقة لهذا بتلك الكتب، إنها نتيجة طبيعية أن نتغير مع مرور الزمن، إنه قانون الطبيعة.

_ أي قانون هذا؟ أنت لم تتجاوز سن السادسة عشرة بعد ، أنت مضحك يا كونال.

_ ربما، لكن هذا لا يعني أنك تستطيع التغلب علي في مبارزة السيوف.

_ أنا أتحداك وهذا السيف في يدي أنك لا تزال طفلا ساذجا طغت عليه الأفكار الأدبية.

_ أنا لست طفلا!

_ أنت كذلك، أرى أنك ركزت مع المناقشة ونسيت أنك في مبارزة سيوف دون أن تنتبه!

_ ماذا؟

والضربة القاضية..

وقع سيف الصغير كونال وانتصر الأمير داميان، كونال هو ابن عم داميان المتوفي ، يعامله كما يعامل أخاه الأصغر ثيودور، فعند وفاة

عمه ، تزوج والده من زوجة أخيه نظرا لأن زوجته الأولى توفيت منذ مدة طويلة، فعاش الأولاد معا منذ ذلك الحين.

_أنت فعلا شيرير، قال كونال متظاهرا بالاستسلام.

_أعلم ، شكرا، لكنني على الأقل أفوز في مبارزات السيوف منذ أربع سنوات.

_كفالك مبالغة حضرة الأمير، مبارزة السيوف لا تثبت أنك الأقوى تدخل ثيودور وهو قادم من بعيد يجر أطرافه وعلامات الإرهاق بادية عليه.

_وما الذي يثبته النوم إلى هذه الساعة يا أخي العزيز؟ قال داميان بتهكم

_اوه أنت تعلم أنني لم أنم مبكرا ليلة أمس.

_لا تذكرني بليلة أمس، تمنيت لو أنني سحقت يدك التي أمدت إلي بقدرح النبيذ، هل لي أن أعرف لماذا تبدو كالمتشرد ؟
_في الحقيقة ..

كان ثيو على وشك الكلام حين انتبه إلى أن كونال لا يزال هناك.

_كونال عزيزي ، ما رأيك أن تذهب لتطالع إحدى خرافات الآلهة إنه أمر مسل، أليس كذلك؟

_هل تظنني مغفلا؟ أعلم أنت تريد انصرافي لتخبر داميان عن نزواتك الغرامية وعن حفلاتك الصاخبة في الحانات.

_تبا ! من أخبرك بهذا؟ أهو سام؟

_ذلك المسكين لم يخبرني، بل على العكس، أعلم أنه يغطي أعمالك حين يسأل أبي عنك، أنا صغير لكنني لست غيبيا بالمناسبة.

لم يستطع داميان كبح نفسه من صدمة ثيودور بما يقوله كونال فانفجر ضاحكا وطلب من الصغير أن ينصرف ليكمل الشبان الحديث..

_حسنا، سأغادر، لكن في المرة القادمة لا تذهب ليلا بالفرس البيضاء يا ثيو أعلم أنك تعشقها لكنها بطيئة جدا، لا أنصحك بها. لم يدع له ثيو فرصة لإكمال تهكمه حتى انتفض من مكانه ملاحقا كونال الصغير الذي فروسط ضحكات داميان، جو تعمه السعادة والأخوة ..

في تلك الأثناء جاءه سام، رئيس الخدم والذي دائما ما اعتبر الأمراء كأبناء له..

_أيها الأمير، أنا هنا بمرسوم من الجلاد .

_الجلاد؟ مالذي تقصده؟

قال رئيس الخدم وهو يفتح البرقية التي كان يحملها في يده: "بأمر من الأميرة أماريليس، المسؤولة الأولى عن القضاء في أرض قدر الشمس، أرجو حضور الأمير داميان كوروليو إلى الديوان بصفته عضوا في مجلس الديوان، اليوم على الساعة الرابعة مساء لمناقشة بعض الأوضاع العاجلة، الحضور إجباري.."

_هذا ما كان ينقصنا، ما خطب هذه الفتاة، وما هذه النبوة المستفزة في البرقية؟ لم يسبق لأحد أن عقد اجتماعا بهذه السرعة .

_لا تفاصيل لدي، رسول القصر هو من جاء بهذه الرسالة.

_فلتذهب هي وأوامرها إلى الجحيم! وكأنني لا أملك الخيار.

_أعتقد أنه لا خيار لك حقا، إما أن تنصاع للأوامر وتذهب إلى
جلادك، أو أن تتظاهر بالقوة وتجعل الجلاد يأتيك إلى هنا رغبة في
سفك الدماء. غلبته في هذه الأثناء ضحكة عفوية.

_سام أعتقد أن هذا أمر مضحك؟ إنها حقا لا تحتمل، دائما ما
تتظاهر بالجدية، وإنها لا تخطئ.

_وهل تعتقد أنها عكس ذلك؟

..تذكر ذلك الموقف الذي جمعهما..

_دعك من هذا، إنها قصة طويلة سأحكها لك لاحقا...

في الديوان.. الساعة الثالثة وخمس و خمسون دقيقة..

اجتمع ستة من الأعضاء في ديوان القضاء للممكلة بطلب من الأميرة أماريليس، وكان من بينهم داميان الذي جاء على مضض، والتزم الصمت منذ أن وصل، دائما ما كان يتفادى القدوم إلى الديوان، فقط لأنه لا يحتمل النزعة التأمرية التي تخاطب بها الأميرة الأعضاء، بدلا من ذلك كان ينجز أعماله من القصر ويرسلها إلى هناك، لكن اليوم استثنائي، كان يعم الجو نوع من التساؤل والاضطراب حول سبب هذا الاجتماع الطارئ، وبينما كان الجميع يتهمسون فتحت البوابة على مصراعها، ودلفت الأميرة إلى الداخل في تعالٍ.. وقف الجميع احتراما لها عداه هو الذي ظل ساكنا مستقيما في جلسته، لم تعره بدورها اهتماما ومرت من أمامه كنسمة الهواء، وبعد أن ترأست الطاولة..

_ حسنا، أعلم أن الجميع يتساءل عن سبب هذا الاجتماع الطارئ.. أنا أعتذر لكن لا حل آخر مع الأسف الشديد، وليس بإمكاننا الانتظار حتى الموعد القادم الوضع أصبح طارئا وخطيرا وقد خرج عن سيطرتنا، طبعاً، الجميع يعلم بحادثة مقتل تلك المرأة في تلك الظروف الغامضة، كل جهود قواتنا باءت بالفشل، ولم نجد الفاعل حتى الآن الأمر الذي أزعج عامة الشعب.. يرون هذا إهمالا منا وتغافلا عن ظروف الناس، كنتيجة، الشغب في تزايد، الشكايات كذلك، وكل هذا حدث في أسبوع واحد.. أسبوع أيها السادة، أسبوع تغيبت فيه عن العمل لأجد كل هذا يحدث.. هل يستطيع أحدكم أن يشرح لي الأمر؟

_نحن نراجع الأمر حضرة الأميرة ، أما بخصوص الشكايات فقد أخبرنا الجميع أننا سنأخذها كلها بعين الاعتبار، ونحن نعمل على ذلك بالفعل ..

_الوعود لا تكفي سيد غازي، أم أنكم هنا تكتفون بتلك الوعود الكاذبة التي تخبرون بها الناس، ثم تهربون من المسؤولية ؟ قالت هذا بنبرة تحدٍ وهي تنظر إلى داميان، وقد فهم هو تماما معنى تلك النظرة ذلك أنه مدرك لأنه قد وعد يمان بحل الأمور لكنه انشغل الفترة الماضية بوظيفته الأساسية، والتي تدور في ميناء البلدة أين يهتم بحمولات السفن والبضائع المصدرة والمستوردة، لاذ بالصمت وكأنه لا يهتم أبدا برأيها وبما تفكر فيه.

_سيدتي الأمر ليس بيدنا ، قال أحد الحاضرين بنبرة أسف، لقد قمنا بكل ما نستطيع فعله، لكن القاتل ذكي وخبير، وقد خطط لكل شيء، لم يترك أي دليل يثبت هويته.. كما أننا نحاول قدر الإمكان دراسة تلك الشكايات أيضا، القسم السفلي للديوان يعج بالعشرات منها وقد كلفنا أشخاصا إضافيين بذلك لننتهي في أقل مدة ممكنة.

_أنا لم أجمعكم اليوم لتخبروني بما أعلمه مسبقا، لا أريد كلاما على الورق هؤلاء الناس هم مسؤوليتي، وعلي التصرف وفقا لذلك..

ثم لم تدع الفرصة لأحد بأن يتكلم وأكملت:

_منذ الغد، ستكون فرق تنتشر عبر مقاطعات المملكة لتسجل كل ما يحتاجه الناس، لا تنسوا أن خزينة المملكة تحت أيدينا، ثم يجب أن تضاعف جهود عمال الديوان، وأن نعمل بأقصى سرعة، لن ننام لن نأكل ولن نشرب إن تطلب الامر، سينشر هذا نوعا من الصبر بين

المواطنين، وبخصوص قصة الجريمة تلك، سنلقي خطابا الثلاثاء المقبل لنبين فيه موقفنا من هذه القضية، وأن الأمر ليس بيدنا، وبهذا نكون قد أسقطنا كافة التهم الموجهة إلينا لنواصل أبحاثنا حول الموضوع بأريحية أكبر.

_فكرة سديدة أيتها الأميرة، ولكن، من منا سيقوم بالخطاب؟

هل أنتِ من سيفعل ذلك؟ سأل أحدهم .

_كلا، لن أقوم بذلك.. قالت بخبت رافعة حاجبها الأيسر، بل إنه

الأمير داميان، ثم ابتسمت...

انتفض داميان من مكانه متفاجئا، وكأن أحدهم سكب قدحا

باردا من الماء عليه، ما معنى أن تختاره هو بالذات للقيام بذلك..

" ضع هذه المتعجرفة الغبية عند حدها، إنها تحاول إهانتك أمام

الجميع!" قال لنفسه..

حاول الرفض وأن يجعلها تسحب كلامها، لكنه تراجع في الدقيقة

الأخيرة رمقها بنظرة تشي بالرغبة في الانتقام، وقرر أن يجعل ذلك

لصالحه.

_حسنا إنه من دواعي سروري أن أقوم بذلك، قال متظاهرا

بالاستسلام.

لم تتوقع منه تقبل الأمر بسهولة، فزاد هذا من غيظها..

_أعتقد أن هذا كل شيء، شكرا على قدومكم، بإمكانكم المغادرة،

قالت منبهة الاجتماع بحركة من يدها.

همّ الجميع بالخروج ومن بينهم الأمير، والذي كان غاضبا من ما فعلته الأميرة للتو، وقد وضعتة بهذا تحت الأمر الواقع، من هي حتى تأمره؟

_أمير داميان!

جاءه صوتها خلفه وهو على وشك الخروج ، فعاد أدراجه .

_ماذا تريدان؟

لم يعجبها أسلوبه ..

_لا تقلق فأنا إن أردت شيئا على العموم فأنت آخر شخص قد

الرجأ إليه.

حاول كتم غضبه..

_سألتك ماذا تريدان؟

_حسنا ، ما رأيك أن تخبرني عن ما أخبرت به يمان؟

_ما الذي تقصدينه؟

_حبا بالآلهة لا تتظاهر بالغباء ، تبا لك ! أأنت من تنعتني

بالمهملة؟ لا تنكر فأنا أعلم أنك فعلت ذلك.

_ولم قد أنكر، قال بتهكم، إنها الحقيقة ، بينما كان الجميع يعمل

ليل نهار هنا كنت أنت تستمتعين بإجازة ، ماذا يسهى هذا إن لم يكن

إهمالا؟

اشتاطت غضبا..

_وماذا يسهى أن تعد بحل الأمور ولا نجد سوى الكلام؟ أليس هذا

أيضا إهمالا؟ أم أني الوحيدة التي يجب أن تعمل ليل نهار هنا؟

لم يجد ما يقوله فهو يدرك أن هذه حقيقة.. فأكملت كلامها
مستغلة صمته:

_كوني المسؤولة الأولى عن القضاء، لا يسمح لك أن تجعلني أقوم
بكل شيء لوحدي حضرة الأمير.

خرج الامير عن طوعه..

_هذا يكفي! لقد أخبرتك أنني سأتولى الاهتمام بالأمر وسأفعل ذلك
حتى ذلك الحين أرجو منك عدم إزعاجي باتهاماتك المملة وتهديداتك
الورقية .. رمقها بنظرة لم تفهمها وغادرتاركا إياها خلفه وسط موجة
من الغضب..

_تهديدات ورقية؟ أين سمعت هذه الكلمة يا ترى؟ سألت نفسها..

في ظهيرة اليوم التالي..

في جو يتسم بالهدوء والجمال، بعيدا عن صخب أسواق المدينة وشوارعها سماء زرقتها فيروزية ، أشجار تعالت أغصانها لتتشابك في السماء، زهور ونباتات عطرية مقلمة عبقت برائحها المكان، عشرات من الفراشات يتجولن هنا وهناك مجموعات من النحل تهلن من الرحيق ما تهل لتعود بغنائمها إلى الخلايا، القليل من الأرنب تقفز هنا وهناك، الغزلان .. حتى الغزلان أخذت تتجول بين الأشجار، ولن يكتمل هذا الجمال إلا بتلك العصافير التي تعزف ألحانا موسيقية ترتاح لها الأذان قبل الأعين مع ذلك البريق الذي ينتشر في الهواء ، كان من النوع الذي يمكنك رؤيته بعينيك، فبينما تنتقل من مكان لآخر، بإمكانك ملاحظة حبات اللجين التي يحملها معه، أين يمكن أن ترى أجزاء من الفضة في الهواء؟ لكنها الأرض العجيبة حيث كل شيء ممكن .. كل شيء كان جميلا في غابة راما، تلك هي أجواؤها المعتادة، إنها قطعة من النعيم سرقتها " أفروديت " وأهدتها لهذه المدينة العجيبة..

منذ حوالي ساعتين والعائلة الملكية جالسة بامتعتها تحت ظلال إحدى الأشجار الضخمة، إنها جولتهم الأسبوعية كما جرت العادة، متخذين من المكان ملاذا للراحة والاستجمام، دائما ما كانوا ينقسمون، موكب السيدات يجلس تحت الأشجار وموكب الرجال يمارس هوايته المفضلة، صيد الغزلان..

_عزيزتي ناستيا، لماذا لا تتجولين مع هيرا في الغابة قليلا؟ الجو رائع اليوم لا تفوتوا فرصة كهذه ، قالت مالين زوجة أخ الملك.

تتظاهر المراهقات بعدم الانتباه ..

_ألا تسمعانني؟

_شكرا أمي، نحن نفضل البقاء هنا، المكان جميل. تقول هيرا.

_أه من تفكيركن، لو كنت في سنكن لما فوتُّ هذا أبدا .

_حسنا خالتي مالين ، لم يفتك شيء، بإمكانك الذهاب للتزهر ولعب

الغميضة إن أردتِ ، أقسم أن لا أخبر عمي بالأمر. قالت ناستيا، بينما

انفجرت هيرا وأماريليس والملكة بالضحك. هن يعلمن كم هي خبيثة

مالين، ولهذا لا يفوتن فرصة للنيل منها.

_أمي ، لماذا لم ترافقنا عمتي اليوم ؟ إنها تحب التنسم بهواء الغابة.

سألت أماريليس والدتها الملكة.

أفروديت: ألهة الجمال لدى الإغريق قديما

_إنها متوعكة قليلا، هي تتمنى لنا جولة ممتعة.

صمت ساد لثوان..لتقطعه مالين بأسئلتها المعتادة:

_ولماذا لم يأت ليجاي إلى الصيد اليوم يا أماريليس؟

_لا أدري ، لعله مشغول قليلا، إن كان يؤسفك عدم مجيئه فيجب

عليك أن تسأليه بنفسك خالتي مالين .قالت بنظرة قوية.

_أيعقل أن لا تعرفي؟ أجابتها: إنه خطيبك، من المفروض أن لك

علما بكل حركاته .

بدأت أماريليس تشعر بالاستفزاز .

_كونه خطيبي لا يعني تحكمي به ، ليس لي الحق في ذلك ولا يملك

هو الحق في هذا، لكنني كنت أتمنى أن أعلم السبب في عدم مجيئه

لكي أخبرك به ، أخشى أن لا تستطيعي النوم هذه الليلة من شدة

الفضول.

شعرت مالين بالخجل من تصرفها، وساد الصمت ثانية..

_عزيزتي أماريليس ، بإمكانك التنزه قليلا إذا أردت، قالت والدتها

رغبة منها في إنهاء هذا الحديث الحاد كي لا تتعقد الأمور أكثر، هي

تعرف نوايا مالين جيدا، كما تعرف ابنتها أكثر، لم تكن لتصمت أمام

تطفل زوجة عمها المستمر، فلم تجد الأميرة إلا أن تنصاع لأوامر

والدتها..

_من أنت؟ وماذا تفعل هنا؟

_أنا من عليه سؤالك عما تفعلينه هنا ..

_لست مجبرة على التوضيح لك!

_ أنت أماريليس ابنة الملك أليس كذلك؟

_ أرجو منك المغادرة الآن !

...هذا ما كانت تفكر به الأميرة، فبينما كانت تتجول وصلت إلى البحيرة، تذكرت ذلك الغريب الذي رآها دون ثيابها تسبح ليلا هناك ، لم تتعرف على هويته بعد احمرت وجنتاها كثيرا، تمننت أنها لم تهرب إلى هنا تلك الليلة ، فلم يكن شيء من ذلك قد حدث..

_ أحمق! قالت وهي على وشك العودة إلى مجلس السيدات، أين

سمعت صوتا يشبه الأنين يأتي من مكان ما ...

أرادت أن تعرف مصدر الصوت فقررت تتبعه ، تقدمت خطوات بين زهور عباد الشمس حتى وصلت إلى مصدر الصوت .. كان أرنباً حديث الولادة وكان مصاباً بجرح صغير، مرمياً بين الأعشاب والزهور..

_ أوه يا صغيري، من الذي فعل بك هذا؟

حملته بين يديها برفق شديد وهو لا يزال يتألم خائر القوى ..

_ أيعقل أن أحدهم أصابك وهو يصطاد ؟ لا تقلق يا صغيري ،

سوف آخذك معي الآن ، كل شيء سيكون على ما يرام..

وانطلقت بعدها عائدة إلى المجلس حيث وجدت السيدات يتأهبين

للمغادرة أين أخذ الجميع أماكنهم وانطلقوا عائدين إلى القصر..

"حقيقة"

"قد لا ننتبه للحقيقة أبدا .. حتى تلوح لنا بأيديها وتنادينا.."

ميّادة

صباح يوم الثلاثاء..

صخب..

ضجيج..

ازدحام..

..محلات تنغلق عند تمام العاشرة صباحا، جلبة كبيرة تحدث بين الناس في الأسواق والطرق، الكل يسارع لينهي أعماله باكرا هذا الصباح، ترى النساء يسحن أطفالهن سحبا من الشوارع، ترى الفتيات اللواتي كن ينتظرن حدثا مثل هذا يتجملن لخطف قلوب الرجال، هي فرصة ذهبية بالنسبة لهن، طبعا فأمير بعظمة داميان لن يلقي خطابا كل يوم.. إنه يوم استثنائي، سيعرف الشعب فيه تفاصيل حول إحدى الجرائم الشنيعة التي حدثت في تاريخ البلاد، القتل ليس أمرا معتادا في أرض قدر الشمس، هنا القانون فوق كل شيء...

في زي أزرق داكن اللون يتوسطه حزام أسود فاخر انتصب أميرنا، شعر بني سرح إلى الخلف بعناية، وخواتمه الأربعة التي لا غنى له عنها، وعينان سوداوان ثاقبتان، طلة اختارها لتجعل منه في أوج أناقته ووسامته، وقف داميان بشموخ يقابل المرأة ليضع على طلته اللمسات الأخيرة، رشّة من عطره المفضل..

متجمدة في مكانها متفاجئة بوسامته الغير معتادة ..وقفت
أماريليس منذ ثوان عند باب الغرفة التي تتواجد في أعلى طابق في
الديوان.. مذهولة بأناقته، لا تعلم لماذا لم تلاحظ هذا عليه من قبل؟
لكن الشيء الذي كانت متيقنة منه آنذاك هو "إنه حقا وسيم"..
_ألهذه الدرجة أبدو وسيمًا؟ لا ريب في أنك متسمرّة في مكانك منذ
دقيقتين.

"اللعنة، كيف علم أنني أقف هنا؟ هل كان يقرأ أفكارى؟ "
_ما الذي تقوله؟ أنا.. أنا أردت فقط التأكد من أنك مستعد
الجميع في انتظارك بالأسفل.

_أعلم ، يمان أخبرني بذلك، لم يكن ضروريا أن تتكبدى عناء
المجيء إلى هنا. قال وهو يمرر يديه على شعره في حركات مستفزة.
_أنت شخص.. أثرت الصمت، لا حق لك في مخاطبتي بهذه الطريقة
لم تنس من التي تقف أمامك أليس كذلك؟
_ولم قد أنسى يا أميرة السّكاكر، قال بهكم وهو يلتفت ويتقدم
نحوها، بينما بدأت تتراجع إلى الخلف لا إراديا..
..توترت جدا، لثوان واسترجعت ثقتها بنفسها:

_أجل، أنا أميرة، أنا أماريليس نورجان عاشر أميرات السلالة
،سيدة القضاء هنا ،والمرأة التي يضحكها غرورك ويضجرها تظاهرك
بالقوة، ربما اضطراب الأمور هنا هذه الفترة قد سبب لنا هذا النوع
من اللقاءات الاستثنائية ، لكنني أعدك أن هذا لن يدوم طويلا بمجرد
أن ننتهي من التحقيق في هذه الجريمة لن يكون هناك داع لأن نلتقي
مجددا، أبدا، هل تفهمني حضرة الأمير؟

بوجه غاضب غادرت الغرفة .. ولم يبق خلفها إلا بقايا عطرها ..
_حسابك معي لم ينته يا أميرة السكاكر، سأجعلك بعد هذا اليوم
مهزلة الديوان! ، أنا أعدك..
لقاء آخر زاد من سوء الأمور..

في ساحة الديوان..

كل أصناف أهل المدينة جاؤوا، بعضهم فضوليون، بعضهم مهتمون بالموضوع حقا ، والبعض الآخر جاء لأهدافه الخاصة.. دقائق مرت كأنها دهر، والجميع لا يزال ينتظر، عم الصمت فجأة بين الصفوف، فتحت البوابة على مصراعها ليخرج منها أحد الحراس في جدية كبيرة:

_ حضرة الأمير داميان كوروليو يخرج الآن. كل الأعين مركزة عليه.. صمت، وبعد أن توسط خشبة كبيرة..

_ شعب نولان العظيم.. اجتمع أغلبكم اليوم رغبة في أن يفهم ما طبيعة أمر الجريمة التي حصلت منذ أكثر من شهر، عجوز مسكينة تبلغ من العمر سبعين أو يزيد رميت في باحة منزلها بعد أن قتلت بطريقة شنيعة، ومن منكم لم يعلم بهذا جميعنا قد تركت فيه هذه الحادثة أثرا لم يستطع أحد تجاوزه، لا أحد يلومكم في هذا، لكن الخطأ الذي يرتكبه عامة الناس هو تحميل الديوان مسؤولية هذا تزايدت مخالفاتكم، تناقص المنتج بشكل ملحوظ، تريدون من خلال هذا الانتقام منا، هل هذا سيحل المشكلة؟ الإجابة للأسف "لا" يؤسفني أن أخبركم أن لا علاقة لهذه الحادثة بالديوان، وبمسؤوليات الديوان، لقد وعدنا بإيجاد الفاعل، هذا ما يعلمه الجميع، وما لم يصدقه أحد، لكن ما لا يعلمه أحد، هو أننا..

راح جيئة وذهابا فوق الخشبة ..

_ يسعدني أن أخبركم وأنا مسؤول عن كلامي أننا وجدنا الفاعل إنه يقبع الآن في السجن وينتظر موعد المحاكمة!

همسات وأصوات تتعالى بين المواطنين غير مصدقين لما يسمعونه..
_الهدوء، اسمعوني من فضلكم، لقد جمعتم اليوم بعد قرار
متفق عليه من قبل أعضاء الديوان لكي نخبركم وبشكل رسمي أن
أبحاثنا لم تبؤ بالفشل، وأن دم تلك المرأة لم يذهب سدى.. من منكم
يود سماع قصة جميلة؟

فلاش باك..

قدر من الطين يغلي على النار وقد فاحت منه رائحة لذيدة ، إنها رائحة مرق الدجاج المطهو بحرفية مع قطع من البطاطا والجزر والبصل المهروس.. حساء خضار شهى يطهى منذ ساعة والبخار يتصاعد.. قشور تلك الخضرتناثرت على طاولة خشبية قديمة بجانبها صحن متواضع من سلطة طماطم وقنينة زجاجية تحتوي على مشروب ما ..إنه مزيج من عصير التفاح والسكر والعسل المذاب.. تلك مجرد عينة من مجموعة من القوارير ذات نفس النوع اصطفت بعناية على أرضية المطبخ، جنباً إلى جنب مع كيس بالٍ جمعت فيه بعض الفضلات.. إنها أجواء الطبخ .. منذ مدة والعجوز ميادة تهتمك في تحضير عشاء لشخص واحد كما جرت العادة، فقط هي لا تعلم أن هذا المساء لن يكون كالعادة، لقد اعتادت على هذه الحياة البسيطة منذ أن افترقت عن ابنها بارفن، السكر سبيء الأخلاق، الذي لطالما أمضى حياته يتسكع هنا وهناك، ويكسب عيشه من العدم، سرقات عشوائية، أخذ المال بالقوة من الناس، والعمل في حانات الطبقة الثالثة إن تطلب الأمر، لقد كان مثالا عن الأشخاص الذين لا يجب التورط معهم أبدا. ميادة لم تتحمل ذلك، لقد عانت منه ما عانت منذ وفاة زوجها، لتقرر ذات يوم أن تغادر المنزل وتترك ابنها العاق ليواجه الحياة بنفسه، أين جمعت أغراضها القليلة جدا وغادرت بعد أن تركت لابنها رسالة :

"بني بارفن..

أعلم أن وجودي في حياتك لم يعد يهكم منذ مدة طويلة، لكنني أردت كتابة هذه السطور لك لأريح ضميري.. لقد تركت لك هذا المنزل وما تبقى فيه، وغادرت بحثاً عن السكينة .. حتى أمضي آخر أيامي في سلام.. بني .. أعلم أنك أصبحت تشعر أنني عبء ثقيل عليك وأنت تريد التخلص مني ..لقد آن الأوان لذلك. لا تبحث عني، بإمكانك العيش كما يحلو لك من الآن فصاعداً.. الوداع.. "

والدتك

صدمة..

_الساقطة!

كان ذلك أول ما قاله حين وجد الرسالة مثبتة على طاولة ..
_تريدين الهرب مني، تريدين أخذ القلادة اللعينة بعيداً كي لا أكتشف مكانها أليس كذلك؟ سوف نرى إلى متى ستظلين هاربة مني أيتها العجوز الشمطاء..
في منزل العجوز ذلك المساء..

لم تغرب الشمس بعد كما هي العادة في البلدة، الجميع يعلم أن الشمس هنا لا تغرب إلا مع منتصف الليل، البعض يرى هذا نعمة، والآخر لعنة، في الحقيقة ماهي إلا معجزة.. لكنها باتت شيئاً عادياً بالنسبة لسكان البلدة..

الساعة قاربت الثامنة مساءً..

الباب يدق ..

_من الذي يدق الباب في مثل هذا الوقت ؟ تساءلت. أهذه أنت عزيزتي مارثا ؟

لا جواب.. الباب لا يزال يُدق..

فتحت الباب ببطء في توجس .. لكنها تراجعته للخلف من صدمتها.

آخر شخص تتمنى رؤيته هنا، وفي هذا الوقت.. إنه بارفن.

_ ما بك؟ لماذا تنظرين إلي هكذا؟ ألسنت سعيدة برؤية ابنك يا

والدتي؟ قال بمكر.

لا جواب، ظلت متسمة في مكانها بملامح خائفة..

_ آه يا والدتي العزيزة ، منذ أربعة أشهر وأنا أبحث عنك، رأيت كم

أنا ولد صالح؟

بحلق جاف وصعوبة قالت:

_ ما الذي جاء بك إلى هنا؟ كيف وجدتني؟

_ولكن ما خطبك يا أماه؟ أئن تدعيني إلى الدخول؟ رائحة الطعام

هنا لم تتغير، لم تتغير منذ آخر طبق فاصولياء طبخته تلك الليلة،

الليلة التي غادرت بعدها المنزل، لا تخافي، أريد فقط الحديث معكِ .

بخوف كبير وتردد أفسحت له المجال للدخول، تعلم أنه سوف

يدخل شاءت ذلك أم أبت ، عليها ألا تلتفت انتباه جارتها الوحيدة، فهي

لم تخبر أحدا في هذا المكان الجديد أن لها ولدا على شاكلة بارفن،

الجميع يعلم أنها أرملة ولم يبق لها أحد في هذه الحياة، ابتسم

متظاهرا بالبراءة ودلف إلى الداخل، لم تدري ميادة أنها اقترفت خطأ لن

يتسنى لها حتى متسع من الوقت للندم عليه..

العودة إلى يوم الخطاب..

_ طبعاً، الجميع يشعر بالملل بعد هذه القصة الطويلة التي أخبرتكم

بها، لكن الأهم لم يأت بعد، لقد كان لمجيء ذلك السكير أهداف أخرى،

لم يكن يرغب في زيارة أمه، ولا في الاعتذار، بل كان ذلك لأجل إيجاد قلادة ثمينة احتفظت بها الضحية كذكرى من زوجها المتوفي، القلادة الأولى والوحيدة التي حصلت عليها، لم يكن يعلم أن والدته كانت أذكى منه حين تظاهر أنه يستريح في الغرفة الرئيسية الصغيرة داخل الكوخ، تظاهرت هي بدورها أنها تنهي إعداد العشاء لكي تتناوله معه، لم يعلم أنها في تلك الأحيان أخذت قطعة من القماش باهتة اللون ودونت عليها مصيرها بيديها، بقلم من الحبر شبه جاف، وبخط ركيك كتبت جملة واحدة: "بارفن، ابني، يوم الأحد، يخفي سكيننا تحت ثيابه!"

_طبعاً هو لم ينتبه لقطعة القماش تلك، فبعد أن كتبتها دستها في قارورة زجاجية فارغة ووضعها بجانب الأخرى الممتلئات، لم ينتبه لذلك أحد في البداية، لكنني من اكتشف ذلك مؤخراً بعد أن زرت مسرح الجريمة مرة أخرى، الضحية كانت تصنع العصير المنزلي وتبيعه داخل تلك الزجاجات لتكسب قوتها اليومي لكنها كذلك ساعدت في حل لغز هذه القضية، فهي كانت تعلم وبشكل جيد أن تلك هي الليلة الأخيرة في حياتها، ولم تكن لتسلمه الذكرى الوحيدة ممن كانت تهيم به عشقا، فبالنسبة إليها، فلم يكن مجرد عقد، إنما كان حلقة الوصل بينها وبين زوجها.. سيداتي سادتي، يؤسفني القول أن السيدة ميّادة قد قتلت على يد ابنها الذي كان تحت تأثير المشروب، تم العثور على بارفن والذي أقربعد محاولتنا بجرمه لقد اعترف أنه قتل والدته وتركها مرمية في فناء المنزل لأنها رفضت أن تعطيه القلادة الثمينة.. إنه الوضع الذي آلت إليه الأمومة ورابطة الدم في بلدتنا، في قدر الشمس.. قانون نولان لن يسكت على هذا، وأنا أقسم اليوم

وبشرقي، وأمام كل من في المملكة، أنني وإن سمحت مرة بحدوث أمر كهذا، فإنني لن أسمح بحدوثه مجدداً، إنه وعد مني ..
لم يقل أحد كلمة حتى أكمل وكلهم أذان صاغية.. لينطلق صوت من بين حشد الناس:

ـ يعيش الأمير داميان! يعيش!

التفت الجميع إلى مصدر الصوت، كان طفلاً في السابعة من عمره، والذي تابع ببراءة :

ـ عندما أكبر سأصبح قويا مثلك أيها الأمير!

شعر الأمير بالإطراء والسعادة يغمرانه:

ـ لك ذلك أيها البطل الصغير! قال

تعاليت في هذا الوقت الأصوات من كل صوب، كبارا وصغارا:

ـ يعيش الأمير داميان، يعيش قانون نولان ، يعيش الأمير داميان،

يعيش ..

لم تستطع الوقوف على قدميها من هول ما كانت تسمعه منذ ساعة، لجأت إلى أقرب كرسي لتجلس عليه وتواصل صدمتها مما كان يحدث منذ قليل، فعلى الأرجح أنها هي المسؤولة عن الديوان، ولا تتحرك ورقة من طاولة إلى أخرى إلا بعلمها، كيف لها ألا تعلم أن القاتل قد ألقى القبض عليه، كيف للأمير أن يخفي هذا عن الجميع وعنهما هي بالتحديد، لقد جعلها مهزلة أمام كل سكان المملكة كما قال حقا، هي لا تنكر أنه قد استعاد هيبة الديوان أمام المواطنين، لكنه بهذا استصغرها وقلل من شأنها، وبهذا جعلها تتعرض للإهانة لأول مرة في حياتها..

_لن أدعك تنجو بفضلتك أبدا يا داميان!

في قصر عائلة كوروليو النبيلة بعد عودة الأمير من الديوان ..
_ أخيرا، ابني البطل، عناق طويل .. أنا حقا فخورة بك يا صغيري
_ شكرا يا خالتي، هذا فقط واجبي.
_ داميان، الجميع يتحدث عن خطابك يا ولد، أصبحت حديث كل
الألسنة.

_ أنا لم أقم إلا بواجبي يا أبي.
_ أرضنا لن تنسى لك هذه الخدمة أبدا، لكن .. إياك وأن تغتر
بنجاحاتك كأمير، الغرور مقبرة النزاهة، إياك أن تنسى هذا .
_ أجل، فلتكن مطمئنا يا والدي.
_ أريد الحديث معك في موضوع آخر.
_ أجل، أنا أسمعك .

_ تعلم أن علاقة عائلتنا مع العائلة الملكية علاقة طيبة جدا، كما
أننا نتفق جيدا فيما يخص تقسيم مهام المملكة، كما أنه لا شأن لنا
في أمور الديوان الخاصة، ما وصلني من الديوان لم يعجبني ولا الملك
أبدا !

_ لم أفهم، ما الذي تقصده يا والدي؟
_ تفهم جيدا ما اقصده، خلافاتك مع الأميرة أماريليس، لا يجب
أن تؤثر على العمل أبدا بقيامك بهذا .
_ الأمر ليس كما يبدو يا أبي، هل لي أن أعلم من الذي أخبرك؟
_ هذا لا يهم، هل لديك ما تقوله لي بهذا الخصوص؟
_ كلا، هذا لا يعتبر خلافا، إنه فقط ..

_بل هو كذلك، اسمع، أرجو أن ينتهي هذا بسرعة كما بدأ، لا
تجبرني على التدخل في الأمر، أهذا واضح؟
لم يستطع الأمير أن يرد على كلام أبيه، حتى لو اختار شرح الأمر
له، لن يفهم هو ذلك ، لذلك أثر الصمت، واكتفى بإيماءة توجي
بالانصياع لأوامره.
_أنا أستأذنكما الآن إلى غرفتي ، سأرتاح قليلا، لم يكن يوما سهلا
كما تعلمان.
_إذنك معك عزيزي، أمرت الخدم أن يجهزوا لك الحمام، ثم
يمكنك النوم حتى المساء، قالت زوجة أبيه.
_شكرا لك خالتي.

في صباح اليوم الموالي..

على غفلة وبدون سابق إنذار، بابه يفتح بقوة، ويدلف شخص إلى الداخل ملامح رسمية وشرر يتطاير من عينيه، كان ذلك باب مكتب الأمير والشخص الذي جاءه للتو هو أماريليس ..

_ أريد حالا تفسيراً لما حصل بالأمس، غادرت مباشرة بعد انتهاء الخطاب ولم تدع لنا فرصة للحديث عن ذلك.

_ لا أعتقد أن هناك ما علينا الحديث بخصوصه، طلبت مني القيام بشيء وأظن أنني قمت به على أكمل وجه، أقترح أن تشكريني بدلا من هذا.

_ أشكرك على ماذا؟ لقد أخفيت عني أنك وجدت الفاعل، جعلتني آخر من يعلم وبسببك أصبحت حديث الديوان، هل لي أن أعرف لماذا؟
_ أنا لم أخف عنك شيئا، الأمور جرت بسرعة فحسب، لم يتسن لي أن أخبرك بالأمر، قال ببرودة أعصاب.

_ حقا؟ وهل تتوقع مني أن أصدق هذا؟ ألهذه الدرجة أبدولك حمقاء؟

نهض من مكانه ووضع يديه على حافتي المكتب في هدوء :
_ صدقيني، فأخر ما يمكنني التفكير به في هذه اللحظة هو أراؤك ، لقد نعتني يا حضرة الأميرة بالمهمل وبإلقاء الوعود الكاذبة، لكنني وعدتك بدل ذلك بأنني سأحل الموضوع ، وها أنا ذا خلف كلامي كما ترين، إلا إذا كنت ببساطة..

_ إذا كانت ماذا؟ قالت بغضب

_إذا كنت تشعرين بالغضب، لأنني استطعت القيام بما فشلت أنتِ في القيام به، أهذا ما يزعجك؟

_هذا في أحلامك. قالت بانفعال، ليس علي أن أذكرك كل مرة أنني أنا الأمرة الناهية هنا ، وليس أحد آخر، كونك عضوا في مجلس الديوان لا يسمح لك أن تتخذ القرارات بدلا عني، أهذا واضح؟
_حسنا، ألم تخبريني المرة الماضية أنكِ كونك الأميرة الأولى لا يعني بالضرورة أنكِ الوحيدة التي عليها أن تعمل هنا وأن علي مساعدتكِ؟
ما الذي تغير الآن يا أميرة؟

ظلت صامتة لا تعرف ما الذي يجب أن تقوله، فهو إلى حد ما محق، عليها أن تعترف بذلك.

طقطقت رأسها في استسلام، فابتسم هو في استهزاء، وبعد أن تحرك من مكانه ووقف مقابلا لها وجها لوجه:

_أجل، ربما أنت على حق، أنتِ الأمرة الناهية هنا، لكن عليك أن تعلمي شيئا، منصبك لا يهمني، أميرة سكاكر وحلوى كنتِ أم قائدة لجيوش الكون، أنا فقط أحترم العائلة الملكية، وأحترم كونك امرأة، لكنني لا أنحني لعنفوان أي امرأة يا أماريليس..انتبهي لكلماتك معي ، أهذا مفهوم ؟

تسلل الخوف إلى عينيها، وقالت متدركة الموقف :

_لعلمك، أنت لا تخيفني بتهديدك هذا، ولن أسمح لك ب..

_عليك أن تخافي. قال بأسلوب لم تعهده فيه. أنا شخص آخر لم تعرفه بعد، لا تستفزيني، حتى أنا لا أحب ذلك الشخص الآخر الموجود داخلي !

محركة حاجبها الأيسر كعادتها قالت :

_ لن أسمح لك بسحقي بعد الآن، أنت كذلك لا تعرف أماريليس الحقيقية ، وأنصحك ألا تقوم بذلك ! قالت مغادرة الغرفة غاضبة كما لم تفعل من قبل..

في مكان ما في قدر الشمس..

_ ماهذا الهراء الذي أسمعه كل مرة ؟ أنا أدفع لك منذ أشهر، ألا ترين أن لا شيء يحدث مما تقولينه ؟

_ إنها الحقيقة سيدتي، لكن إن كنت تريد الحقيقة كاملة، أرى أن الأمور ستؤول إلى الأسوء، هذا الهدوء لن يدوم طويلا.

_ ما الذي تقصدينه بالأسوء؟ عمن تتحدثين؟

_ الجميع، الجميع سيتأثر بهذه الرياح القادمة، إنها على وشك أن تعصف، الورود تنغلق في كل مكان، أرى أمواج بحر نولان تموج، كما أن الهمسات لا تأتي من مكانها المعتاد..

_ أنا لا أفهم شيئاً، اشرح لي الأمر، أخبرني منذ قليل أن الأمور تتغير إلى صالحني وأنتي على وشك الحصول على ما أريد ، لماذا ستسوء الأمور إذن؟

_ سيدتي، تعلمين أن أرض قدر الشمس أرض غريبة ، يمكن لأي شيء أن يحصل فيها، القوة موجودة، ومن يحصل عليها سيكون الطرف الفائز، سيزداد سيطرة وطغيانا، ولن يحكم المملكة بالخير..

ابتلعت ريقها :

_ هل أنا هي الطرف الفائز؟

_أجل، أنت كذلك، لكنني أرى أن المعركة التي تخوضينها لا تزال في أولها، وأنتك الطرف الأضعف الآن.

_لا يهم إن كنت الأضعف أم الأقوى ، المهم أنني من سيفوز في النهاية، لن أبقى مكتوفة الأيدي، لن أسمح للملك وابنته تلك بأن يستوليا على السلطة في نهاية الأمر، الحكم من نصيب الأذكي، وأنا من سيفوز.

_زوجك ..

_ما خطب زوجي؟ سيصبيه مكروه؟

_كلا ، إنه هو العائق، إنه يحب أخاه ولن يكون بمقدوره خيانتة.
_من قال أنه من سيقوم بذلك ؟ أنا من سأفعل ذلك، مهما كان المقابل.

_الوصول إلى ما تريدينه متوقف على هذه النقطة، إن تدمرت تلك العلاقة الأخوية بين زوجك وأخيه الملك، فالحكم من نصيبك .

_حاولت ذلك مرارا ، زوجي يحب أخاه ولن يفكر في ذلك حتى.

اسمعي، أنت أفضل ساحرة في البلدة ، كل ما أريده منك هو وضع حد لهذه المشكلة ، لقد طال الأمر أكثر من اللازم ، أنا لا أستطيع النوم وأماريليس تستحوذ وأبوها على العرش، أخشى أنهما يفكران في قتل أولادي كي لا يكون هناك عائق لهما، علي القيام بشيء قبل أن يتحركا، شيء حقيقي هذه المرة ..

_ما المقصود بشيء حقيقي؟

_لم يتبق لي حل آخر.. على الملك وأبنائه أن يموتوا!

_لا تنسي أن هناك الأمير ليجاي كذلك، ابن أخت الملك.

_ليجاي ليس بالخطر، إنه يهيم حبا في تلك الحمقاء أماريليس ولا
يرغب في شيء غيرها .

_مع ذلك عليكِ أخذ الحيطة ، لست مرتاحة له.

_إذن ما الحل ؟ صرخت، هل علي قتل ذلك الأخرق أيضا ؟

_سوف أخبرك بما عليك أن تفعله، لكنني أخشى أنك لن تقدري

على ذلك، قالت الساحرة

_بإمكاني فعل أي شيء، إن كان هذا لحماية أولادي.

_أنتِ متأكدة؟

_أجل، قالت دون تفكير.

_لكِ ذلك، اسمعيني جيدا إذن! ..

في قصر العائلة الملكية حول طاولة العشاء..

- _ أماريليس، ما أخبار الديوان؟ أكل شيء على ما يرام؟
- _ أجل أبي، كما تعلم فإننا نعمل على إنهاء قضية تلك العجوز، نحن نستعيد زمام الأمور مجددا.
- _ ليس هذا ما أخبرني به نازي، لقد زارني هذا المساء هنا في القصر، وتحديثنا عن الأمر مطولا، قال الملك محاولا أخذ الكلام من فم ابنته.
- _ وما الذي أخبرك به نازي يا بينامين؟ قالت الملكة .
- _ ما أخبرني به أن هناك سوء تفاهم بين ابنتك والأمير داميان، هل لي أن أعرف لماذا لم تطلعي على الأمر؟
- _ أعتقد أنه ليس الوقت والمكان المناسبين لهذا يا أبي. قالت وهي ترمي بنظراتها إلى باقي أفراد العائلة .
- _ بل على العكس، من حق الجميع أن يسمع ما ستقولينه، قال ليجاي خطيبها وعلامات الاستياء بادية على وجهه.
- تبادلت النظرات مع والدها وكأنه يبحثها على الحديث..
- _ لم يكن بالأمر المهم يا أبي، كما قلت، لقد كان سوء تفاهم وانتهى، بغض النظر عن أنه المخطئ، لم يعلمني أبدا أنه ألقى القبض على القاتل، لم أستطع التفاوضي عن الأمر.
- _ ألم تنتهي أنه هو من استرجع كرامة الديوان وأنه قام بشيء نبيل؟ كان عليك أن تشكره بدلا من أن تلوميه.
- _ والدك محق عزيزتي، لقد قام بشيء يدعو إلى الفخر، يستحق أن تشكره.

لم تشأ أن ترد على والديها، وفضلت الصمت متابعة تناول الطعام، وبينما الجميع كذلك جاء صوت أحدهم كالعادة:
_أخشى أن تسوء العلاقة بيننا وبينهم جزاء هذا الأمر، الجميع يعلم أن موقفنا جيد مع قصر كوروليو وأن السيد نازي صديقك حضرة الملك، كانت تلك الماكرة مالين.
نظرت لها أماريليس في حقد وفضلت ألا تعيرها اهتماما، فأجابها الملك :

_لا تشغلي بالك بهذه الأمور يا زوجة أخي، لقد حللت الأمر.
_كيف حللته يا أبي؟ سألت أماريليس.
_على جميع من هنا أن يعلم أنه بعد ثلاثة أيام من الآن سيأتي السيد نازي وعائلته لتناول طعام العشاء برفقتنا، لن أدع هذا الأمر يؤثر على العلاقة الطيبة التي تجمع العائلتين ، سنناقش تلك الأمور العالقة بينكما، هذا ما في الأمر.
ظلت متفاجئة من قرار والدها وعلامات الرفض على وجهها، كيف لوالدها أن يفعل بها هذا؟
كيف لها أن تواجه الأمير مجددا وأن تتظاهر بتحسن الأمور بينهما؟
_أكان ذلك ضروريا يا أبي؟
_لا أعتقد أنك تركت لنا خيارا آخر، لسنا في وضع يسمح لنا بالتحفظ ، قراري محسوم ولا رجعة فيه..
وانتهى الأمر بنتيجة غير منصفة كما كانت هي ترى ذلك..

جمالِكِ العذري دقّ باب قلبي
وقلبي جريح ينزف دما..
سألت من الطارق فقال الهوى يا أهل أمتي
والهوى سيذيقك اليوم سُما
فقلت وما السبب في أن أفتح لأذيتي
وما السبب لأن أتجرّع ألما
فقال لا تخف فالحب يا بني وصيتي
وها أنا اليوم أمطر عليك كرمأ

"إنكار"

"إنكار المشاعر أمر سهل .. فقط إن لم تكشف الأعين العكس .."

الكاتبة

في ميناء المدينة..

_ هاي ! أونيليو ! أمسكها جيدا، أخشى أن تسقط.
_ أو تظنني مبتدئا ؟ أنا معتاد على حمل الصناديق الثقيلة .
_ أعلم ذلك، لكن هذه الصناديق مهمة جدا، إنها تحف مصنوعة
من الكريستال الخالص، أوصى عليها بعض النبلاء.
_ ما نوع هذه التحف؟

_ إنها مختلفة الأشكال، شمعدانات وأكواب وقطع زينة على شكل
ورود وقوارير، تعلم أن الأغنياء هنا يتفاخرون بمثل هذه الأشياء.
_ لهم أن يفعلوا ذلك، أقسم أنني لو كنت ثريا لفعلت هذا وأكثر.
_ لكنك لست ثريا يا ولدي! وحتى ذلك الحين عليك العمل ليل نهار
كي تكسب المال.

_ هذا لن يدوم طويلا، أشعر أنني سأصبح شخصية نبيلة في هذه
البلدة، لي حصان وقصر كبير وخدم.
_ كفكأ أحلاما! هيا فلدينا الكثير من العمل ولن ننتهي حتى غروب
الشمس.

كان ذلك أحد العمال الذين يعملون في تحميل الصناديق والسلع
وإنزالها. يتحدث مع ولد قرر تربيته وحبه وتعليمه حرفا مختلفة منذ
وفاة والديه، حين جاء وقاطع حديثهما:

_ دعه يتكلم يا كامل، لماذا تقطع له سبل العزيمة؟

_ سمو الأمير داميان! تحياتي! قال بينما انحنيا له.
_ أهلا بكما .. كيف حالك يا أونيليو؟
_ بخير، شكرا سمو الأمير.
_ جيد، أرى أنكما تعملان بجهد، لماذا لا أرى البقية؟
_ لا أحد يعمل اليوم، الجميع غادر مبكرا.
_ لماذا؟ أنا لم أمنح أحدا إجازة اليوم.
_ هذا صحيح سيدي، لكن أحد العمال مريض جدا، فذهب
الجميع لزيارته .

_ حسنا ولماذا أراك وأونيليو هنا إذن؟ لماذا لم تغادرا مع البقية؟
_ من المفروض أن تصل هذه السفينة مساء أمس لكنها وصلت
اليوم متأخرة وعلى أحد أن يفرغ الحمولة لتعود إلى ديارها، لهذا
تدبرت الأمر أنا وأونيليو.

_ ستحصل على مكافئتك يا كامل، وأنت كذلك يا صبي!
_ هذا واجبنا سمو الأمير.

_ لقد أتيت اليوم مبكرا لأنني لن أستطيع أن أكون هنا لتفقد الأمور
مساء، سنكون برفقة العائلة الملكية، أرجو أن تتأكد من أن الجميع
يقوم بعمله هنا يا كامل! أنا أثق بك.
_ لا تقلق يا سيدي سأتكفل بالأمر.

_ عملا موفقا إذا! وأنت يا أونيليو! أعدك أنني سأعلمك ركوب
الخيال مع كونال متى سمحت لي الفرصة، وإن أصبحت محترفا، سوف
أدعك تختار أحد أحصنة القصر ليكون لك، هل يروق لك ذلك ؟
تفاجأ الطفل من اقتراحه، وغمرته الحرارة من فرط السعادة :

_حقا ؟

ضحك الأمير .

_أجل !

_هذا شرف لي سمو الأمير! شكرا لك. أجا به دون تردد

_لك ذلك إذن !

"ما أجمل أن نساهم أحيانا في رسم ابتسامة على وجه بريء، أن نكون السبب في عدم نوم أحدهم تلك الليلة من فرط السعادة، أن نجعل من أحلام أحدهم المستحيلة واقعا ممكنا، أن نلون اللوحة البيضاء لأحدهم بألوان حية، ألوان تدخل الفرحة على قلب المحتاج، والحزين ، والفقير، وتعزف لهم لحنا جديدا لموسيقى حياة أجمل .. "

انصرف داميان بعد أن تأكد أن الأمور على أحسن ما يرام في الميناء بما أنه المسؤول هناك ، عليه الآن أن يتفرغ لزيارتهم اليوم للعائلة الملكية والذي لا يريد لها إطلاقا ، وهذا ما كان يشعره بالضيق..

في القصر الملكي ذلك المساء..

_ ما الذي تراه عيناى يا سيدتى! تبدين فائقة الجمال، تقول الخادمة الشقراء

_ أجل سيدتى، مادلين على حق، تبدين جميلة جدا، لم نرك هكذا من مدة قالت السمرء

_ كفاكما قول هذا، إنها طلة عادية تناسب عشاء ملكيا، تعلمان، لا يجب أن أظهر بمظهر سيئ أمام الضيوف.

_ أم أنك تريدين أن تكونى جميلة أمام الأمير داميان يا سيدتى؟ سألت الشقراء ببراءتها المعتادة.

_ ما الذى تقولينه؟ أنا لم أقصد هذا، لكننى لا أريد أن أترك له مجالا لكي لا يشعر أنه أفضل منى، لا أزال غاضبة منه كثيرا .

_ تقصدين أنك تودين إثارة غضبه أليس كذلك؟

ابتسمت أماريليس بخبث..

_ لكن لعلمك سيدتى، الأمير ليجاي سيجن حين يراك هكذا .

تضاءلت ابتسامتها فجأة، ظلت تنظر إلى طاولة تجميلها وعطورها متهربة من الإجابة..

فقالت السمرء متدركة سذاجة الأخرى:

_ هيا فالوقت قد حان سيدتى والضيوف على وشك الوصول، لا تدعى هذا الجمال يذبل داخل جدران هذه الغرفة.

ابتسمت مجددا بعد أن استعادت شيئا من ثقته بنفسها، هي حقا لا تعلم ما الذى ستفعله دون خادمتهما، هما فهما صديقتيها الوحيدتين، وصندوق أسرارها. نهضت مقابلة المرأة تضع اللمسات

الأخيرة، بفستان بني طويل مرصع بالأحجار الكريمة، بسيط التصميم مفتوح الكتفين عاري الظهر، شعر صفف بعناية وجمع إلى الخلف كما أسدلت بعض خصلاته على جانبي وجهها، زينة خفيفة تركزت على كُحل العينين.. طلة بسيطة لكن أقل ما يقال عنها أنها صارخة الأنوثة ..

حان الوقت، ووصل الضيوف إلى القصر، والذين استقبلهم الملك رفقة أخيه، أما البقية فانتظروهم داخل القصر..
_ إنه ليوم عظيم، لنا الشرف أن تزورونا في قصرنا مع العائلة يا نازي.

_ بل نحن من لنا الشرف هذا المساء، باسم العائلة نشكرك على هذه العزيمة.
_ لا شكر بين الأصدقاء، هيا تفضلوا الجميع في انتظاركم في الداخل.

وبينما اجتمعت العائلتان في قاعة الاستقبال الرئيسية..
_ سيدة سيتيناي، أهلا وسهلا بكم ، نشكركم على تلبية الدعوة، قالت زوجة الملك.
_ الشكر لكم جلالة الملكة، سعيدة بلقائك مرة أخرى، مضى وقت طويل ..

في هذه الأثناء هناك من أراد التدخل بشدة..
_ كيف حالك أيها الأمير داميان؟ نحن ممتنون لك بعد عملك البطولي الذي قمت به لبلدتنا.
_ أنا لم أقم إلا بواجبي سيدة مالين ..

_ لا تقل هذا، على والديك أن يكونا فخورين بك .
اكتفى بابتسامة مصطنعة أين قال والده:
_ لقد وضع ابني حدا لهذا الأمر وأرجو أن لا يتكرر مرة أخرى،
القانون صارم كما تعلمون.
_ أجل أنت محق سيد نازي، أتمنى أن لا يحدث ذلك مرة أخرى،
تدخلت مالين وكأنها تريد فرض نفسها في الحديث.
_ اين هي أماريليس؟ لا أراها مع الأميرات هنا. سألت والدة داميان.
_ إنها على وشك النزول، لا بد أنها تحضر نفسها، أجابت الملكة.
وما كادت الملكة تنهي كلامها حتى ظهرت أماريليس بتلك الإطلالة
أعلى الدرج كل النظرات ظلت معلقة معها، نظرة أختها الصغرى
ناستيا المليئة بالغيرة، مالين وحقدتها الواضح، وداميان .. الذي توقف
برهة عن التفكير في أي شيء، لبرهة نسي أنه يكرهها وظل ينظر لها
متفاجئًا بجمالها الذي لم يسبق له أن انتبه إليه، دائما ما كان
مظهرها رسميا في العمل..
_ أنا مستغرب كيف ان لفتاة رائعة مثل أماريليس أن تكون حادة
معك كالجلاد يا داميان ، همس ثيودور في أذن أخيه الذي لا يزال
ينظر إليها..
_ لا تصفها وكأنك تتحدث عن الآلهة "هيلين" لو سمحت، إنها
عادية، قال متظاهرا بالتماسك.
_ فلتخدع غيري بهذا الكلام، أجابه ثيو .
_ سيدة سيتيناى، سيد نازي، سعيدة برؤيتكم هنا هذا المساء.

_من الجيد أنك هنا عزيزتي، تبدين جميلة جدا .. قالت سيتيناى
أومات برأسها وابتسمت في خجل أين أُلقت نظرة خاطفة على الأمير
والذي كان لا يزال يتمعن فيها، مما زاد من توترها.. تظاهرت أنها لم
تعره اهتماما.

_الجورائع اليوم، أمرت الخدم أن يجهزوا مجلسا في الحديقة، ما
رأيكم؟ قالت الملكة

_فكرة سديدة.. قالت سيتيناى مبتسمة.

انقسم الجميع في الحديقة وكل مجموعة راحت تفعل ما
يرحبها، وبينما جلست النساء في المجلس راحت الفتيات يتمشين، أين
قطعت هيرا ابنة مالين خيط الصمت أثناء الجولة:

_أخبريني يا كلارين، كيف تجري أموركِ، سمعت أنكِ مخطوبة إلى
أليكسي كاستر، يقولون أنه وسيم جدا.

_نعم نحن مخطوبان منذ سنة.

_وهل تحبينه؟

_لا أدري، نحن لا نلتقي حتى!

_لكنه خطيبك، كيف سيتم هذا الزواج إذن؟

_لا أعلم، إنه شخص جيد وأمي ترى أنه الشخص المناسب لي .

_ولكنها حياتك أنتِ، ألا تعتقدين أن لكِ حق الاختيار؟

_لا أستطيع مخالفة أوامر أمي، وهنا تدخلت ناستيا الأخت الصغرى
لأماريليس:

_أرى أن والدتكِ على حق، لقد اختارت لكِ شخصا من مقامك،

أنت أميرة والأميرات لا يقعن في حب الفقراء!

_ لماذا تقولين هذا يا ناستيا؟ قاطعتها هيرا، أليس الفقراء أناسا؟
أنا لا أرى أي فرق.

_ بل هناك فرق، أنا شخصيا لا أتخيل الوقوع في حب شخص فقير، لن يستطيع توفير ما أحجاجة ناهيك عن أنني لن أستطيع التأقلم معه.

_ المال لا يههم حسب اعتقادي، قالت كلارين ببساطتها المعتادة،
نحن أغنياء لكن الثراء لا يشتري لنا السعادة.

_ هذا لا يهمني في الحقيقة، عائلتي ثرية وسأعيش كذلك، أنا
أستاذنكما لأجلس مع السيدات ، وبعد أن انسحبت ..

_ دعكِ منها، قالت هيرا، هي دائما هكذا متكبرة! يظهر أنك فتاة
طيبة، هل أستطيع البوح لكِ بسر؟

_ طبعاً! أجابت كلارين

_ أنا أواعد أحد حراس القصر، ولا يعلم أحد بذلك .

_ حقا؟ كيف ذلك؟

_ اسمه ليون، نحن على علاقة منذ سنتين، وابتسمت.

_ وهل تحبينه؟

_ هل تمزحين؟ أنا أعشقه، لا أتخيل حياتي من دونه.

_ وعائلتك؟ ألا تخشين لو علموا بالأمر؟ يظهر أن والدتك ليست

متفهمة.

_ لا يهمني الأمر، وإذا تطلب ذلك فسأهرب معه إلى مكان بعيد.

_ إني حقا مجنونة! ليتني أمتلك شيئا من جراتك.

_ ولكن، ألا تريدان الزواج من أليكسي؟

_ سأخبرك أيضا بسر، أنا لا أحب أليكسي، ولا أريد الزواج منه،
أشعر أنني سأمضي حياتي تعيسة معه ولا أعلم ما الحل ؟
_ أفهم ذلك، بإمكانك إخبار والدتكِ على أقل تقدير، السيدة
سيتيناى طيبة، لا يمكنك الاستسلام!

_ هي تقول أنني سأحبه بعد الزواج، لكنني لست متأكدة من هذا.
_ لماذا ؟ أهناك من تحببته خفية عن الجميع ؟
طالعتها وكأنها تخاف مما تريد قوله، ثم ابتلعت ريقها بصعوبة.
_ هذا صحيح، أشعر بالحب تجاه أحدهم .
_ هذا رائع ! هل هو من أصدقاء العائلة ؟
_ كلا ، إنه داميان

فغرت هيرا فاها متفاجئة.

_ ماذا؟ أنتِ مجنونة أكثر مني يا صديقتي، هل أخبرته بذلك ؟
_ لست مجنونة إلى ذلك الحد، لا أحد يعلم بهذا.
_ عليك أن تخبريه، ربما يكن لك نفس المشاعر!
_ لا، لطالما عاملني وكأنني أخته الصغرى، لا مجال لحدوث شيء
كهذا، كما أنني مخطوبة إلى آخر. الأمر أشبه بقصة خرافية.
_ مع هذا لا تقطعي الأمل، الأمير داميان شخص رائع حقا، إنه عملة
نادرة!

_ أنا حقا لا أدري ما العمل؟

كانت كلارين واقعة في حب ابن عمها وبشدة، فهي منذ أن فتحت
عينها، لم تعرف شخصا آخر غيره وغير ثيودور أبدا، بالنسبة لها
ثيودور كان مثالا عن الشبان اللا مسؤولين، والذين يعيشون الحياة

الليلية فحسب، لكن داميان لم يكن كذلك، كانت ترى فيه الحبيب الحنون، الرجولي، والمسؤول عنها، والذي لم يتركها أبدا منذ وفاة والدها، أحيانا لا يمكننا التحكم في مشاعرنا، قد ننساق خلف ما ليس لنا منذ البداية، ورغم أننا نعلم نهاية الطريق الذي نمشيه، إلا أننا لا نستطيع رفض من اختارتهم قلوبنا رغما عنا، في أغلب الأحيان تكون سيادة القرار للقلب وليست لغيره..

لدى النساء.. قد أخذن يتجاذبن أطراف الحديث، ووسط تدخل مالين المستمر سئمت أماريليس، مما جعلها تطلب الإذن بالانصراف على أن تعود سريعا، أين جاءها صوت والدها من بعيد يدعوها لأن تنظم له رفقة أخيه والضيوف، فلم تجد إلا أن تنظم إليهم..

_أنا لم أطلعك على شيء يا نازي، ابنتي أماريليس هي من زرعت هذه الورود وهي لا تسمح لأحد بالاقتراب منها.

_هذا جيد جدا، أحسنت صنعا يا أماريليس!

_شكرا لك سيد نازي، أنا أحب الورود السوداء كثيرا فلونها ساحر.

_إنها صدفه جميلة، داميان كذلك يعشق كل ما هو أسود، تخيلي

أن لديه مجموعة من الأحصنة وجميعها سوداء.

أومأت الأميرة برأسها متفادية الإجابة بينما فعل هو نفس الشيء.

_هكذا إذن، لك أن ترى جميع الأحصنة السوداء الموجودة في

الإصطبل يا داميان ، سترافقك أماريليس إلى هناك.

فهمت أماريليس ما يرمي إليه والدها، لكنها لا تستطيع الرفض

بالطبع، فهي تعلم أنه يتعمد ذلك لكي يزيل ذلك الخلاف بين

العائلتين، رافقت الأمير والذي ذهب بدوره على مضض أين سار
كلاهما صامتا حتى قطع هو الصمت :

_ أنا أيضا لا أريد مرافقتك، ليس عليك التظاهر بأن كل شيء على
ما يرام.

_ حسنا، كلانا لا يريد هذا، ولهذا أرجو الاتفاق معك ألا يحدث
شيء حتى انتهاء هذا المساء.

_ أنا أتفق معك .

في ذلك الحين وصلا إلى الإصطبل الذي كان يقبع خلف القصر،
بعيد نوعا ما عن الحديقة أين كان يتواجد الجميع..

_ انظر، هذه جميع الأحصنة السوداء التي لدينا، جميعها أصيلة،
وآخر حصان فيها هو حصاني واسمه "فاتيم"، وهو سريع جدا.

_ لا أعتقد أنه بسرعة حصاني "نجم"، إنه يشبهه إلى حد ما لكنه
الأفضل، أنا أؤكد لك ذلك.

_ ألا يمكنك التخلي عن تكبرك حتى ولو لمدة قصيرة؟ أنت تضجرتني.
ابتسم الأمير بذكاء حين تذكر يوم التقاها ليلا في الغابة وهي تسبح

في البحيرة ..

_ لا أظن أنني المعني بهذا الكلام، أنت ترفضين حتى مساعدة الناس
لك، أنت من يتكبر وليس أحد آخر، قال وهو يداعب أحد الأحصنة.

_ أنا لم أفهم ، من أراد مساعدتي؟

_ الغابة، البحيرة، السباحة ليلا.. ألا يذكرك هذا بشيء؟

بدأت تستعيد تفاصيل الموضوع بلامح أوضح، لم تصدق ما كانت

تسمعه أين راحت تمشي جيئة وذهابا، ثم توقفت فجأة :

_لا تخبرني أنك ذلك الغريب الذي رأني في الغابة وأنا..
_أجل، تسبحين ليلاً، وبدون ثيابك، قال مبتسماً باستفزاز.
لم تجد ما تقوله من هول الصدمة، شعرت بخجل شديد لأنه رآها
في مثل ذلك الموقف السخيف..

_لا تقلقي، ليس عليك أن تخجلي، كنت فقط أرغب في تقديم يد
المساعدة وإلا لم أكن لأقترب إليك، أنا لا أفعل أشياء كالتى تدور في
ذهنك..

شعرت وكأنه يقول الحقيقة في أعماقها، لكنها لم تستطع الاعتراف
بذلك ..

_ولماذا علي أن أصدقك ؟ لقد قمت بأخذ ملابسى مني! أنت وغدا!
"لقد بدأت تمارس وقاحتها المعتادة " قال لنفسه.

نظر إليهما مطولاً، ثم اقترب منها خطوات، بينما ظلت هي تتراجع إلى
أن وصلت إلى حافة جدار الإصطبل الخشبية، كان قريباً جداً منها،
ظل يتأمل تقاسيم وجهها عن قرب أين كان يتجاهل ذلك الصوت
داخلة الذي كان يخبره "إنها فائقة الجمال.."، وبينما لا تزال تنظر إليه
في خوف:

_شئت تصديق ذلك أم أبيت فهذه هي الحقيقة، التفكير في أمور
كتلك آخر شيء قد أفعله، لو لم تزعجيني تلك الليلة لما كنت قد
عاملتك بتلك الطريقة علاوة على ذلك فأنا لست مجبوراً أن أفسر
لك أي شيء، أهذا مفهوم؟

أومأت برأسها إيجاباً تحت الضغط مذعورة من الطريقة التي كان
يخاطبها بها بينما تراجع في ذلك الحين إلى الخلف وأخبرها أن عليهما

العودة إلى الحديقة الآن سارا معا صامتين بينما كان يضحك في سره من حالتها وهي متوترة، خائفة كقطعة وديعة، لقد رأى أثناء هذه الجولة أشياء لم يرها من قبل عن هذه الفتاة التي دائما ما كانت تتظاهر بالجدية، إنها سريعة الخجل كما أن قوتها المعتادة حتما مزيفة!
في تلك الأثناء وجدا الجميع يستعد للدخول لتناول العشاء..

كانت قاعة الطعام واسعة وفاخرة إلى حد كبير، زينت بالكثير من الورود السوداء والبيضاء بشكل متساوٍ، بعض من اللوحات الفنية التي علقت بعناية على جدران رخامية، ستائر مصنوعة من الحرير الخالص كانت تغطي النوافذ، تلك النوافذ كانت تطل على منظر جبلي خلاب، توسطت هذه القاعة طاولة ضخمة اصطف على جوانبها عشرات من الكراسي تماشيا مع عدد الحضور، على تلك الطاولة وضعت الكثير والكثير من الأطباق المختلفة والمشروبات المتنوعة في أطقم ضيافة من الذهب الخالص، على ما يبدو فالقائم بهذه التحضيرات شخص أقل ما يقال عنه أنه محترف، أو ربما هم أشخاص، جوراق إلى حد كبير غلب عليه الطابع الملكي الأنيق..

_ إذن أخبرني يا أمير داميان، هل أعجبتك الأحصنة؟ سأل الملك بينما الجميع يتناول طعامه..

_ أجل جلالة الملك، يظهر أنها مختارة بعناية.

_ إنها كذلك، تقول الأسطورة أن الخيول الأصيلة لا تخون صاحبها،

نحن نبذل جهدا كبيرا لانتقائها.

_ هذا ظاهر جلالتك، من الجيد أنني رأيتها.

أوماً الملك إيجابا، وبينما الجميع مستغرق في تناول الطعام ..

_لم تخبرينا يا بيلسان، أين هو ليجاي؟ وجهت مالين سؤالها إلى
أخت الملك ..

_ابني متوعك قليلا، لن يستطيع الانضمام إلينا هذا المساء وهو
يتمنى للجميع أمسية ممتعة، قالت على مضض.

_هذا مؤسف، أتمنى الشفاء لابنك أميرة بيلسان .

_شكرا سيدة سيتيناى، هذا لطف منك.

وتدخل مالين مرة أخرى..

_هذا مؤسف حقا، فكما تعرفين سيدة سيتيناى فإن زوج بيلسان

متوفى منذ مدة طويلة ، وهي قد ربت ابنها لوحدها، هذا ليس سهلا
كما تعلمون.

بدأ الاستياء على وجه بيلسان والملك مما تتفوه به زوجة أخيهم،

يجب على أحدهم أن يضع هذه المرأة عند حدها ..

_هذا ليس بذلك السوء، على كل حال فعمتي بيلسان قد ولدت

أميرة وعاشت منذ طفولتها حياة ملكية، هي لم تملك هذه الحياة
بفضل زوجها ولم تفكر في ثروته حين تزوجته، الكثير من النساء
تفعلن ذلك كما تعلمين خالتي مالين، ولهذا فأنا لا أرى أي سبب
لتأسفك.

كان ذلك رد أماريليس عليها وقد وضعتها في موقف محرج أمام

الضيوف، يعلم الجميع أن مالين تزوجت من أخ الملك رغبة في الثروة
والسلطة، حتى هذه اللحظة لم يتوقف جشعها، هي ترغب علنا في
الاستحواذ على كل شيء. شعرت بالخجل ولم ترد، بينما ابتسمت
بيلسان ابتسامة الرضى لأن ابنة أخيها دافعت عنها أمام الجميع.

مر العشاء جيدا على العموم، تناقش الملك مع ضيفه في أمور تخص المملكة، بينما تناقشت النسوة حول المسؤوليات العائلية وتربية الأمراء، نقاش طغى عليه تدين سيتيناي وإيمانها بالآلهة وما تقوله الآلهة، في حين لاذ الأمراء بالصمت ومشاهدة الكباريتحدثون، شعرداميان فجأة بالملل ورأى أنه بإزعاج أماريليس قد يتحسن مزاجه قليلا، فقال :

_الألواح المعلقة هنا مميزة حقا جلالة الملك، إن من اختارها ذو ذوق فعلا!

تظاهرت بعدم الاكتراث لما يقوله، كانت هي من اختار ألواح القصر، وهو كان يعلم بذلك مسبقا..

_إنها من اختيار أماريليس، ليس هذا فحسب فهناك الكثير من اللوحات التي تزين جميع جدران القصر، وكلها من اختيارها.
_حقا! أرغب في رؤيتها، طبعاً إذا كان هذا ممكناً، أحب الفن كثيراً!
قال متظاهراً بالبراءة.

_بالطبع، قال الملك: أماريليس، خذي الأمير داميان وأريه أهم ألواحنا، لا أحد يفهمها أفضل منك.

مرة أخرى، يسحق والدها كبرياءها أمام الأمير، لكنه ليس الملام هذه المرة، فهي قد فهمت ما يريد داميان..

_لم أكن أعلم أنك مولع بالألواح الفنية أيضاً!

_ولا أنا، انفجر ضاحكاً.

_أعلم ما تحاول فعله.

_أنت لا تعلمين عني شيئاً إطلاقاً.

_بلى.

_حقا؟ وماذا تعلمين؟

_أعلم أنك ممل، متعالٍ، مهمل، كما أنك تحب اللون الأسود وركوب الخيل قالت.

_ألم نأت هنا لكي تريي الألواح؟ أم أنكِ ستستغلين ذلك لتتحدثي عني فقط؟

_ماذا؟ أنت مجنون، ولماذا قد أرغب في الحديث عنك؟ ما الشيء الخاص بك مثلا؟

_أنا لا أدري، أنتِ أخبريني، أو بإمكانكِ ببساطة سؤال نصف فتيات قدر الشمس عن سبب إعجابهم بي!

اضطربت..

_هل يعقل أن يكون ذلك بسبب كونك أميرا غنيا يا ترى؟ أجابت بتهكم، لا تعتقد أنهن هائمات في حبك، أو وسامتك داميان، لا يجب عليك أن تخذع نفسك بهذه الطريقة المضحكة!

_ماذا عن مهاجمتك المستمرة لي، أليست مضحكة؟

_أنتَ من بدأ ذلك!

_بل أنتِ من بدأ هذا، لو لم تتصرفي بتعجرف معي تلك الليلة لما رأيتِ مني هذا!

رأت أنه محق في تلك النقطة إلى حد ما، تعلم جيدا أنها ليست بالشخص الطيب الحميمي حين يتعلق الأمر بالغرباء، لكنها بالطبع لن تظهر هذا أمامه!

_ أعتقد أن كلينا محق إلى حد ما، فلننس تلك الليلة وما حدث فيها، هذا أحسن بالنسبة للجميع.

_ هذا فقط ما ستقولينه؟ أعتقد أنك تدينين لي باعتذار.

ضحكت بشدة ..

_ هذا في أحلامك!

في تلك الأحيان وصلا إلى أحد الأروقة الواسعة، لم يستطع أن يخفي تفاجأه من شدة الدقة و الجمال اللذين كان يراها. سارت بينما كان يتبعها ..

_ إنها رائعة ! لن أنكر ذلك.

_ طبعا لن تنكر، لا أحد يجرؤ على ذلك أصلا. و بينما لاحظت أنه ينظر إلى احدى اللوحات باهتمام تدخلت :

_إنها لوحة مجلس الآلهة، تمثل الملكة في الأفكار والمخاوف حول المملكة، كما ترى فإن الإله أبولو يتصارع مع العيوب، زيوس، آلهة نبتون، فينوس وغيرها، هذا لإظهار دور الملكة كحاكم تم تعيينه من قبل الآلهة، إنها واحدة من المفضلات عندي.

_وماذا عن هذه؟ قال وهو يشير إلى أخرى.

_إنها لوحة جدارية شهيرة جدا، غنية بالرموز الفلكية والأسطورية كما ترى أحب الألواح التي تجسد الآلهة وأغلبيتها تظهر هذا، مثلا انظر إلى تلك اللوحة أشارت بيدها إلى لوحة آخر الرواق، كبيرة مقارنة مع الأخريات، وأكملت: إنها لوحة المريخ والزهرة في فرحة الحب والتي اشتعلت بها آلهة أوليمبوس.. ثم أشارت إلى أخرى وواصلت الحديث:

_وتلك اللوحة تجسد اللحظة التي زار فيها فولكان زوجته فينوس،
والتي لم تتح لها الفرصة أن تكون في حالة حب مع المريخ قبل وصول
زوجها، هذا ما يظهر جمال فينوس العاري والطفل أمور الذي ينام
في المهد في هدوء..

راح ينظر إليها لثوان دون أن يقول أي شيء، يتأمل طريقتهما في
الكلام وحرركات عينها ويدها..

_أنت.. تعرفين الكثير حول الآلهة..

_هذا ما يعلمه الجميع هنا، فكما تعلم فسكان قدر الشمس
يؤمنون بهذه الأمور ويقدمونها.

_أعلم، فخالتي سيتيناى تؤمن بهذه الأمور.

_وماذا عنك؟ ألا تؤمن بها؟

_أنا لا أعلم، أقصد.. هناك الكثير من الآلهة، يعتقدون أنها تقوم
بالكثير لأجلنا، لكنني أؤمن بما هو أعمق وأكبر.

_ما الذي تقصده بأعمق وأكبر؟

_أؤمن أن هذا الكون مثالي إلى أبعد الحدود، وإن قرّر مجموعة من
الأشخاص أن يكوّنوه فلن يتفقوا على كل شيء، هذا أكيد، لكن الأمر
ليس كذلك.. وكأن الجميع اتفق على تفاصيله هذا أقرب إلى
المستحيل، أعتقد أن هناك أحدهم خلف هذا، أنها قوة الآلهة.. هذا
أكيد، لكنها ليست مقسمة بين العديد من الآلهة..

_تقصد أن هناك إلهًا واحدًا خلف هذا؟

_أجل، هذا معتقدي، وأرغب في الحفاظ على هذا المعتقد بشدة..
لحظات من الصمت ..

_ أعتقد أننا رأينا بما فيه الكفاية، علينا أن نلتحق بالبقية..
أوماً هو بدوره مؤيدا لها..

شعرت أنه يسرع بخطواته فقررت أن تجاربه في ذلك ..
" ما خطبه؟ هل يخفي عجلات تحت سرواله؟ "

_ هلا خففت من سرعتك لو سمحت؟

وبينما حاولت أن تسبقه بخطوة تعثرت في فستانها الطويل والتوت
ساقها فجأة، بينما كانت على وشك السقوط التفت في طرفة عين،
أمسكها من إحدى يديها، بينما أحاطت الأخرى بخصرها لتسقط بين
ذراعيه، ثوان ينظر كل منهما إلى الآخر..

" يا إلهي، هل أنا في قصة ساندريللا؟ "، هل حقا حدث معي ما
يحدث في الحكايا؟ كان ذلك ما يجول في خاطرها..

" إنها تشبه ساندريللا! " وكان ذلك ما يجول في خاطره..

_ يجب أن تنتهي أكثر، ما معنى أن تسرع في المشي؟ قال.

_ أنا .. أنا لم أنتبه، إنه الفستان على الأغلب، قالت بتلعثم وهي لا
تزال تنظر إليه..

لوهلة نسيا من يكونان، ونسيا جميع خلافتهما، اكتفيا فقط
بتأمل بعضهما دون أن يشعرا بأن الوقت يمضي..

وانتهى الحلم، وانتفضت أخيرا وهي لا تزال تشعر بألم في ساقها،
فعدت ساندريللا إلى الواقع من جديد..

_ انتهي فأنت مصابة.

_ لا عليك سأندبر أموري...

دام الصمت بعدها طوال الطريق حتى الأسفل.. أين كان الضيوف يستعدون للمغادرة، وبعد مراسم الوداع غادرت العائلة متجهة نحو قصرها بعد هذه الدعوة، وقد غيرت هذه الزيارة الكثير من الأمور .. تلك الليلة كانت استثنائية، انتهت بالكثير من التطورات التي لم يتوقعها أحد، كان قلبها يخفق بسرعة لكنها لا تعرف السبب، بل إنها تعرف السبب، إنه داميان! كانت تفكر في كل ما حدث هذه الليلة بالتفصيل، الاستقبال، النظرات التي كان يرمقها بها ظنا أنها لا تراه، الإصطبل، العشاء، ورواق الألواح، ساقها التي لا تزال تؤلمها، و.. كونها مخطوبة لرجل آخر!
تراخت على الأريكة..

_ الوقت متأخر، قالت.. لن أزعج الخدم بهذا الآن، بإمكانني العناية بساقي غدا صباحا..

بينما نامت هي مباشرة من شدة الإرهاق، ظل هو ينقلب يمنا وشمالا في سريرته، لا يعرف إلى النوم سبيلا، طبعاً، فهما يفكران في نفس الشيء..

_ أليس من المفروض أنني أكره هذه الفتاة؟ تبا.. قال لنفسه: لماذا أفكر فيها إذن؟ أليس هذا كلاسيكيا بعض الشيء؟
_ ما الذي تقصده؟

_ أقصد الحب بعد الكره، أو الحرب والحب في آن واحد..

_ أنا حقا لا أعلم من أين تأتي بهذه التفاهات

_ أخشى أنها ليست كذلك..

_اللعنة! هل أصبحت أتحدث إلى نفسي؟ أعتقد أن الأرق قد فتك

بي..

تمهد تنهيدة عالية، شعرباضطراب شديد، وأن قدرته على التفكير
تتضاءل، أغمض عينيه وقرر النوم في الحال.. لا طاقة له لاستنزاف
المزيد من ذرات ذكائه على هذا الموضوع! أكثر.

" غيرة "

"لم تكن قدماي من تأخذني إليك .. لقد كان قلبي.."

داميان

حريز، صدف، مجوهرات، عطور، أحذية، ملابس، كتب، أواني نحاسية وفخار، أثاث وتحف.. إنه سوق نولان، الباعة يروجون لمبيعاتهم، النساء تتهافتن على انتقاء الأقمشة للفساتين، صخب دائم، وتهافت على السلع كما جرت العادة، لكن هذه المرة مختلفة، المدينة وسط التحضيرات لحدث معين، إنه عيد الزهور، في هذا اليوم من كل سنة تنتشر الورود والأزهار في كل مكان، إنه حدث يكرم فيه كل زوج زوجته، وكل عاشق حبيبته، يهدون النساء ورودا حمراء تعبيرا عن الح وتعبيرا على أن المرأة هي الورد في حياة الرجل، إنه رمز للحب في هذه الأرض تغسل فيه أيادي النساء بمياه بحيرة راما النقية، ويجدد قسم الإخلاص بين كل ثنائي، كما يربط خيط الوفاء على أيادي كل أنثى على أرض المملكة.. وأهم شيء هو ارتداء الفساتين الحمراء.. تستمر الاحتفالات حتى غروب الشمس..

_هيه ، أيها البائع! بكم هذا الحذاء؟

_إنه بعشر قطع نقدية أيها السيد .

_هذا باهض جدا!

_إنه مستورد، ونوعيته جيدة جدا، كما أنه مناسب لكل

المناسبات!

_ أو تظنني مغفلاً! إن سعره لا يتعدى الأربعة قطع، أتى لكم أن تكونوا انتهازيين لهذه الدرجة؟

هذا شيء يخصني أيها السيد، كيف لنا أن نسدد الديون إن لم نرفع الأسعار؟

_ هناك ما يعرف بقانون السوق، لا يمكنك بيع شيء بضعف سعره الذي يستحقه، هذا انتهاك للقانون.

_ومن أنت لكي تعلمني أصول البيع؟ أنا تاجر منذ ١٥ عاماً.

_أنتم بهذه الطريقة تستغلون حاجة الأغنياء وتستضعفون الفقراء، لا عجب أن هذه البلدة في أزمة..

_ولكن، من أين أنت؟

_وهل يهمك كثيراً من قد أكون؟ أم أن معاملتك معي قد تتغير بتغيري إلى شخص أجنبي؟

_ومن تكون؟

_أنا من سيغير الكثير في هذه البلدة..

كان هذا آخر ما قاله قبل أن يتوارى عن الأنظار..

_ألم تعلم مع من كنت تتحدث؟ قال أحدهم، إنه ديميتير، الأجنبي

الجديد في ديوان القضاء، لقد سمعت أن المملكة تزيد من أعضاء الديوان لتحسين ظروف المدينة، وديميتير تم تعيينه لكفاءته العالية في هذا المجال.

_أرجو أن ترحمنا الآلهة، يظهر أنه لن يتساهل مع أحد!

في الديوان..

_ من الجيد رؤيتك هنا سيدتي، كنت على وشك إرسال الخبر إلى القصر.

_ لقد أصيبت قدمي قبل أمس واضطرت للاعتناء بها، لقد وصلت للتو، ما الجديد يا يمان؟

_ لقد قرر الديوان بأمر من الأمير داميان أن تتم محاكمة القاتل بارفن بعد أسبوع من الآن، وطلب منا استشارتك في الأمر.

_ حقا؟ اطلب منك داميان هذا؟

_ أجل، أهنك خطب ما؟

_ كلا، أنا موافقة، سيتم إطلاق الحكم بعد أسبوع ، كما قال الأمير..

_ مفهوم، وبخصوص العضو الجديد في المجلس، وصلتني أخبار أنه هنا في البلدة، كما أنه قام بجولات في السوق ليوكب الأحداث .

_ هكذا إذن، بداية معتبرة أليس كذلك؟

_ يظهر أنه جدي جدا.

_ حسنا، فلتهموا بأمر إقامة وراحته، وأرغب في مقابلته غدا

صباحا لأهتمم بالباقي، أهنك كل شيء؟

_ بخصوص عيد الزهور، هو بعد غد كما تعلمين، هل هناك شيء

تريدين إضافته؟

_لا، أعتقد أننا حضرنا ما يلزم وأكثر، أرجو أن لا أجد أخطاء هذا
المرّة.

_الأمر على ما يرام سيدتي، أنا أهتم بذلك شخصياً ..
_هذا جيد.. بإمكانك الانصراف إذن!

لدى قصر عائلة كوروليو..

دخول إلى جناح داميان دون سابق إنذار..

_تبا! هل اعتدت على الدخول إلى جناحي دون إذن يا ثيو؟

_أخبرتني خالتي سيتيناى أنك في القصر فجئت لأنتظرك هنا ..

_ألم تخبرك أنني من أرسلها إليك؟ تمنيت لو أنها وبختك قليلا.

_فلتفرح إذن، لقد حدث ما تتمناه، أمرتني أن أستعد ليوم الغد،

كأنها تعتقد أنني فتاة وعلي أن أكون جميلة.

_ولما لا؟ أعتقد أن اللون الأحمر يليق بكِ أيتها الجميلة .

_أتنعت أخاك بالجميلة؟ كفاك تهكما.

_حسنا، لماذا أنت هنا؟

_في الحقيقة.. أرغب في استعارة حصانك "نجم"، إنه أسرع من

البقية.

_وما خطب فرسك البيضاء؟ ألم تعد تروق لك؟

_بلى، ولكنني أريد حصانا سريعا كما أخبرتك، علي أن أكون في

مكان ما هذه الليلة وهو بعيد قليلا، كما علي أن أعود باكرا كما تعلم.

_وماهي وجهتك؟

_ "أندراتيسيا".

_وماهذا المكان؟

_إنها إحدى أفخم الحانات الموجودة في مقاطعة سيبال غرب

المدينة، هناك حفلة ستقام بمناسبة عيد الزهور، ستكون هناك

أجمل حسناوات البلدة.

_ أنت مجنون! لن تعود حتى مساء الغدا! ألا تعلم أن هناك احتفالاً بعد غد؟ خالتي ستقتلك حتماً إن تأخرت!
_ دعك من هذا، تعلم أنني لن أفوت سهرة كتلك لأجل احتفالاتكم المملة، هل ستعطيني الحصان أم لا؟
_ أيها الأبله، بإمكانك أخذه، لكنك تعلم يا ثيو ما قد أفعله بك إن أصابه مكروه، أليس كذلك؟
_ أعلم حضرة الأمير، بإمكانك قطع رأسي بسيفك الفضي، قال ساخرا.

دارشيء ما في رأس داميان..
_ السيف! لا أتذكر أنني رأيته هنا اليوم، أيعقل أن أكون قد نسيتته بالديوان؟ سأرسل نور لكي يتأكد من ذلك.
_ أخشى أنه لا يستطيع، إنه متوعدك هذا المساء، أرسل أحداً آخر، قال ثيو.

_ أنا لا أؤمن أحداً عليه، سأذهب بعد قليل وأحضره بنفسني، سأخذ حصانا آخر وأترك لك حصاني كما اتفقنا.
_ أنت الأروع يا أمير! فلتحل عليك البركة أينما كنت، أضاف مواصلاً سخرياته التي لا تنتهي..

تلك هي طباع ثيودور، شخصية مضادة تماماً لشخصية أخيه الأكبر، لكن الأمر الغير قابل للنقاش هو مدى حب الأخوين لبعضهما وعدم قدرتهما على التخلي عن بعضهما تحت أي ظرف من الظروف، وهكذا يجب أن تكون الرابطة بين الإخوة، الأواصر الدموية هي روابط بين الأفراد، لكن العائلة هي روابط بين القلوب، تزج عن مجال رؤيتها

العيوب والفروقات ، وتركز فقط على رؤية أعماق الأشخاص ، أن تكون أخا لأحدهم هو أن تتعاهد على حبه كما هو، وليس كما يجب أن يكون، الأخوة حب غير مشروط.

في الديوان، مساء في وقت متأخر..

_ سيدتي، كفاكِ عملاً فالساعة تقارب منتصف الليل، لقد حل
الظلام .

_ لا عليك يا يمان، هناك بعض الأمور العالقة هنا أرغب في إنهاؤها
قبل وصول العضو الجديد غدا، لا يجب أن يعتقد أننا كسالى منذ
اليوم الأول، بإمكانك الذهاب إلى المنزل.

_ أرغب في انتظارك إذا لم يكن هناك مانع.

_ لا عليك، أستطيع تدبير أموري، كما أن العربة تنتظرنني أسفل
الديوان.

_ حسنا سيدتي، ألا تحتاجين أي شيء قبل أن أغادر؟

_ كلا، بإمكانك المغادرة، شكرا لك.

_ إذن، عمتِ مساء سيدتي.

نصف ساعة مرت منذ مغادرة يمان، وعدا حراس البوابة
الخارجية فقد ظلت الأميرة لوحدها داخل الديوان، وكانت على وشك
إتمام عملها، إنها مصرة على تحسين الأوضاع في البلدة ولو كان ذلك
على حساب صحتها الشخصية وراحتها..

سمعت صوت أقدام في الدرج، أحدهم قادم..

_ هذا أنت يا يمان؟ هل عدت مجددا؟

يفتح باب الغرفة دون إنذار مسبق، كان آخر شخص تتوقع رؤيته
هنا وفي ذلك الوقت.

_ ليجاي ! ما.. ما الذي تفعله هنا؟

_ أنا من يجدر به سؤالك عن هذا؟ ألا تعلمين كم الساعة؟

_ من أخبرك أنني لا أزال هنا؟
_ هذا لا يهم، أردت التحدث معك ولم أجدك في غرفتك .
_ لقد تكبدت عناء المعجىء إلى هنا عبثا فأنا أعمل كما ترى، كما أنني
سأنصرف بعد قليل ، بإمكانك المغادرة.
_ تسخرين مني؟ أنسيت أنني خطيبك؟ ستصبحين زوجتي عن
قريب، لا يمكنك تجاهلي بهذه الطريقة.
_ لماذا تقول هذا؟ أنا لا أتجاهل أحدا، وعليك أن تنتبه إلى طريقة
كلامك معي .
_ تعلمين أن هذه هي الحقيقة، تتصرفين بغرابة منذ مدة طويلة.
لقد جاء ليحدثها عن أكثر موضوع لا ترغب في فتحه على الإطلاق،
وفي أكثر وقت غير مناسب له.
_ ليس هذا الوقت المناسب للحديث ولا المكان أيضا، نتناقش في
هذا لاحقا.
_ أنا لم أعد أحتمل يا أماريليس، ألا تشعرين بأنك لست منصفة
في حقي؟
_ هذا ليس صحيحا، تعلم أنني تحت ضغوط العمل و..
_ لا تخلقي أعداءا فهذا لن يبرئك، أنا أيضا أعمل، لكنني لا أتصرف
مثل تصرفاتك.
_ ما الغريب في تصرفاتي؟
_ ألا ترين كيف أصبحت علاقتنا؟ ألم أعد أروق لك؟
_ كما سبق وأن أخبرتك أنا مشغولة الآن، نتحدث بهذا لاحقا. قالت
متهربة من الإجابة.

شعر بعدم مبالاتها مجدداً، فازدرت نفسها ينم عن الكثير من الضيق، وبعد أن اقترب منها أكثر..

_أعتقد أن هذا هو الوقت المناسب، نحن لوحدها والجميع قد غادر، ألا ترين أن هذا حميمي أكثر من جو القصر؟

_ليجاي توقف عن هذا الكلام، هل جننت؟ قالت وهي تجمع الأوراق من على الطاولة .

اقترب منها أكثر حتى التصقت بالحائط ، وظل ينظر إليها نظرة مخيفة إلى حد كبير..

_أجل جننت، أنا مجنون بك، حبك قد دمرني يا أماريليس، قاسية أنتِ، ألا تشعرين بما أعانيه بسببك؟ قال وصوته تغير إلى الأعلى..

_أنا لم أفعل أي شيء لأجعلك تعاني، تعلم جيدا إنني دائما ما كنت هكذا وأن هذه هي شخصيتي الأولى والأخيرة ، كونك لا تحترم عملي وظروفي بات أمرا مزعجا بالنسبة لي!

_هذا لا يهمني البتة ! من حقي أن أحصل على وقتٍ بين أشغالك، بل وعلي أن أكون أهم عمل لك، أفهمتِ هذا؟

_أنت تعلم، استشاطت غضبا، من أنت حتى أفضلك على حياتي ومسؤولياتي تجاه بلدتي؟ نحن نتحدث عن بلدة علي إدارتها على

أفضل وجه، لست أنشغل بجمالي ومساحيقي وثيابي حتى تكلمني بتلك الطريقة المستهزئة، إياك والتقليل مما أقوم به! ولتبتعد من هنا من

فضلك أنت تضايقني ..

التصق بها أكثر وأكثر .. وكأنه يتعمّد ذلك، يريد حزنها بقربه منها
بقدر ما يشعر هو بالحزن ببعدها عنه..

_ ابتعد عني! قالت والدموع بدأت تتجمع داخل مقلتيها ..

_ ما الذي ستفعلينه إن لم أبتعد؟ لا أحد هنا، لن أصمت بعد
اليوم، ستكونين لي وحدي، لن أسمح لك بالابتعاد عني بعد الآن، هل
تسمعينني؟

_ ابتعد عني! صرخت.. أرجوك أن تبتعد عني .

_ أخبرتك أنني لن أبتعد، ستحبينني غصبا عنك إذا تطلب الأمر..

ثم بدأ يلامس وجنتيها بيديه محاولا جعلها تستسلم له..

_ ابتعد عني أيها الوجد!

صفعة!

_ هل ضربتني للتو؟ ألسنت خائفة مني؟ قد تدفعين ثمن هذا

فاحذري يا أماريليس..

_ فلتذهب أنت وتهديداتك إلى الجحيم، أنا لا أخافك ولا غيرك ،

لن تنجو بفعلتك أبدا يا ليجاي، أبدا!

همت بالخروج فمنعها من ذلك، أمسكها من شعرها ورفعها إلى

الأعلى من رقبتها، والدموع بدأت تهمر كالشلال..

_ من أنت لترفعي يدك علي وتضربيني؟ اسمعي، أنت حبيبي أنا،

منذ أن رأيتك أول مرة لم يعرف قلبي سبيلا لأنثى غيرك، أصبحت

سكّيرا أحمقا يعاني الكوابيس ومدمنا على العلاجات المهدئة، هل

تعلمين ما معنى هذا؟

_ أنت مجنون! وهذا ليس حبا، بل هذا مرض!

_أنتِ محقة، لأنكِ أنتِ مرضي، أنتِ مرضٌ مميت يقتلني كل يوم
..رويدا رويدا، ينسف روجي نسفا، ألم يكفك كل هذا لتعاقبيني على
حبك، أكان حبي لك جريمة يا أماريليس؟
_ إياك أن تجعلني أشعر بعذاب الضمير لأنك وغد، هذه طبيعتك،
سكير ولن تصبح أفضل من ذلك! لن يغير هوسك المرضي بي من هذه
الحقيقة! صرخت.
_ سأتغير من أجلك يا أماريليس.
_ أتعلم كم مرة أخبرتني فيما بهذا؟ أتعلم كم مرة سامحتك فيما بعد
أن طلبت فرصة أخيرة؟ لم يكفك هذا، ولم يغير من حقيقتك شيئا،
لست أريدك بعد الآن، ولتذهب العادات إلى الجحيم!
_ أعلم أنكِ تقولين هذا لأنكِ غاضبة، أنتِ تحبينني أليس كذلك؟
راح يقول وسط موجة ارتباك وحنين وغضب هستيرية .
_ أتريد الحقيقة ؟ أنا لا أحبك ، لم أحبك أبدا ، لم تكن سوى
عقبة مميتة في حياتي وستظل كذلك دائما! أنا تعيسة اليوم بسببك
أيها اللعين! لا أحد يحبك أصلا لأنانيتك هذه، لطالما كنت هكذا،
سكيرا وأنانيا، وستموت هكذا! أسمعني؟
سالت دموعها كالنهر، بينما اشتعل هو غضبا مما سمعه، لقد
أسمعته للتو حقيقته التي يمتقها بشأن نفسه، راح يمدد أصابعه على
جسدها رغما عنها، حاول تقبيلها، فدفعته بكل قوة .. لكنها لم تقو
عليه نظرا لقوة بنيتها، حاول فعل ذلك مجددا بالإجبار، فنجح في ذلك
هذه المرة.

_ابتعد أيها الوغد. لن تنجو بفعلتك أبدا.. ليجاي توقف عن هذا أرجوك .

_ستحبيني .. هل تسمعين؟ ستحبيني .. صرخ

_سأموت قبل أن يحدث هذا، اقتلني الآن، الموت راحة من كوني مرتبطة بحتالة مثلك.

اشتعلت عيناه شررا كما لم يفعل من قبل، لقد لامست بكلامها نقطة ضعفه، بل وقللت من شأنه بطريقة شنيعة، هم برفع يده ليضربها من شدة غضبه أين دوى في المكان صوت قوي من خلفه ..

_أيها الحقير! اترفع يدك على امرأة !

توقف عما كان يفعله ملتفتا، فرآه يقف كالبركان ودخان الحمم ينبعث من نظراته، كان ذلك داميان، والذي عاد للديوان لأخذ سيفه الذي نسيه ذلك الصباح في مكتبه ، فقبل وصوله إلى مكتبه عليه أن يمر برواق مكتبها أولا، حينها سمع صوت صراخها فركض إلى الداخل مباشرة ليعرف ما الذي حدث..

لم ينتظر كثيرا حتى يهيم بضرب ليجاي بكل ما أوتي من قوة ، لكلمات على الوجه، على البطن، الساقين، الظهر، وسائر جسده، وسط وابل من الشتائم، حيث جعل منه مجموعة من القطع المتناثرة لتمثال محطم..

_ليس لك شأن بيني وبين خطيبي! اغرب من هنا ..

_أوما ما زلت تتكلم ؟ لكمة أخرى، أسقطه أرضا وانهال عليه بالضرب كما لم يفعل من قبل، وبعد جولة أخرى من القتال تذكر

أماريليس، والتي قد انزوت عند ركن من أركان الغرفة، وانكمشت على نفسها وهي لا تزال داخل نوبة من الهلع ..

توقف فجأة عن الضرب ..

_ اذهب من هنا، أقسم أنني إن رأيت وجهك في هذا المكان مرة أخرى فلن تخرج حيا! هل تسمعي؟

فر ليجاي من مكانه بصعوبة بالغة لا يقوى حتى على الحركة ..واقرب داميان من أماريليس بسرعة..

_أماريليس ! اهدئي، لقد غادر، ما من شيء يدعو للخوف .

قالت بأنفاس متقطعة :

_لقد كاد يضريني، كما أنه حاول أن.. حاول أن..

_حاول أن يفعل ماذا؟ أخبريني ..

نظرت إليه بعينين منتفختين وشكل يائس، وأنزلت رأسها خجلا، ففهم ما كانت تحاول قوله..

_هل حاول ذلك الحيوان الاعتداء عليك؟

لا جواب..

_هيا أجيبيني.

أومأت برأسها إيجابا بصعوبة بالغة، شعر داميان بموجة من الغضب ورغبة في قتل ليجاي تندفق داخل جسده، ودّ لو أنه قام بقتله عوضا عن الاكتفاء بتحطيم سائر أطراف جسده ، لكنه تذكر أن عليه التهدأة من روعها أولا، فاقرب منها وضمها إليه محاولا التخفيف عنها..

_اهدئي الآن، أما ريليس أنتِ قوية، الجميع يعلم ذلك، أقسم أنني لن أتركه لجال سيبيله ، سيدفع ثمن ما قام به، أعدك بهذا، انظري لقد انتهى الأمر، أنا معك.

هدأت الأميرة نوعاً ما، لبرهة شعرت بالأمان وهو يحاول حمايتها، لبرهة نسيت كم أنها قوية وشعرت بأنها أنثى ضعيفة تحتاج شخصاً مثل داميان ليحميها من كل شيء، كانت تتمنى أن تستمر تلك اللحظة رغم بشاعة الموقف الذي مرت به..

قد تمر علينا بعض من المواقف أحياناً لتجعلنا نشعر كم أن روحنا هشة إلى حد كبير، وأن غطاء القوة الذي ما ننفك نرتديه ليس إلا قناعاً قد يسقط عند أول عاصفة قد تحدث ، نحن النساء نمتلك تكويناً عجبياً داخلنا، تارة نشعرك أننا أقوى مخلوقات الله وأن ما من حفرة قد تستدرجنا إليها، وتارة أخرى تمسك هشاشتنا وأنوثتنا بزمام الأمور، لتجعلنا نرغب الاهتمام والحب والحماية ممن نعتبرهم بلسماً لقلوبنا المنكسرة، نحن ذلك المزيج العجيب والمثير من الصلابة والرقّة

_كيف تشعرين الآن؟

_بخير، القليل من الدوار فحسب، قالت وهي تسحب نفسها من بين ذراعيه.

_هذا من شدة التعب، أنت تعملين لساعة متأخرة، لماذا لم تطلبي مني المساعدة في هذا؟

_لم أشأ إزعاج أحد بهذا فتدبرت الأمر بنفسني .

_عليك العودة إلى القصر لنيل قسط من الراحة، هيا سأوصلك بنفسني..

_ لا عليك، العربة هنا، بإمكانني الذهاب بنفسني.
_ لا أريد أي اعتراض، لن أتركك لوحدي في هذه الحالة.
" هل حقاً يزعجه كوني في هذه الحال؟ " قالت لنفسها
_ لم تخبرني، ما الذي جاء بك في مثل هذا الوقت إلى هنا؟
_ أتيت لأخذ سيفي الذي نسيتَه هذا الصباح، أعتقد أنني شعرت
بأنك في حاجة إلي..

ابتسمت في خجل..

_ مهلاً، ترغيبين في كسر القواعد قليلاً؟

_ أية قواعد؟ قالت متسائلة.

_ إنها مفاجأة..

أومأت متحمسة..

_ حسناً، إلى المفاجأة إذن..

كانت وجهتها معروفة، لكن بشكل نسبي، سبق وأن أغمض لها
عينها، لكنها كانت تعرف أنها داخل غابة راما، تلك الرائحة التي تعبق
داخل الغابة لا يمكن أن تشمها إلا هناك، إنها حكر على ذلك المكان،
أضف إلى ذلك بريق حبات اللجين الذي كان ينتشر في الهواء والذي
كانت تشعر بملامسته الخفيفة لوجهها ويديها..
أطالاً المشي وهي مغمضة العينين، فأرادت أن تعرف إلى أين
يأخذها..

_ داميان، إلى أين تأخذني؟ ألم نصل بعد؟

_ القليل فقط، لقد أوشكنا على ذلك.

لم تمر أكثر من دقيقة، حتى توقفنا عن المشي، وبعد أن أشاح عن عينها منديلها البنفسجي الحريري الذي كان يحجب عنها الرؤية، لم تصدق ما كانت تراه، إنها بعيدة كل البعد عن النطاق الذي اعتادت رؤيته داخل الغابة، منظر طبيعي لم تر شيئاً بجماله من قبل، كانت زهور الأوركيد تنتشر في المكان بشكل عشوائي ساحر، ذلك ما كان يفسر رائحة الفانيليا التي كانت تعبق في الأجواء ..

_ هذا المكان، إنه فقط.. لا يصدق !

_ الهواء هنا منعش، كنت أعلم أنك ستحبه، لكنك لم تري كل

شيء!

استغربت..

_ هناك شيء آخر؟

أوماً إيجاباً، مشيراً إلى مكان منزوٍ نوعاً ما عنهما، نظرت وإذا بها ترى كوخاً بسيطاً صغيراً، تقديماً بين الزهور حتى وصلاً إلى عتبة المنزل، وحين دخلت، تفاجأت أكثر وأكثر..

_ حسناً، يجدر بي الاعتراف، أنه ليس تماماً كما يبدو من الخارج .

_ أعلم هذا، مرحباً بكِ داخل صندوق أسراري !

_ كنت أعتقد أن مكانك المفضل هو الشجرة الكبيرة المجاورة

للبحيرة .

_ أخبرتكِ أنكِ لا تعرفين كل شيء عني، أنا بئر عميق يا أماريليس..

_ لا شك في هذا.

كان المكان منسقاً ومنظماً بشكل ملفت للانتباه، انتقلت بنظرها من الأشكال المختلفة لآلات الناي التي اصطفت بجانب بعضها

البعض، إلى ركن صغير وضعت فيه بعض الكتب النادرة التي رأى أن يحتفظ بها لنفسه وحسب، إلى بعض التحف الكريستالية التي تبدو حديثة الصنع مجموعة داخل صندوق خشبي قديم، إلى أن توقفت في آخر ركن أين وُضعت طاولة نظمت الأغراض عليها بدقة، لكنها لم تفهم ما يقوم به عليها بالضبط ، أين سألته :

_ ما الذي تقوم به على تلك الطاولة؟ ولماذا تحتفظ بالكريستال؟
_ هذا أمر بسيط ، أحب تشكيل التحف الكريستالية ، فأصنعها هنا كما تشتهي نفسي دون علم أحدٍ، لا أحد يعلم بهذا المكان!
_ ولكن لماذا هنا؟ لماذا دون علم الجميع؟ الأمر يدعو للفخر، لو كنت مكانك لجعلت منه عملاً مستقلاً .

_ لا أرغب في هذا، إنه فقط عبارة عن حماس بالنسبة لي، أقوم بهذا لأرضي نفسي وحسب ، ليس بإمكانك فهم هذا، أحب أن أمارس هذه الهواية فقط لأشعر بالراحة النفسية، لا أريد أن يعلم كل الناس بما يريحني، فقط من اختارهم أنا بإمكانهم رؤية ما أقوم به هنا.

_ هل لي أن أسألك سؤالاً؟

_ بالطبع .

_ كم عدد الذين جاءوا إلى هنا مسبقاً؟

طقق رأسه..

_ هل أنا مجبر على الإجابة؟

_ كلا، فقط إن أردت ذلك.

ابتسم متجاهلاً السؤال..

_ شاي؟

فهمت أنه يتهرب ..
_سيكون ذلك جيداً!
انجلى سواد تلك الليلة بسرعة ، وحل صباح جديد..
_أيها الأمير! أيها الأمير استيقظ .
_سام .. ما الذي تفعله هنا مبكراً؟
_مبكراً! لقد انتصف النهار أيها الفتى .
_تبا! كيف نمت إلى هذه الساعة؟ لماذا لم يوقظني أحد ؟
_اعتقدت أنك غادرت إلى الديوان صباحاً، ليس من عادتك التأخر
هكذا.

_لقد حدثت أشياء كثيرة ليلة أمس وقد نمت بصعوبة بالغة، قال
وهو يغير ملابسه بسرعة.

_وماذا حصل؟
_ذلك الوغد الذي يدعى ليجاي، قام بضرب الأميرة أماريليس،
بالإضافة إلى أنه..
_أنه ماذا؟

_حاول الاعتداء عليها، قال بصعوبة وقد توقف في مكانه..
_لا أصدق هذا ،إنه خطيها، كيف يفعل شيئاً كهذا؟ هذا بمنتهى
الوضاعة!

_إنه لا يستحق أن يكون خطيها أصلاً، من الجيد أنني وصلت في
الوقت المناسب.

_الوقت المناسب؟ وما الذي فعلته أنت؟
_أبرحته ضرباً، قال بكل ثقة.

_ماذا ؟ صرخ سام في اندهاش، هل جننت؟ هل تعرف ما عقوبة
الاعتداء على أمير من السلالة الحاكمة؟

_هذا لا يهمني البتة، من المؤكد أن الملك لن يرحم شخصا اعتدى
على ابنته، كما أنني لن أسكت على أمر كهذا، قال وهو يعدل من هيئة
شعره أمام المرأة .

_هل لي أن أعرف لماذا أزعجك الأمر إلى هذا الحد؟ إياك والكذب
فأنا أعرفك.

وضع المشط جانبا وهم متهريا من الجواب:

_لست منزعجا، أنا فقط أذافع عن كبرياء امرأة أمام شخص
حقير، أكره تلك التجاوزات.

_ماذا عن تجاوزات الأميرة من ناحيتك، اعتقدت أنكما لا تتفقان
بأي شكل من الأشكال.

_هذا الأمر مختلف .

_ألست نادما على ما قمت به أمس؟

_بلى، أنا كذلك، أشعر بالندم لأنني لم أقتله ببطء بدل أن أضربه
_فلتدع أن الأمير ليجاي لن يخبر أحدا عن الأمر، وإلا سيكون له
عواقب وخيمة !

_وكأن هذا يهمني، اسمع، أنا مستعجل الآن، نتحدث في هذا
لاحقا.. وخرج مسرعا ..

_أنت تهرب عبثا يا داميان. عبثا! قال سام في هدوء.

ذلك الصباح في القصر الملكي..

..بينما الجميع مجتمع حول طاولة الفطور في القصر افتتح الملك

الحديث كعادته، موجهًا سؤالًا إلى ابنته :

_ ما أخبار التحضيرات للعيد يا أماريليس؟

_ الأمور على أحسن ما يرام، أشرف على ذلك بنفسي.

_ هل وفرتم ما يكفي من الزهور هذه السنة؟ تعلمين أن أي خطأ

سيكون على عاتق الحكومة.

_ لا تقلق يا والدي فأنا أهتم بالأمر، سيكون كل شيء كما أريده أنا

في كل شيء ! قالت وقد علت نبرتها، تعجبت والدتها من أسلوبها..

_ هذا أكيد يا ابنتي، وهل تدخل أحد في عملك منذ أن بدأتِ به؟

_ أنا لا أقصد العمل فقط يا أمي، أتحدث عن قرارات أخرى

تخصني أنا.

_ عن أية قرارات تتحدثين؟

_ لقد حسمت أمري بخصوص أمرٍ مهم أرى أن من واجبي إطلاعكم

عليه .

وضع الملك الشوكة والسكين وأشبك أصابع يديه..

_ نحن نسمعك..

_ ليس الآن، غدا عيد الزهور، إنها مناسبة سعيدة، وهذه المناسبة

السعيدة لدي خير جميل سأعلنه للجميع.. خير يخصني أنا، قالت وهي

تبتسم وتنظر إلى ليجاي الجالس عند آخر الطاولة، تجمدت الدماء في

عروقه لسماعه لما تقوله، يعلم حق المعرفة أن الأمر يتعلق بمصيرهما،

لكنه ينكر بينه وبين نفسه ما قد تقدم عليه أماريليس، كما أنه لا

يستطيع التدخل لأنه يعلم جيدا ما أقدم على فعله، إنها الآن حرفيا كالقنبلة الموقوتة، إن سحب طرفها فستنفجر وسيحدث إثرها انفجار لن تكون آثاره جيدة على موضعه كأمر..

_ لا أعتقد أنه شيء يتعلق بالعمل، هل أنا محقة؟ قالت والدتها.
_ سيعلم الجميع التفاصيل غدا، إلى ذلك الحين أترككم فليدي موعد في الديوان، أرجو للجميع يوما طيبا!
أوما الملك والمملكة لها كتحية قبل أن تغادر متجهة إلى الديوان، أينما يوجد دائما ما هو أسوأ..

..حين وصلت الأميرة إلى الديوان مرت أولا على قسم الشكايات لتتأكد أن كل شيء على ما يرام، كانت التاسعة صباحا، مرت بعدها إلى مكتب يمان لتأخذ بعض الأوراق، وانتهت أخيرا بالوصول إلى مكتبها أين استغربت لأمر ما..

_ عفوا؟ أعتقد أنك السيد ديميتري باركاستا أليس كذلك؟
_ أجل، هذا صحيح.

_ لم يخبرني مساعدي أنك في انتظاري.
_ هذا لأنني أتيت مبكرا جدا، أعتقد أنه لا يعلم أنني هنا حتى.
_ أوه آسفة، سعيدة بلقائك، قالت وهي تصافحه، أنا أماريليس، المسؤولة القضائية و القانونية لقدر الشمس، والموكالة الرسمية لإدارة شؤون البلدة، بإمكانك الدخول..

بعد أن جلسا طلبت منه أماريليس أن يعرفها على نفسه أكثر..
_ حسنا، اسمي الكامل هو ديميتري باركاستا لايسون، من أرض آرما المجاورة لأرض قدر الشمس تحديدا من مقاطعة الوادي الأحمر، 36

سنة، أعزب، أعمل كمدافع عن المتهمين مع خبرة مسبقة في مجال القضاء، متطلع على 24 قانون قضائي بما فيهم قانون نولان، عملت في بلدي كمستشار ومساعد خاص لمسؤول ديواننا القضائي، كما عملت في مصلحة الأمور المالية لمدة سنة ونصف، أعزف على الكمان، كما أنني طباخ ماهر! قال ضاحكا

_ هذه سيرة جيدة سيد باركاستا، قالت بتفاؤل، أرجو أن تستفيد بلدتنا من أناس لهم خبرة مثلك، هل زرت بلدة نولان من قبل؟ أم أن هذه أول زيارة لك هنا؟

_ لقد جئت إلى هنا سلفا، لكن هذا كان منذ مدة طويلة، كنت في السادسة من عمري حين كنت أرافق عمي عبر السفن لإيصال البضائع وأخذها من هنا، كنا نمضي يومين أو ثلاثة كل مرة.

_ ولماذا توقفت عن المجيء بعد ذلك؟ ألم تعد أرضنا تروق لك؟
_ على العكس، أردت ذلك حقا، لكن ذلك لم يكن بيدي، توفي عمي بعد وفاة والدي بسبع سنوات بنفس المرض، لقد كان بمثابة أب لي، هو من قام بتربيته، بعد ذلك واصلت العيش مع والدتي لوحدها ..
_ أنا أسفة جدا ، لم يجدر بي أن..

_ لا عليك أيتها الأميرة، هكذا تجري الأمور في الحياة، كما أن القدر معاكس دائما، فها أنا مجددا هنا، قال وهو يبتسم..

_ سعيدة بانضمامك إلى مجلسنا، بإمكان يمان أن يزودك بالتفاصيل حول الظروف التي تمر بها أرضنا وعن المشاكل التي نواجهها، الأمر الذي تطلب حضورك إلى هنا سيد باركاستا، أنت تفهم أليس كذلك؟

_لقد سبق وأن أخذت فكرة عن ما يحدث هنا، لدي مخططات قد تفي بالغرض، لن يدوم الأمر طويلاً هكذا، ثم أنني هنا من أجل هذا، سأساعد قدر الإمكان.

_أرجو ذلك سيد باركاستا، أتمنى ألا تدخر أدنى جهد لمساعدتنا على مجابهة الأمر، حسناً أعتقد أن هذا كل شيء، بإمكانك مباشرة العمل في الحين، مكتبك جاهز وكل شيء على ما يرام.

_باستثناء شيء واحد.. قال

_ماذا؟

_بما أنني أناديك بالأميرة أماريليس، فمن الغريب أن تناديني باسم

العائلة أليس كذلك؟

ضحكت بعفوية ..

_حسناً سيد ديميتير، لك ذلك

_هذا أفضل بكثير، والآن أطلب منك الإذن للذهاب إلى مكنتي

فالواجب ينادي !

أومأت له لكي ينصرف، شعرت بالراحة قليلاً بعد أن تعرفت عليه

فقد كانت تحمل مخاوف من شخصيته خاصة أنه أجنبي، لكنه أثبت

لها العكس وبجدارة..

كان الأمير على وشك الوصول إلى مكتبه حين تذكرها..

_تري كيف حالها؟ قال في نفسه.

قرر أن يمر عليها ليطمئن على حالها، لم يكن سهلاً ما مرّ عليها

أمس..

في ذلك الحين كان ديميتري يدرس كل جانب من جوانب وظيفته الجديدة، وذهب بعد ذلك إلى مكتب أماريليس ليسألها عن بعض الأمور..

دق الباب ..

_ ادخل.

_ أعتذر عن الإزعاج، هناك بعض الأمور التي أرغب في مناقشتها معك شخصياً، إذا لم يكن هناك مانع.

_ هذا أكيد، بإمكانك الدخول.

وبعد أن دلف إلى الداخل..

_ بخصوص الميزانية الشهرية المخصصة لتزويد مدرسة الأطفال بالكتب والأدوات المدرسية، أقترح زيادة الميزانية قليلاً، مؤكداً أن هذا سيساعد الأطفال على التعلم بشكل أفضل، فكما تعلمين فهذا المال يقسم على تجديد المدرسة ، الطعام، مراسم الأعياد واللوازم الدراسية من اوراق وحبر وغيرها..

_ أعتقد أن الوقت غير مناسب حالياً لمثل هذه الزيادة يا سيد ديميتري، البلدة تعاني من نقص في الاموال كما تعلم.

_ لكن الأمر قد يسوء فيما بعد، أذكر أنه في إحدى المرات قد عانت مدينتي من شيء كهذا ، وانتهى الأمر بإضراب المعلمين عن العمل، ليس هذا فحسب، توقف الأطفال عن الدراسة لمدة 15 يوماً، وهذا بسبب سوء الظروف الدراسية وعدم القدرة على دفع رواتب المعلمين، كان حقاً شهراً عصيباً..

_ لن أسمح لأمر كهذا أن يحصل، حسنا ، بإمكاننا إطلاع أعضاء الديوان على اقتراحك في الاجتماع المقبل، سأقترح أن نزيد الميزانية بمبلغ معين، ثم ننتقل إلى التصويت، أعتقد أن هذا حل يرضي الطرفين.

_ هذا جيد، أعتقد أنها بداية موفقة لعملنا معا، ابتسم.

_ جيد، ماذا أيضا؟

_ بخصوص مبيعات سوق نولان، رسمت مخططا يبين الاستغلال الواضح للتجار لحاجة الناس، أرباحهم تزيد على حساب القدرة الشرائية للمواطن، عليكم أن تلقوا نظرة عليه، نهض من مكانه واقترب من الأميرة ووضع المخطط أمامها وعلق على بعض النقاط..
_ نعم، لقد لاحظت هذا، سأريك ملفا حضرته مسبقا بخصوص هذا.

حين همت بالنهوض لإحضار الملف التصق شعرها الطويل كعادته بالمقعد، كانت تنوي تسريحه كما اعتادت أن تفعل حين اقترح ديميتير مساعدتها، رغم أنها اعتضت إلا أنه أصرّ على ذلك..
في تلك اللحظة حدث ما كان متوقعا، كان داميان يراقبهما وعيناه تشعان غضبا وهو لا يزال لا يعرف هوية ذلك الشخص الذي اقترب بذلك الشكل منها.

_ مهلا، لا شأن لك بذلك، تراجع ! قال لنفسه ، يفضل أن أعود لمكتبي ، يظهر أنها ليست حزينة إلى ذلك الحد الذي توقعته.
وعاد داميان أدراجه..

بعد مناقشة أماريليس لديميتير لمدة نصف ساعة بعد ذلك..

_أعتقد أننا تحدثنا بخصوص كل شيء، لا مزيد من التعديلات،
قالت مازحة.

_هذا كل شيء لحد الآن، لكنني لا أعدك بشيء، تستطيع الأفكار
أن تزورني في أية لحظة!

_هذا جيد ، بإمكانك أن تتقدم للديوان بأي تعديل تراه مناسباً،
بعدها نرى إمكانية تطبيقه، حتى بإمكانك استشارة الأعضاء هنا،
خاصة.. الأمير داميان، هو خبير أكثر من غيره.

_بالطبع سأفعل ذلك، أنا أطلب الإذن للذهاب الآن .

..مر ذلك اليوم بشكل طبيعي، الجميع غارق في التحضيرات ليوم
الغد ، فالنساء في العيد تجهزن حلّمن وزينتهن، الرجال يجهزون
الهدايا والورود لهن ، كان جوا لطيفاً، أينما ذهبت تشعر برائحة الحب
تعبق في كل مكان..

اليوم المنتظر

اليوم ،أرض نولان مشرقة على غير العادة، الحماس مضاعف والكل سعيد، كل اللحظات الجميلة تتشاركها النساء مع أزواجهن، كل واحدة ترغب في ان تثبت أنها الأجمل وأنها محور الحب، إنه عيد مخصص لهن، عيد الزهور..

في قصر كوروليو ..

_ثيو أيها الوغد ! ألم تستيقظ حتى الآن!

..لا جواب ..

_أنا أكلمك أيها الأبله ! هيا استيقظ.

_دعني وشأني أريد النوم.

_أتريد أن ألكمك؟ إنها الساعة التاسعة ، ألا تعلم ما هو اليوم؟

فتح عينيه فجأة وكأنه استعاد ذاكرته في تلك اللحظة..

_زهور العيد ! اللعنة ! انتفض من مكانه بسرعة البرق.

_كلا بل إنه عيد الزهور ، أنسيت حتى كيفية الكلام ؟

_هلا تكرمت بالانصراف لأغير ملابسي، وصلت متأخرا ليلة أمس،

وأشعر بألم فضيع في رأسي.

_هذا طبيعي، من المجنون الذي يذهب إلى الجهة الغربية قبل

العيد بيوم واحد؟

_هلا توقفت عن مناظراتك عن الواجبات ؟ أنا بالكاد أسمعك،

خالتي سيتيناى ستقتلني حتما، لم تخبرها أنني نائم أليس كذلك؟

_هي من أرسلتني إلى هنا ، متأكد من أنها تعلم ذلك ، الجميع
مجتمعون في الأسفل، والمدينة بأكملها تعج بالصخب، أنت الاستثناء
الوحيد في القصة !
_اسمع ، عليك أن تلبي خالتي ووالدي ريثما أنتهي من تحضير
نفسي.

_لا تقلق، نعودنا على تصرفاتك يا مدمن النساء.
_هيا اذهب من هنا فلا وقت لخطاباتك منذ الصباح .

في الأسفل حيث الكل مجتمعون..

_عيد سعيد زوجتي العزيزة، أمل أن يزيدك العيد سعادة وجمالاً،
قال نازي لزوجته سيتيناى.

_شكراً لك عزيزي، أرجو أن تستمر سعادتنا للأبد.
التفتت إلى الأولاد تحمل في يديها سلة مليئة بالورود الحمراء، والتي
أخذت تعطي منها لكل من في القصر..
_عيداً سعيداً أُمي، قالت كلارين لوالدتها بينما أخذت وردة من
السلة.

_ولكِ كذلك جميلتي، أمل أن تكون حياتكِ جميلة كجمال مُحياكِ
ابتسمت الفتاة في خجلها المعتاد ، وبينما قبلت سيتيناى ابنها
الصغير كوناى:

_ولكن أين داميان وثيودور؟ تساءلت.
_أنا هنا ، قال داميان القادم من بعيد.
_عيداً مجيداً مرة أخرى خالتي، وأخذ وردة من السلة وأعطائها
إياها تعبيراً عن الاحترام وواصل الكلام:
_أود بهذه المناسبة شكركِ على كل ما قدمته لنا كل هذه السنوات،
لقد عوضتنا عن غياب والدتنا، أعلم أنني أعيد نفس الكلام كل سنة،
لكننا حقاً ممتنون لك بحياتنا.

_لا تقل هذا يا صغيري، هذا واجبي، أنتم سعادتي في هذه الحياة
! لكن، أين أخوك؟
_قادم، إنه قادم.

_لقد جئت ! أليس من الغريب أنك أنتِ من تقدمين لنا الورد
اليوم يا خالتي في حين أنه من المفروض أن هذا واجبنا ؟
_أيها الشقي ! هل يجب أن تفوت اللحظات العائلية كل مرة؟
_أعتذر خالتي ، عيدا مجيدا، أرجو أن تظلي بمثل هذه القوة التي
تحيطيننا بها دوما، قال مازحا.
_ولك أيضا صغيري، أرجو أن يأتي العيد المقبل ومعكما زوجاتكما،
ألن تستطيعا إسعادي بزواجكما أيها الولدان؟
لاذ كلاهما بالصمت المتعمد لبرهة..
_اعفيني من هذا يا خالتي، أنسيت أنني الأصغر سنا ، داميان أولى
بذلك.

التفتت بنظرها إلى داميان منتظرة إجابة ..
_سيتم ذلك في الوقت المناسب حتما ، لا تقلقي بشأن ذلك. قال.
_طبعاً، سننتهي من زواج صغيرتي كلارين أولاً، ثم سأهتم بكما،
ستأتي عائلة أليكسي لزيارتنا هذا المساء، وسنتكلم بخصوص موعد
الزواج، أليست متحمسة لذلك يا كلارين ؟
اعتلى ذلك التعبير الحزين وجهها مجدداً، طبعاً، فهي لا تريد
الزواج، أو بالأحرى لا تريد أليكسي، بل تريد الشخص الذي يشغل
تفكيرها ليل نهار، إنه داميان ، لكن الرياح لا تجري دائماً بما تشتهي
السفن ..

أومأت إيماءة خفيفة مع ابتسامة باهتة كي لا تدخل في نقاش مع
والدتها، أين فهم داميان الأمر فهي قد سبق وأن لجأت إليه تطلب منه

أن ينهي مهزلة زواجها ولأنه كان يراها كأخته الصغرى التي يخشى
حزنها وعدها بحل المشكلة..

_ فلنركز الآن على الاحتفال، ثم نهتم بذلك، تدخل داميان لإنقاذها
من هذا أين تعهد بينه وبين نفسه أن يخرجها منه مهما كلفه الأمر،
لكن ليس ليحصل الأمر الذي ترغب به هي ، فهو لا يرى بها ما تراه هي
به مع الأسف ..

في نفس الوقت عند العائلة المالكة..

جناح الأميرة أماريليس يفتح بابه على مصراعيه ..

_أختي ، أختي، عيدا سعيدا.

غمرتها سعادة وفتحت أحضانها له ، إنه أخوها الأصغر..

_جان، وسيهي الصغير، عيدا سعيدا لك أيضا ، ماذا تفعل هنا؟

_أعتذرا يا سمو الأميرة، لقد أصر الأمير الصغير على رؤيتك قبل

الجميع، قالت الخادمة.

_لا عليك، من الجيد أنكم هنا.

_لقد أخبرت أُمي أنني سأكون أول من يهنئك بالعيد وقد سمحت

لي بذلك.

_أحسنت أيها البطل ، أرى أنك تكبر بسرعة.

_أجل، عمري سبع سنوات، وسأصبح مسؤولا للديوان مثلك.

ضحكت ..

_أوه لقد أخفتني، هل تريد أن تأخذ مكاني في الديوان؟

_كلا، ستكونين مساعدتي..

_طبعاً، تضحك مجدداً، سيكون هذا رائعاً ! ما رأيك أن نذهب لكي

نهي البقية ؟

كان القصر غارقاً في احتفال الزهور، حركة وحماس على غير

العادة..

كانت الأميرة تسير في الرواق رفقة أختها الأصغر ذاهبين إلى البقية

لهننوهم بالعيد، أين صادفت في تلك الأحيان آخر شخص قد تتمنى

رؤيته في يوم سعيد كهذا ..

_عيدا مجيدا أماريليس.

وباستهزاء:

_لا أصدق أن لازال بإمكانك الوقوف أمامي والتظاهر بأن شيئا لم

يحصل. قالت

_أرجوك أن تسمعي، اسمعي لي أن أشرح لك الأمر.

_لا أريد سماع شيء منك، لم يعد هناك ما نتكلم عنه الآن. بدلا

من هذا عليك أن تشكرني لأنني لم أخبر أحدا عن مدى دناءتك، قالت

بهمس.

_أماريليس أنتِ تخطئين كثيرا، أرجو أن تمنحيني فرصة لأصلح كل

شيء، لا يمكن لهذا أن ينتهي بهذه الطريقة!

_لكنني لا أريد إصلاح شيء وخاصة معك أنت ، وكما ترى فهناك

طفل صغير هنا وعليه ألا يسمع حديثا كهذا، اذهب من هنا حالا ، لا

أريد رؤيتك مجددا.

_ولكن..

_هل أصبحت لا تفهم اللغة العربية ؟ أم أنك بدلا من ذلك تفضل

الاعتداء على النساء؟ قالت مشبكة ذراعها غير عابئة لوجود

الخدمات.

تدفقت الدماء إلى وجهه ..

_حسنا سأذهب، لكننا سنتحدث بهذا لاحقا، لا يمكنك الهروب

مني بهذه السهولة، أنت خطيبي وستصبحين زوجتي عما قريب! قال

ثم التفت وغادر المكان مسرعا.

_خطيبتك.. لن يدوم هذا طويلا أصلا، قالت لنفسها، اليوم هو بداية جديدة يا أماريليس فلا تدعي أحمقا برياً يفسد صفوه، أكملت ثم واصلت طريقها..

دامت في القصر لاحقا التهانى والمباركات وتوزيع الورود بين النساء، سعادة عارمة كانت تحوم في كل غرفة من القصر، كل أنثى تشعر بالفخر لكونها كذلك أحيانا علينا أن نشكر الله لأننا نساء ، أن تكوني امرأة يعني أن يحترمك الصغير قبل الكبير، مكرمة، أنثوية ، جميلة باختلافك ، محبة لغيرك ، رفيقة درب ، أما وأختا وزوجة، النساء هبة من الخالق تخفف من قسوة هذه الحياة..

بعد أن انتهى الجميع من تبادل التهاني ، قررت الملكة فتح الموضوع المنتظر:

_ابنتي، كنت قد أخبرتنا أمس عن شيء مهم تودين إخبارنا به أعتقد أنه الوقت المناسب لذلك.

_أجل أمي ، لكن أين البقية؟

_الرجال في الحديقة، أخبرونا أن نلتحق بهم حالما نجتمع كلنا ليبدأ الاحتفال .

_ماذا عن ليجاي؟ أين هو؟ سألت أماريليس.

_لقد التحق منذ قليل بالبقية في الحديقة ، أجابت والدته.

_هذا جيد ، أرغب أن يكون موجودا حين أتكلم..

في الحديقة وبعد أن اجتمعت العائلة بأسرها هناك، تبادلوا

أطراف الحديث قليلا، إلى أن وقفت أماريليس بينما الكل جالسون:

_إذا سمح لي الملك فهناك أمر أود إخباركم به جميعا، لا أريد إخفاء هذا بعد الآن..

صمت الجميع ..

_أجل ، نحن نسمعك يا ابنتي.

وبعد هدوء دام لثوان..

_يعلم الجميع القواعد في هذه البلدة ، وخاصة تلك التي تطبق على العائلة الحاكمة، هناك بعض القرارات التي لا مجال للتراجع فيها، إنها بمثابة كسر حجر كبير، وعلى الرغم من صعوبة القيام بذلك ، إلا أنه ليس بالشيء المستحيل، أنا اليوم أريد أن أكسر هذا الحاجز وأريد أيضا أن أكسر أحد تلك القواعد، ومع الأسف الشديد لا توجد قوة في هذا العالم ستمنعني من فعل هذا، وأرجو من الجميع احترام قراري وعدم التدخل فيه ، قالت وهي ترسل نظراتها إلى زوجة عمها..

لا يزال الجميع ينظر إليها في ترقب..

_من اليوم فصاعدا، أنا أنهي علاقتي وبشكل رسمي بالأمير ليجاي،

لا يوجد هناك ما يربطنا ببعض ابتداء من هذه اللحظة !

انتفضت والدتها من مكانها مصدومة:

_أماريليس هل جننتِ؟ أنسيت أنك ابنة الملك ولا يحق لابنة الملك

إلا الزواج من العائلة الحاكمة لاستمرار نسلنا؟ هذا مستحيل!

_أعلم أنني كذلك يا أمي، لكن مصير هذه القيود اللامرئية هو

الزوال عاجلا أم آجلا، كما أنني لن أكرر الخطأ الذي قامت به أختي

سمارا، أنسيت أنها انتحرت بعد كل تلك السنوات فقط لأنها أحبت

رسام القصر ماركو؟ أنتم لم تنسوا المسكينة سمارا أليس كذلك؟ لا

أحد يتحدث عنها إطلاقاً ! لن أقع ضحية لهذا فقط لإرضاء هذه السلالة وقيودها..

تذكرت الملكة ذلك الحادث الأليم الذي جعلها تفقد ابنتها الكبرى ، امتقع وجهها فجأة، هي لم تنس أبدا كيف كانت هي والملك السبب في موت ابنتهما لأنهما عارضا حبها لشخص بسيط، لقد لامست أماريليس بكلامها الوتر الحساس..

_ هل تمزحين يا أماريليس؟ أو تظنين الزواج من ابني مزحة ؟
_ أنا لا أمزح يا عمتي فكما ترين فأنا جدية جدا ، لم يعد بإمكانني تحمل هذا أكثر، وإن تطلب الأمر فسأتخلى عن صفتي كأميرة لأجل هذا ..

بدأ الجميع يتهامس ويتبادل التساؤلات فيما بينهم ، وسط كل هذا لاذ كل من الملك وليجاي بالصمت، يعلم هذا الأخير جيدا أن هذا نتيجة لأفعاله وأنه إن حاول قول عكس ما تقوله هي فستفجر القنبلة التي بداخلها : أنه حاول الاعتداء عليها في الديوان ..

قطع الملك فجأة سبل تفكيره :

_ أماريليس ، هل أنت متأكدة من قرارك ؟ لا مجال للعودة مرة أخرى.

_ أجل يا أبي أنا متأكدة ، ولدي أسبابي الخاصة.

_ هل لنا أن نعرف أسبابك يا أماريليس ؟ قالت مالين بوقاحة.

_ إنها خاصة كما قلت يا خالتي مالين ، هل تعانين من مشاكل في

السمع أنت أيضا؟

أشاحت مالين بنظرها واكتفت بالسكوت ، فواصلت أماريليس :

_أعتقد أن كلامي أصبح واضحاً للجميع، وأرجو التصرف وفقاً لهذا ، وأعتقد أن ليجاي يوافقني الرأي.

_دعونا نسمع رأي ليجاي بخصوص هذا ..قال الملك.

_أعتقد أن أماريليس محقة ، لا مستقبل لما كان بيننا ، إن لم تكن الأميرة مرتاحة معي فلن أستطيع إسعادها مهما حاولت ، قال يائسا.
_ولكن يا ابني..

_الأمر محسوم يا أمي ، قرار الأميرة واضح وأنا أحترم ذلك.

_جيد ، إن كان هذا قراركما فلا داعي لأن نضغط عليكما ، قال الملك خوفاً من أن يحصل معه ما حصل مع ابنته المتوفية مرة أخرى ، على المملكة منذ الآن أن تعلم أن الخطوبة الرسمية بين الأميرة أماريليس والأمير ليجاي قد انتهت اعتباراً من هذه اللحظة ، أرجو أن يكون في هذا القرار خير لكليهما .

كانت تلك نهاية العلاقة بين أماريليس وليجاي للأبد، علاقة أشعرتها بالاختناق لسنوات ، كان ما فعله لها ابن عمها سبباً مقنعاً لتتخلص منه دون الشعور بعقدة الذنب أو عذاب الضمير، تعلم جيداً أنه أحبها كما لم يفعل من قبل، كما أنها شعرت بأشياء تجاهه سابقاً ، لكن هذا انتهى منذ زمن طويل، دائماً ما كانت تقدس نفسها قبل كل شيء ، هي الآن حرة سعيدة راضية عن قرارها مهما كان ثمنه.. لا شيء أسوأ من أن تشعر بقيود لا تراها تربطك ، تتحكم فيك ، تملي عليك ما يجب أن تفعله ، تهيك عن القيام بما تشهيه نفسك ، تجعل منك دمية لرغباتها الخاصة ، تود فقط لو أنك تتخلص منها مهما كلفك الأمر، تقف تارة ، وتسقط تارة أخرى، لكن الأهم.. هو أن

لكل بداية نهاية، فإذا كان تواجدنا في هذه الحياة محتوما بالانتهاء ،
فلماذا لا تنتهي العادات والتقاليد التي تكبل أيدينا وتستغل الأديان
لتبرر فلسفاتهما الغريبة ؟ الدين أعلى من أن يستغله أحد ، الدين
يحث على الرحمة ، المودة ، الحب ، التأخي والتأزر، هو حتما ضرورة،
لكنه ليس قيادا .. أيعقل أن حفنة من القواعد التي وضعها أجدادنا
ممن لا يجيدون حتى كتابة أسمائهم منذ مئات السنين أن تتحكم
بحياتنا نحن اليوم ؟

"اتباع التقاليد لا يعني أن الأمموات أحياء، بل أن الأحياء أموات .."
ابن خلدون

"جريمة"

"كنت أستطيع طلب العفو للنجاة ، لكنني كنت ميتا حتى وأنا على

قيد الحياة "

بارفن

في الديوان، بعد منتصف النهار..

_ سيدتي ! لقد تم تأكيد الخبر.. بارفن قد انتحر!

_ لا أصدق ! أم أن أحدهم قد قتله يا يمان ؟

_ الأمر مؤكد يا سيدتي، لقد أخبرني حارس الزنزانة أن بارفن ليلة

أمس قد طلب حبرا وأوراقا ، استجابوا لطلبه ظنا منهم أنه يريد كتابة

شيء قبل أن نقوم بإعدامه، الأوراق وجدت فارغة إلا ورقة واحدة ،

كما أنه كسر علبة الحبر بعد ذلك وقام بقطع شرايينه ، وجده الحارس

منذ قليل غارقا في دمائه..

_ الهروب ، لقد أراد بفعلته هذه الهروب من دفع ثمن ما قام به

مع والدته، يعلم جيدا أننا سنقوم بإعدامه غدا.

_ ما الذي سنفعله الآن سيدتي ؟

_ مبدئيا أخبر أعضاء الديوان بهذه المستجدات ، اليوم عطلة ولا

أحد يعمل كما تعلم ، ثم .. ما أمر الورقة التي تركها قبل أن ينتحر ؟

_ لا أنصحك بقراءتها سيدتي.

_ لماذا؟

_ إنها فضيحة..

_ هيا أعطني إياها..

أخذت منه الورقة وباشرت قراءتها..

"أنا بارفن، هذا ما ينادونني به منذ ولدت، أنا من قام بجريمة أقل ما يقال عنها أنها شنيعة ، قتلت أُمي ! نعم أنا هو الفتى الذي قتل والدته بدم بارد ، لكي أكون صريحا فقد كنت ثملا ، فحسب ما أتذكره أنني كنت أراها جرذا وليس إنسانا ، هذا لا يهم الآن، لا يحق لأحد أن يلومني على ذلك ، هي من جنت على نفسها ، لو أعطتني ذلك العقد اللعين منذ البداية لربما كانت حية الآن، لكنها امتنعت عن ذلك ، لم ترد إعطائي ما أريد فأردت أن أعطيها نهاية لن يكون لها متسع من الوقت لتنسأها ، هي ببساطة كانت تتألم ، أتذكر جيدا أنني رأيتها تتألم ودموعها تنهمر وهي تنظر إلي نظرة أدرك معناها جيدا ، كانت خائبة الظن ترجوني أن أنقذها من ذلك الألم الفظيع ، ساعدني يا وحيد أمك ، هذا ما ظلت تردده ، لكنني ببساطة كنت أنظر إليها دون شفقة ، ولأكون صريحا أكثر فقد كنت أتلذذ بذلك ، كانت الدماء تسيل على جسدها البدين ملطخة بذلك فستانها البشع ، اللعنة ، لطالما أخبرتها أنني أكره لون ذلك الفستان ، أخبرتكم أنني لست مذنبا ، رغم أنني كنت أتذكر ما يحصل إلا أنني قد كنت ثملا ، لا ذنب على شخص أسرف في شرب الخمر ، لن أكون ملاكا وأتظاهر أنني أشعر بالندم لأنني لست كذلك ، لو عاد بي الزمن لفعلت نفس الشيء ، ربما بصورة أشنع ، أنا اليوم أيها الأندال أعترف بما قمت به ، لكنني مع الأسف الشديد قيد الاعتقال ، ولا مجال للهرب من هنا ، غدا موعد إعدامي ، لكنني قررت أن أكون الطرف الفائز في هذه القصة ، فكما حكمت على والدتي بالموت فما أنا الآن سأغادر هذا العالم القبيح

بالطريقة التي أريدها، فدائماً ما كنت أنهي الأمور بطريقتي، لن أسمح لكم أبداً بقتلي ، فلتذهب بلدتكم وقوانينكم إلى الجحيم..."
وانتهت الرسالة..

تراخت أماريليس مباشرة على كرسيها من قوة الصدمة لما أنهت قراءته للتو، سلكت دمعة طريقها على وجنتها..
_أنا حقاً عاجزة عن الكلام ، أتى يمكن لشخص أن يكون هكذا يا يمان ؟

_أخبرتِك أنها فظيعة سيدي ، أرجوكِ تمالكِي نفسكِ.
_لقد قتل والدته يا يمان ، لقد قتل الشخص الوحيد الذي أحبه دون مقابل في هذه الحياة، لبرهة اعتقدت أنه قد يشعر بالندم لما قام به، لكنه لم يفعل ..

_لقد أنهى حياته بيده وهذا ليس بالأمر السهل ، أعتقد أنه قد عاقب نفسه بنفسه وأن هذه عدالة الطبيعة.

_كلا يا يمان ، لقد اختار أسهل الطرق ، كان يعلم أن الديوان لن يرحمه أبداً ، لكنه قام بخداعنا للمرة الثانية !

_هو في كلتا الحالتين في عداد الموتى ، هاهو جنى ما فعل بيديه، نفس تلك اليدين اللتين قتلنا عجوزاً بريئة.

_المسكينة ، فلترقد بسلام أينما كانت !

انتشر الخبر بسرعة في سائر أنحاء المملكة ، القاتل أنهى حياته بنفسه، لأول مرة ليس هناك حزن على الوجوه ، ذلك الحزن الذي

يشعر به الناس غالبا عند موت أحدهم ، هذه المرة كانت مختلفة
تماما !

العودة إلى الديوان ..

باب الأميرة يفتح..

_أماريليس ، هل صحيح ما سمعته؟

_أجل داميان ، مع الأسف.

_كيف يمكن ذلك ؟ ألم يكن غدا موعد محاكمته؟

_هذا ما حصل ، أعتقد أنه فعل هذا كنوع من الانتقام من

الديوان .

_كان يستحق نهاية أسوء.

_هذا صحيح ، حتى أنه ترك رسالة يشرح فيها كل شيء ، لا أنصحك

بقراءتها.

أمسك الأمير الرسالة بين يديه..

_إنه حقا مريض نفسيا ، قال .

شعرت بحزن كبير لما تمر به وهي داخل المكان الذي لطالما أحبت

العمل فيه على الرغم من التعب الذي تعاني منه..

_إنه أسوء عيد يمر علي وعلى قدر الشمس ، لم أتوقع أن تحصل

معي كل هذه الأشياء هنا تحت سقف هذا الديوان ، كم أشعر بالقرف

من كل هذا..

_ما الذي تقصدينه ب " كل هذه الأشياء " ، أهنالك شيء لا أعلمه؟

_كلا ، أتكلم بشكل عام فحسب ، قالت متهربة.

ثم تذكر ما الذي كانت تقصده بكلامها ، كانت تقصد ليلة الحادثة

هنا..

_بالمناسبة، كيف حالك ؟ علمت بأمر انفصالكِ عن ابن عمك،
على الرغم من أنه كان نذلا ، إلا أنه يؤسفني ذلك.

_أنا بخير لا تقلق ، كما أنه لا شيء تأسف عليه ، لقد أشعرتني
ليجاي بالاختناق لسنوات وها أنا الآن أفضل ، قالت بإيجابية.

_يسعدني أنك سعيدة ..

شعرت بالإطراء والخجل..

_بالأذن ، علي الذهاب الآن، قال متداركا الموقف بعد أن شعر أنه

ساذج جدا لقوله ذلك، وبينما هم بالخروج :

_داميان !

التفت مرة أخرى ..

_أجل ؟

_أود أن.. أود أن أشكرك.

_تشكريني على ماذا ؟

_بخصوص تلك الليلة ، أقصد .. لو لم تكن هنا لما علم أحد بما

قد يحدث ، شكرا لك.

أصابته غمرة من السعادة فجأة..

_ تتحدثين عن الجولة السرية، أم عن إبراهيم ليجاي ضربا ؟

ابتسمت..

_عن الاثنين معا.

_تقصدين، لا عداوة بيننا منذ اليوم؟

_أجل ، أجابت بهدوء.

_أصدقاء ، أليس كذلك؟

وبتلقائية لم يعهد لها منها:

_أجل ، أصدقاء..

غادر وظل خياله داخل المكتب ، لا تزال تحدد في المكان الذي كان يقف فيه ، على الرغم من أن الأمور لا تزداد إلا سوءا إلا أنه ينجح دائما في رسم الابتسامة على مُحيّاها ، جلست على كرسيها ثانية مفكرة في اضطرابه وهو يقف أمامها ، فسافرت بأفكارها إلى الماضي عائدة إلى تلك الليلة التي أمضتها تستكشف خبايا غابة راما معه..

فلاش باك..

_هل لي أن أسألك سؤالاً؟

_بالطبع .

_كم عدد الذين جاءوا إلى هنا مسبقاً؟

_هل أنا مجبر على الإجابة ؟

_كلا ، فقط إن أردت ذلك.

..

_شاي ؟

_سيكون ذلك جيداً.

قام بإعداد قدحين من الشاي على الطريقة البسيطة ، وجلسا

معا يشربانه في هدوء تام :

_أود شكرك على هذا.

_عن ماذا؟ الشاي ؟ أوه بربك أنا أعد أسوء شاي في العالم .

_كلا ، عن تكبيرك عناء الاعتناء بي ، تعلم أنك لست مضطراً لهذا

بل أنا كذلك ، ولعلمك فأني شخص كان ليفعل ذات الشيء ، لا

تفكري في مثل هذه الأمور.

_لكنك أنتَ من فعل ذلك، وليس أحد آخر..

شعر بالإطراء الشديد..

_إنه ليس بالأمر الكبير، لم أكن لأراكِ تعانين وأن أتغاضى عما

يحدث..

أشاحت بنظرها إلى الأرض..

_هل كان سؤالك صعباً إلى هذا الحد ؟

_ عن أي سؤال تتحدثين؟

_ لا تتظاهر بأنك لا تفهم ، هل هناك من جاء إلى هنا سابقا ؟

عرف أنه لا مجال له للهرب هذه المرة..

_ شخص واحد فقط.

_ من هو؟

_ لديك الحق في الحصول على إجابة واحدة في كل مرة ! أردف

مستغلا الأوضاع ليعرف عنها معلومات أكثر ، فضحكت..

_ هكذا إذن؟

_ أجل، جاء دوري الآن ..

_ حسنا ، لك ذلك .

_ ما الأمر الذي جعل ليجاي يقوم بفعل كهذا؟ أليس المفروض أنك

ستتزوجينه؟

_ بلى ، لكنني ببساطة أصبحت لا أكن له أي شعور، وكأنني أختنق

وأنا مخطوبة إليه ، لا أحتمل رؤيته ولا سماع نبرة صوته، لقد كان

الأمر أشبه بالكابوس!

_ على كل حال فهو وغد لا يستحق فتاة مثلك!

_ دوري الآن، قالت متداركة تلك اللحظة .. لماذا أنتَ وحيد ؟ ألم

يسعفك الحظ بحب إحداهن؟

"ياللي من غبية ، بالطبع قد وقع في الحب ، ليتني لم أسأل سؤالا

ساذجا كهذا، لقد أصبحت أبدو كمراهقة حاملة " قالت لنفسها.

طقطق رأسه مستعينا بنظرة تحمل كل معاني الألم والذنب..

_أجل ، كان اسمها هالة ، كانت رائعة ، كانت كنسمة الهواء،
تجدها في كل مكان ، حنونة ، أنثوية ، جميلة ، لو لم يحدث ما حدث
لربما كان لدينا أطفال الآن ..

_وما الذي حدث ؟ سألت والفضول يأكلها .

_هل نسيتِ ؟سؤال واحد فقط ! إنه دوري الآن .

_حسنا ، أجابته بيأس.

فكر قليلا ثم أردف:

_ هل تعتقدين أن التعافي من الألم مسألة وقت أم عزيمة ؟

_أعتقد أنها الاثنان معا ، أن تشفى من الألمك يعني أنك تحتاج

لوقت، فأنت لا تملك عصا سحرية للقيام بذلك ، كما أن العزيمة

ضرورية فمن دونها لا تستطيع القيام بشيء حتى لو كانت أمامك

سنوات حياتك كلها !

_هذا يعني أن النسيان قرار أليس كذلك؟

_أجل ، هذا صحيح.

_ماذا عنك؟ هل شفيتِ؟

استغللت الموقف لصالحها ..

_أنسيت يا داميان ، سؤال واحد فقط ! أخبرني، ما الذي حدث

مع هالة؟

_لقد كانت مدمنة، كان المشروب هوسا بالنسبة لها، كنت إلى

جانبا رغم كل شيء ولم أضعها لحظة، ووعدتني أن تحاول التعافي منه

وهذا ما فعلته، أو على الأقل هذا ما أبدته لي، لأكتشف بعدها بمدة

أنها لا تزال تشرب الكحول دون علمي، لا أستطيع إحصاء عدد المرات التي كان علي حملها فيها وإعادتها إلى المنزل وهي ثملة..

_ إذن انفصلتما بعدها أليس كذلك؟

_ كلا، وعدتني مجددا أنها ستحاول من جديد، لم أشأ تصديقها لكن شيئاً بداخلي دفعني إلى ذلك، لكنني أخطأت للمرة الثانية، ولم يتوقف الأمر على ذلك فحسب، اكتشفت أنها كانت تمنح نفسها للرجال مقابل المشروب حين تنتهي أموالها، فكرت وفكرت، كدت أجن حينها، كما أنني أوشكت على قتلها، لكنني لم أشأ أن أضيع المزيد من سنوات حياتي بسببها..

_ ماذا فعلت إذن؟

_ غادرت حياتها بهدوء وكأن شيئاً لم يكن.

_ ألم تشعر بالندم لتركها بعد ذلك؟

_ أبداً، كنت أعلم أنه ما من جدوى من المحاولة معها، كنت أريد الزواج منها رغم معارضة والدي ورغم كل عيوبها، ففي النهاية نحن بشر ولا أحد مثالي بيننا، لكنها كانت مغامرة فاشلة، والابتعاد عنها كان أفضل قرار اتخذته في حياتي..

_ هل التقيتما بعدها؟

_ كلا، لم أسمع عنها شيئاً منذ آخر مرة رأيتهما فيها..

استفاقت من ذكرياتها على صوت يمان يطرق بابها ، والذي طلب رأيها في بعض الأمور.. كانت تشبه ذلك الأرنب الجريح الذي وجدته مرمياً ذات يوم في الغابة ، كلاهما بدأ يشفى من جراحه ، كلاهما بدأ يللمم شتات نفسه راغباً في الوقوف على قدميه من جديد ، فبعد

تجربة قاسية، على المرء أن يقدس نفسه قبل كل شيء ، وأن لا
يجعل من الناس إلا نجوما في سماءه ، فإن ذهبت تلك النجوم ، فما
أجمل السماء وهي صافية!

بعد أسبوع من ذلك..

ساعة مرت منذ أن جلست مالين مع ابنتها في غرفتها..

_دعيني أرّ، هذا أيضا ليس جميلا ، جربي الفستان الأسود..

_اوف ! أمي ، هذا خامس فستان أجربه ، لقد سئمت!

_هيا فلا وقت لدي للتذمر ، تريدين الذهاب لزيارة عائلة زوجك

المستقبلي في ملابس الخدم يجب أن تكوني قمة في الجمال.

_أمي أنت تضغطين علي كثيرا ..

_وماذا كنت تنتظرين؟ أن أترك زمام الأمور لك لكي تفعلي كما

فعلت أماريليس مع خطيبها أم تريدين الوقوع في حب شخص فقير

كما فعل هيندر أخوك وسمارا ابنة عمك ؟

_هل أصبح الفقريعبا ؟ لا أرى فرقا .

_هيرا، لا تكوني متمردة فهذا لن ينفعك، أنت أميرة وعليك

التصرف وفقا لذلك.

_ولكنني لا أريد هذا الزواج المدبر، أليس لرأيي أية أهمية؟

_لقد أعطيتك وقتا بما يكفي لتكوني حرة ، اليوم جاء دوري لأنني

أعرف مصلحتك أكثر منك ، نائل شخص جيد وهو من مستوى عائلتنا

، كما أنه غني جدا، هل رأيت تلك المنازل الفخمة التي تقابل ميناء

نولان؟ كلها له، بالإضافة إلى الكثير من الأراضي والمحلات، من بينها

خمس محلات للمجوهرات ، ماذا تريدين أكثر من هذا؟

_الحب يا أمي، أريد الحب، لا أستطيع تقاسم الحياة مع شخص

لا أحبه.

_ستحبيته بعد الزواج، هذا الأمر محسوم ،جهزي نفسكِ
وسأوافيك بالأسفل ، ستفعلين ما أقوله هذا المساء والنقاش محسوم.
انتهت هيرا إلى أنها في مأزق حقيقي ، لا تريد الزواج من أحدهم
بينهما هي تحب شخصا آخر، أحد حراس القصر ، كانت تعلم أن
معركتها ضد القدر وضد إصرار والدتها معركة خاسرة لا محالة
فقررت وضع حد للأمر ، على الرغم من أنه جد صعب عليها ، إلا أنها
سئمت الوقوف ضد والدتها ، فهي وإن كانت متمردة ، فلن تكون قوية
بما يكفي لمواجهة جبروت أمها ، يكفيها المشاكل التي كانت تعانيها مع
حبيبها السري طوال هذا الشهر ، تلك اللقاءات السرية وعناء إخفاء
العلاقة أنهكها ، فحمل عبء كهذا لأجل شخص لم يقوَ على مواجهة
عائلتها بحبهما رغم محاولاتها إقناعه أصبح يثقل كاهلها وبشدة ، وها
هي على مشارف إنهاء الأمر وبشكل نهائي..

كان الحرس في مناوباتهم يعملون، ومن بينهم ليون، حبيب هيرا
السري، وأحد حراس المكتبة الكبرى للقصر، لمح حينها فتاته قادمة
من بعيد غير عابئة لوجود حراس آخرين في المكان، تجمد الدم في
عروقه، وشعر بالحرارة والبرودة في آن واحد..

_هل جننت! ماذا تفعلين هنا؟ اذهبي فوراً .

_لن أذهب ، ولا يهمني إن رأنا أحد.

_تبا ! ماذا حدث؟ انظري كم حارسا هنا ..

_يجب أن نتحدث ، الأمر ضروري.

_حسنا ، قابليتي الليلة في مكاننا المعتاد ، غادري أرجوكِ.

_الآن ، سوف نتحدث الآن.

لم يستطع إبعادها بأي شكل من الأشكال، طلب منها أن تنتظره في مكانهما على أن يوافقها بعد ربع ساعة لكي لا يلفت الأنظار إليه.

_ ما الذي حدث ؟ أيتطلب أن تداهني مكان عملي؟

_ ليس هذا وقته ، علي إخبارك بأمر مهم.

_ تكلمي !

_ أمي ، مصرة على أن تزوجني، والمملك موافق على هذا..

_ ما الذي تقولينه يا هيرا؟ أليس لك رأي في هذا؟

_ كما أخبرتك ، ترى أن الوقت قد حان لأتزوج ، ولا أستطيع منعها

بأي شكل.

_ لست موافقة على هذا أليس كذلك؟ أخبريني أنك لست موافقة،

تطلع بها في رجاء..

_ ماذا كنت تظن؟ كان هذا سيحدث عاجلاً أم آجلاً، لم أعتقد أنه

بهذه السرعة فحسب.

_ ماذا عن حبنا يا هيرا؟ بهذه السرعة استسلمت؟ قال بحزن كبير.

_ إياك أن تظن أنني لم أحاول منع هذا، صدقني، أتذكر كل كلامنا

وكل أحلامنا معاً، أتذكر كل لحظة حب جمعتنا سوياً، أجمع منذ

سنوات كل رسائلك وأحفظ عن ظهر قلب، إخبارك بهذا ليس سهلاً

أبداً ، ثم .. ألم أطلب منك مئات المرات أن تواجه معي عائلتي لنعيش

علاقتنا بأريحية، لقد رفضت ذلك!

_ لقد سبق وأن تحدثنا بهذا ، لن يرغب المملك في تزويج ابنة أخيه

لحارس، هل تريدني إهانتي أمام الجميع؟ ألم أقل لك مراراً وتكراراً أن

تنتظري قليلاً بعد؟

_ أخبرتك أنني سأدافع عنك حتى آخر دقيقة ، ثم أن رأيهم غير مهم
ولو ضغطنا عليهم قليلا فهذا سيضعهم تحت الأمر الواقع .

_ القصة ليست بتلك البساطة ، صدقيني ، أنا أفكر في كل
الاحتمالات ومن كل الجوانب لكن..

_ الأمر محسوم إذن ، ولا رجعة فيه هذه المرة.

_ هذا يعني أن ما بيننا قد انتهى وإلى الأبد ؟

_ هذا ما فرضته القواعد هنا علينا ، سأحفظ وعدي لك بأن
أحبك دائما ، أنا أعدك.

_ لكن..

_ أرجوك أن لا تصعب الأمر علي ، لا مجال للعودة في هذا ، قالت
والدموع تنهمر..

_ أرجوك أن تسامحني ، وأن تحبني دائما ، كما سأفعل أنا..

..كان هذا آخر ما قالته مغادرة بعدها المكان بقلب يعتصر دما وألما
تاركة خلفها حب حياتها ، تمنى أن تكون بجراً أماريليس لكي تعارض
قرار عائلتها ، لكنها لم تكن كأماريليس أبدا..

سارت هيرا في أروقة القصر تجر نفسها جراً ، يائسة لا تعلم ما الذي
سوف تفعله ، ترافقها دموعها وأحزانها ، باكية حظها وكونها أميرة ..
_ اللعنة على اليوم الذي ولدت فيه أميرة ! قالت مكلمة نفسها..

في أحد أروقة القصر..

_ أنت تفهمين ما أقوله أليس كذلك؟ تعلمين أن هذا سيكون آخر أيامك إن علم أحد بالأمر..

_ نعم سيدتي ، أعلم ذلك..

_ أخبرها أن تعجل من الأمر ، سئمت الانتظار، أعطها هذا الكيس إنه نصف المبلغ ، سأدفع لها الباقي حين يتم الأمر.

_ أمركِ سيدتي..

_ هيا انصربي..

وبينما انصرفت الخادمة :

_ لم أكن أريد هذا ، لقد جنت أماريليس على نفسها.. قالت بصوت خافت ، ثم غادرت إلى جناحها ..

كانت في تلك الأثناء هناك أذنان تسترقان السمع خفية، بوجه باك وعينين منتفختين تسمرت هيرا مكانها تسمع مالا تصدقه ، واقفة في مكانها غير مستوعبة لما يحدث، إن والدته على الأغلب تخطط للقيام بشيء ما لأماريليس لكنها لا تعلم ما هو، كانت تتمنى أن تنطلق كالصاروخ وتخبر الجميع عما سمعته ، لكنها كانت في وضع لا تحسد عليه ، ومن الممكن أن يعود هذا الأمر عليها بالفائدة نظرا لوضعها فقررت أن تستغله لمصلحتها الشخصية ، علّ هذا يؤدي بنتيجة..

في كوخ صغير يبعد بمسافة عن الميناء، مساء بينما الأمطار تتساقط ولا أحد بالخارج..

الباب يدق، إحداهن تفتح الباب..

_ أنت؟ ما الذي تفعله أمام باب منزلي في هذه الساعة ؟

_ هذا ليس وقتا للسؤال، لا شك أنك علمت أن بارفن قد انتحرا أنا

هنا للتحدث بخصوص ذلك.

تغير لون وجهها..

_ لم يتبق أحد في البلدة لم يعلم أصلا، قالت.

_ هناك ما يجب أن أخبرك بخصوصه، أريد منك أن تثقي بي في

هذا ..

تبادلت معه نظرات سريعة ، وتأكدت أن لا أحد يراقبهما ، حينها

فقط أفسحت له المجال للدخول، وبعد أن جلسا وجها لوجه..

_ أنا أسمعك، ما الأمر؟

أعلم كم أنك حزينه لأنه قد مات، كما أعلم أنه ليس الوقت

المناسب لهذا، تعلمين أن بارفن صديقي الوحيد في هذه الدنيا، لقد

تقاسمنا قسوة الحياة وألمها معا، لم تسمح لنا الفرصة أبدا لنكون

سعيدين، ورغم هذا لم نستسلم، فكنا نصنع من ضعفنا قوة

وتتمسك بأصغر الآمال، ثم، جئت أنت، كنت له مثل طوق النجاة ألم

يكن بارفن يحبك بقدر ما كنت تحبينه؟

_ أنا أيضا اعتقدت ذلك ، لطالما أحسست أنني مميزة لديه، على

غرار كل فتيات الحانة كانت نظراته تجاهي دوما ، دافع عني وحماني

من أعين الرجال القذرة ، لقد توقفت عن الرقص في الحانة لأنه أراد

ذلك، اللعنة ، لقد اختار أن ينهي حياته دون أن يفكر بي، كما أنه قتل والدته، أتى لشخص أن يفعل هذا؟

_أنا متأكد من أن ذلك كان حادثا ، حتى وإن كان ينكر ذلك بينه وبين نفسه ، يريد أن يشعر بالذنب لأنه قتل أمه بدون قصد، لقد كان يريد ذلك العقد ليستطيع الزواج منك !

_لقد أخبرني أنه ينوي بيعه ليقطني بثمنه كوخا وبعض الماشية لنا، لم يشأ أن نظل في هذا المنزل المتعفن، لكنني لم أكن أعلم أنه سيقوم بجريمة كهذه في سبيل هذا ! لقد خدعني، إنه لا يستحق لن أبكي لأجله حتى !

_القدر لم يكن في صفه فحسب ، كما أنه كان ثملا، لا يمكننا لومه، وانظري ماذا فعل له الأوغاد ، رموه في السجن، الآلهة وحدها تعلم كم عذبه حتى قرر الانتحار.

_لماذا تخبرني بهذا ؟ لم يعد يربطني ببارفن شيء على الإطلاق !
_أريد منك أن تكوني في صفي، أنت الوحيدة التي اهتَمَّ صديقي لأمرها ، لا أثق في أحد غيرك.
_ما الذي تخطط له؟

_الانتقام، أقسم بروح صديقي أن دمه لن يذهب سداً، لن أرحم الأميرة أماريليس والأمير داميان أبدا ، لولاهما لكان بارفن حيا الآن، وربما كنتما متزوجين!

_هذا غير صحيح ، ألم يخبرك كيف قام بضربي المرة الأخيرة؟ فقط لأنني لم اترك له المجال ليلمسني تلك الليلة .

_لقد كان ثملا ، تعلمين أنه قام بذلك من فرط حبه لك ، طريقته في التعبير عن مشاعره غريبة وعدوانية، هذا طبيعي، فما عاناه ليس بالأمر الهين .

_ليكن، هذا لا يبرر ما يقوم به، ثم أني..

_أنتِ ماذا ؟

_أنا حامل..

اتسعت حدقتاه على آخرهما..

_تقصدين أنكِ ستنجبين طفلا؟

_كلا، سوف أقوم باستخراجه عن طريق أنفي أيها الأبله! هل تعلم

أن صديقك أوشك على قتل الجنين حين قام بضربي؟

_دعينا لا نقم بنبش الماضي، ولنركز على خصاله الجيدة ، لقد مدّ

بارفن يده لي في أصعب ايام حياتي، ولكِ كذلك، لولاه لربما أصبحتِ

بائعة هوى بدل الراقصة، والآن انتِ تحملين ابنه، لقد بات لدينا دافع

جديد للانتقام، ألا تعتقدين أن هذا أبسط ما علينا القيام به تكريما

لذكراه؟

فكرت لبرهة..

_ألا تعتقد أننا لن نقوى على مواجهة الأمير والأميرة ؟ جيش

الديوان بأكملة في صفهما.

_لا تقلقي، لقد خططت لكل شيء، أخبريني سالي، هل أنتِ معي في

هذا الأمر أم لا؟

_وما المطلوب مني؟

_سأشرح لكِ الأمر بأكملة، أنتِ موافقة؟

كانت الرغبة في الانتقام تشتعل داخلها، حتى ولو أنكرت ذلك بينها وبين نفسها، على الرغم من أنه قاتل ، مدمن ، سارق ، وخطير إلا أنه أظهر لها جانباً حنوناً لم يظهره حتى لوالدته ، وعلى الرغم من أنه تركها لوحدها إلا أنها لا تزال تلتمس إليه الأعذار، شعرت بالكره تجاهه وتجاه نفسها لأنها لا تزال تفكر فيه، وفي ما جمعهما، لعنت نفسها مرات ومرات لأن بقايا شخص من حثالة المجتمع كهذا لم تتلاش بعد من قلبها، وهاهي فرصة الانتقام له تطفو على السطح أمامها..

نظرت إليه مرة أخرى وأومأت له بالإيجاب بملامح يائسة..
في جناح السيدة مالين، جلست مقابلة المرأة بينما تمشط شعرها الأحمر الطويل، دخلت هيرا واقتربت منها، بينما أخذت المشط وأخذت تمشط شعر والدتها، والشرر يتطاير من عينيها..

_ ألم تجهزي بعد ؟ أخشى أن نتأخر عن موعدنا.

_ أنا جاهزة أمي ، قالت.

_ حسناً ، سنغادر بعد قليل ، لن نجعل عائلة زوجك تنتظر في أول

عشاء بيننا.

_ لقد رأيتكِ ! قالت دون سابق إنذار.

اضطربت مالين فجأة..

_ رأيتِ ماذا؟

نظرت هيرا إليها ووضعت المشط جانباً..

_ لقد رأيتكِ منذ قليل، تتحدثين مع إحدى خادמות القصر.

تجمد الدم في عروقها، هل تراها سمعت ما قلته؟ قالت لنفسها بخوف شديد.

_وماذا؟ أهذه أول مرة أتحدث فيها مع خادمة؟ كفاك سخرية.
_تعلمين ما الفرق بيننا يا أمي؟ إنني لم أرث عنك شعرك الأحمر المخيف هذا، ولا نبرة صوتك الغريبة والمربكة تلك، كما أنني لا أضع الناس موضع الأغبياء، بينما أنت تفعلين ذلك وباستمرار.
ازدردت ريقها..

_ما الذي سمعته أيتها المتطفلة الصغيرة؟ صرخت
_كل شيء! لقد سمعت كل شيء، كنت تتحدثين عن إيذاء ابنة عمي أماريليس وعن كيفية التخلص منها! صرخت بدورها.
_كتمت مالين فم ابنتها في دعر محاولة إسكاتها..
_أيتها الشمطاء الصغيرة! أنتِ لم تسمعي شيئاً هل فهمت؟ ذلك الأمر لا يعنيك أبدا!

_بالطبع يعينيني، أنت ترشين الخدم ليقوموا بأعمالك القذرة بدلا عنك!

_اغلقي فمك حالا، أنسيت أنك تخاطبين والدتك؟ أهكذا قمت بتربيتك؟ أنا أفعل كل شيء لأجلك ولأجل أخوك أيتها البلهاء..
_أنا لا أريد شيئاً منك، لا شيء إطلاقاً، انفجرت هيرا باكية.
وضعت الأم يديها على وجنتي ابنتها رغبة في احتواء ابنتها ومعانقتها لكن هذه الأخيرة دفعتها بعيداً..

_لا تقتربي مني! لا تلمسني بيديك القذرتين هاتين.

لم تعر كلامها ذرة من الاهتمام..

_اسمعي، سنتحدث بهذا بعد أن نعود من الدعوة هل هذا واضح؟
وإلى أن يحدث ذلك عليك ان تبقي فمك الشقي هذا مغلقا، وإلا لن
أرحمك، اتفقنا عزيزتي؟

شعرت بالذعر من طريقة أمها في الكلام، إنها حقا خطيرة، نبرتها
تلك كما قالت هيرا تشبه فحيح الأفعى، لكنها لن تبدي هذا أمامها ،
فتظاهرت بالعكس..

_لن أذهب إلى أي مكان قبل أن..

_ستذهين، شئت أم أبيت؟ ستذهين ، هذا أمر مني.

لم تجد الصغيرة ما تقوله ، كانت تعتقد أن بإمكانها تهديد والدتها
لكن آمالها باءت بالفشل، غادرت الجناح بعينين باكيتين ، لا تنفك
تفكر في ماهي مقبلة عليه وفي أماريليس التي أصبحت حياتها في خطر
منذ تلك اللحظة..

في الديوان..

أصبح الجو هادئاً نوعاً ما بعد تلك الحادثة التي وقعت الشهر الماضي، أي انتحار بارفن قاتل والدته، الجميع على رأس عمله، بدا أن آثار تلك الصدمة بدأت تتلاشى لتعود الأمور إلى طبيعتها، على الأقل فهذا ما تبدو عليه..

واصل ديميتير العضو الجديد في الديوان حل المشاكل المالية التي كانت البلدة غارقة فيها، وكان يستعين في بعض الأحيان بأماريليس، لكنه في أغلب الأحيان كان يستغل ذلك فقط لكي يمضي المزيد من الوقت معها، كان هذا واضحاً، وبينما الجميع في اجتماع ذلك الصباح: _حسناً، على ما يبدو فأنا أرى تحسناً طفيفاً في بعض الأمور، هذا مؤشراً جيد.

_بالضبط سيدتي، كمية الشكايات التي تصل إلينا في انخفاض ملحوظ، كما تم نشر تفعيل قانون منع الوساطة بين المواطنين ومبتغاه، تعلمين أنهم يأخذون حصة مقابل هذا، هذا سيزيد من خزينة البلدة. _أنت محق يا يمان، أعتقد أنه يجب علي استغلال هذه الفرصة لأشكر ديميتير على ما قدمه لمملكتنا طوال هذه المدة، الديوان ممتن لخدماتك.

_أنا لم أقم إلا بواجبي يا أماريليس، الفضل يعود إليك. في حين تبادلتهما لابتسامات خاطفة، بدا أن هذا الاتفاق بين أماريليس وديميتير لم يعجب أحدهم، كانت هناك عينان تراقبان الحديث في صمت، وكانت تبدو على وجهه علامات الاضطراب، تدخل فجأة معترضاً:

_أنا لا أعتقد أن تلك المؤشرات التي تحدثتم عنها هي سبب كافٍ لكي نحتفل أن حتى لنكون سعداء، لقد تعودنا خلال عملنا هنا أن الأمور تُكَلَّلُ بالنجاح تارة وبالفشل تارة أخرى ، هذا لا يعتبر نجاحاً ! نظرت إليه أماريليس بارتياح فهي لم تره متشائماً بتلك الطريقة أبداً من قبل..

_أنا لم أقل أن هذا نجاح أمير داميان، نحن فقط نقيم الوضع وعليه نضع الملاحظات ، أجب ديميتر بهدوء.

_حتى تكون تلك الملاحظات قيد المناقشة يعني أن ترقى أولاً إلى المستوى المطلوب، ولا أرى أن هذا كافٍ.

_أعتقد بأنك مخطئ، أمير داميان، هذا مناف لقانون العمل هنا وأعتقد أنك أدري بذلك ، أي مؤشر يشير إلى تحسن أو سوء الأمور يؤخذ بعين الاعتبار، إن هذا مذكور في الملحق الثالث من قانون إدارة شؤون المملكة ، أعتقد أنه ذكر في الصفحة الخامسة والتسعين إن لم أكن مخطئاً، فما تعليقك على هذا؟

ظل الجميع مندهشاً من دقة ديميتر في معلوماته، ومن بينهم داميان ، لم يسبق لأحد أن حفظ القوانين بهذه الطريقة ..

_ربما، لكنه يبقى ناقصاً، نحن هنا يا سيد ديميتر لم نقم بإدارة مملكة قدر الشمس بناء على التكهّنات، نحن استخدمنا المنطق والمنطق يقول أن الدقة هي أساس كل نجاح، هذا مذكور في الملحق الخامس من قانون الحياة اللعينة التي نعيشها منذ آلاف السنين، أعتقد أنه كان في الصفحة السادسة والتسعين، قال بسخرية.

لم تستطع أماريليس كبح نفسها من الضحك من تهكم داميان المستمر، في حين أنها لاحظت أن هذا النقاش أصبح حادا وقد انحرف إلى مكان سيئ قررت التدخل لإنهائه فورا :

_أعتقد أنه على الرغم من اختلاف وجهات نظركما فإن كليكما محق في بعض النقاط ، يسعدني تبادل الخبرات، هذا يعود بالفائدة على العمل..
لاذ الاثنان بالصمت، لقد أبدى كل منهما موقفه تجاه الآخر بعد الآن..

_أعتقد أن هذا يكفي بخصوص اجتماع اليوم، شكرا للجميع، تفضلوا ..

بعد أن غادر الجميع ظل ديميترا داخل القاعة ..

_أماريليس، بخصوص إجراءات نقل مواد البناء إلى البلدان المجاورة، هناك ما تريدني إضافته ؟

_لا، لقد انتهينا من هذا، أنت تحتاج فقط إلى توقيع الأمير داميان، فكما تعلم فهو المسؤول عن الأعمال البحرية.

_هل أطلب منه ذلك ؟ سأل.

_لا عليك سأقوم بذلك بنفسي.

ابتسم فجأة..

_ماذا؟ سألت .

_أرى أنك تجيدين التعامل مع الجميع هنا، الجميع يحبك

ويحترمك، حتى الأمير داميان !

شعرت بالإطراء من كلامه..

_ هذا لطف منك، ثم أن داميان شخص طيب.
_ لا أعتقد ذلك، يبدو شخصا متغطرسا! لكن بخصوص الطيبة
أعتقد أنك الأطيب هنا، صدّقيني ! قال بتردد.
اكتفت أماريليس بابتسامة وأحنت رأسها بامتنان ..
_ هذا كل شيء، بالإذن أيتها الأميرة ! قال متهريا مما قاله بعد أن
أدرك خجلها..
كالعادة، كان هناك أحدهم يقف خلف الباب مستمعا إلى المحادثة
بين ديميترو وأماريليس ، على قدر ما كان يشعر بالغضب الغير مبرر
تجاه ديميترو إلا أنه ركز فقط على تلك الجملة التي قالتها هي، " إنه
حقا شخص طيب "، مشاعر متضاربة لا يدري ما سببها، إنه فقط
يفكر في أماريليس منذ أيام ولا شيء سواها! لكنه لم يكن الوحيد الذي
كان يتهرب مما يحدث معه ، فهي كذلك تفكر في نفس الأمر غما عنها،
ربما لأنه أنقذها تلك الليلة من خطيئها، ربما لأنها شعرت بالسكينة
حين ضمها بين ذراعيه محاولا تهدئتها ،ربما لأنه شاركهما "صندوق
أسراره " كما يقول، ربما لسبب آخر، الشيء الوحيد الذي باتت
متأكدة منه أن صورته لديها قد تغيرت، الشيء نفسه الذي كان
يحدث معه..

داميان..

دائما ما كنت أظن نفسي ملك المواقف، وسيد قراراتي ، كنت أعتقد أن الذكاء والمنطق بإمكانهما إنقاذني من الأخطاء، أما عن نفسي، فلم أتخيلها أبدا وهي تتخبط وسط قلة الحيلة، هذا ما كنت أوّمن به، حتى تلك الليلة..

الجميع يعلم أن الحياة الليلية بصفة عامة لا تروق لي، لم يسبق لأحد أن شاهد الأمير داميان ثملا وهو يتسكع مع إحدى فتيات الليل، لا أتخيل نفسي أطاردهن لإحداهن لأقضي معها بضع ساعات دون أن أعرف اسمها حتى، أنا حساس جدا من هذه الأمور، تلك الأجواء هي من اختصاص ثيودور أخي الأصغر، صدقوني، بإمكانه التسكع مع أكثر من خمس فتيات في الليلة الواحدة، وأنا لا أعلم حتى الآن ماذا فعل حتى يقنعني أن أخرج معه تلك الليلة للحصول على بعض "المتعة" كما يقول، ربما كنت مشتت الأفكار إلى ذلك الحد، لن أنكر أنني كنت غاضبا ذلك المساء دون سبب وجيه، يمر أمام عيني فقط منظر ديميتير وهو يتغزل بأماريليس أمامي .. كما أنني أشعر أن وراءه شيء ما، وأنه يخفي أمرا ما عن الجميع ، أعتقد أنه ليس تماما تلقائيا وعفويا كما يُبدي أبدا، والوقت سيثبت ذلك..

_ ما رأيك؟ لاتزال تشعر بالندم لأنك أتيت برفقتي ؟

_ دعك مني، تعلم أن هذه الأجواء لا تناسبني كثيرا..

_ أنت تقليدي جدا! ، صرخ في الصخب، بينما أجساد الفتيات

النحيلة تتمايل حول الطاولات مع أنغام الموسيقى ..

صمت داميان وهو يتناول جرعة من كأسه، بينما سأله ثيودور:
_أخبرني، ما الذي يجعلك متضايقا إلى هذا الحد؟
_إنه ضغط العمل لا أكثر، لا عليك.
_بإمكانك خداع خالتي سيتيناى بهذا الكلام، هذا لا ينطلي علي
اسمع ، ألا تعتقد أن حياتك مملة أكثر من اللازم؟
تزحزح من مكانه..
_ما مناسبة هذا الكلام؟ ثم أنني مرتاح وأحب حياتي المملة بهذه
الطريقة.
_أنت تفوت الكثير أخي العزيز، صدقني، انظر، ألا ترى أن تلك
الفتاة الجالسة هناك؟ اسمها فاتن، وهي من النوع الذي يروق لك
كما أنها تنظر إليك منذ أن أتينا ، ما رأيك أن..
_كلا، لا أريد هذا، بإمكانك الحديث معها إن أعجبتك.
لم يستغرب ثيو من تصرفات أخيه، حتى أنه يعلم الإجابة مسبقا
لكنه يبذل ما بوسعه لإخراجه من دائرته المعتادة، لكن وبينما هما
يتناقشان وقعت إحداهن أرضا بجوار داميان، بينما كان أحدهم
يحاول الاقتراب منها رغما عنها ، لينهض داميان مباشرة من مكانه وما
قام به معروف..
لكمة إلى الوجه ..
ضربة أسفل البطن ..
لكمة أخرى إلى الوجه.. ووقع الرجل على الأرض..
_أيها الأبله ! ألا ترى أنها لا تريد الحديث معك؟ أكان ضروريا إهانتها
بهذه الطريقة؟

_وما شأنك أنت؟ إنها ملكي أنا ! قال الرجل في تحدٍ.

_غير صحيح، إنه يكذب، أنا لا أعرفه حتى ! صرخت الفتاة

_أيها الساقطة!

أمسكه داميان من ياقة قميصه:

_اسمع أيها المسخ الثمل، إما أن تغادر هذا المكان حالا أو أن أقتلك

هنا أمام الجميع ، أنت لا تعرف مع من تتعامل ..

_ومن تكون أنت؟

_يُفَضِّلُ لك ألا تعلم، والآن اغرب عن وجهي، ولا تعد إلى هنا مجددا.

نهض الغريب من مكانه بصعوبة وغادر وسط أنظار الجميع ، وفي

حين جلست الفتاة مع داميان عادت أجواء الحانة إلى طبيعتها..

_أنتِ أفضل؟

_أجل، أشكرك على ما قمت به للتو، هؤلاء السفلة ، يظنون أنه

بمجرد أننا نعمل هنا فبإمكانهم الحصول علينا بسهولة.

_تعملين هنا؟

_أجل، أنا هنا منذ شهر، أقدم النبيذ والمشروبات للزبائن، ولا

تنفك أعين الرجال القدرة تلاحقني، لو لم أكن أحتاج للعمل لما قبلت

بشيء كهذا.

_ألم تستطعي إيجاد مكان آخر غير الحانات؟

_كما أخبرتك، جميع من أصادفهم ينظرون إلي بشهوانية، أستطيع

الجزم بأنهم يرون حتى ما ارتديه تحت ملابسي!

_ماذا عن المطاعم العامة؟

_أغلبهم يعطون أجورا تكاد تكون منعدمة ، وأنا أريد توفير المال
لأنني حُبلى.

نظر إليهما في شفقة وحزن باديين، قبل أن ينطق بما أرادت سماعه..

_تريدين العمل حقا؟

_بالطبع! لمعت عيناها.

_أخبريني أولا، هل جربت سابقا العمل كخادمة في أحد القصور؟

_لا، لكنني أستطيع القيام بذلك.

_أنت متأكدة؟ ألن يرهقك هذا العمل وأنتِ تحملين طفلا؟

_ كلا، بإمكانني تدبر أموري.

_إذن، في هذه الحال، أعتقد أنني أستطيع مساعدتك، لا أريد

سؤالك عن والد طفلك فهذا لا يعنيني البتة، لكن بإمكانك الانضمام

إلى فريق الخدم في قصري، لن يقترب منك أحد بهذه الطريقة.

_قصر؟ هل لديك قصر؟ سألت متظاهرة بالدهشة.

_أجل .

_إذن، أنت شخص نبيل كما أخبرت الرجل منذ قليل، أود هذا

حقا، لكنني لا أريد إقحامك في مشكلتي.

_لا عليك ، بإمكانك البدء منذ الغد ، سأخبر رئيس الخدم بنفسني

، سيأتي أحدهم ليقلك إلى المكان، ولا داعي للعودة إلى هنا مرة أخرى.

_أنا حقا لا أعرف كيف أشكرك سيدي، لم تخبرني ما اسمك؟

_أنا داميان، أمير الديوان.

_الأمير داميان! لا أصدق هذا ، بالمناسبة ، أنا أدعى سالي!

في حديقة القصر الخلفية جلس ليجاي ماسكا قنينة من المشروب شبه فارغة ، غارقا في أفكاره السوداء وأحزانه محاولا الهرب من الواقع من خلال الشرب، انحنى إلى الأمام في وضعية الجلوس ماسكا مقدمة رأسه ، الذي كاد ينفجر من شدة الألم ، كان يتمنى في تلك اللحظة أن يكون كل ما يمر به كابوسا سيستيقظ منه يوما ما ، شعر كم أنه جبان لأنه لم يواجه عائلته بما كان على وشك أن يفعله بأماريليس تلك الليلة في الديوان..

اقترب منه شخص دون أن يحدث ضجيجا ..

_ لا عجب أن تعاني من الصداع هكذا، هذا ما يفعله الكحول..

انتبه ليجاي لمصدر الصوت من خلفه لكنه لم يعره اهتماما ..

_ أتعتقد أنك ستحل الأمور بهذه الطريقة؟ لا تظن أن الكحول

سينقذك مما أنت فيه الآن.

_ دعيني في سلام خالتي مالين أرجوك، أنا بالكاد أراك. أجاها على

مضض

_ لقد وقعت في دوامة لا منفذ لك منها ، إذا استمررت بهذا الحال

صدقني فلن يحبك أحد غير أمك ، هذا وإن أحبتك أمك أصلا !

انتبه أخيرا لما قالته فهي محقة، فحتى والدته لا تهتم لأمره، انتفض

من مكانه نحوها بِتَرْتُّجٍ:

_ وماذا بإمكانني أن أفعل؟ هيا أخبريني إن كنت تعلمين.

نظرت إلى عينيهِ مباشرة بكل ثقة :

_ الانتقام.

_ انتقام ماذا؟ سأل بصعوبة

_الم تنظر إلى نفسك في المرأة؟ تشمل ليل نهار كي تهرب من واقعك
لست أنت من عليه أن يعاني هكذا ، أماريليس من علمها ذلك.
_ أنا لا أستطيع القيام بشيء لأماريليس ، لا يمكنني أن أؤذيها أبدا
لا أزال أحبها رغم الظروف ، حتى وإن كانت قد جمعتنا علاقة سيئة
لكنها كانت السبيل الوحيد لتجعلني أشعر بقربها مني ، لكن الآن، كل
شيء انتهى ، إنها لا تنظر إلى وجهي حتى !
_ستنظر بعد الآن..

_كيف ذلك؟

_يعني، بإمكانك استعادة مكانك في حياة أماريليس، أستطيع
مساعدتك في ذلك .

_ولماذا قد تفعلين شيئا لأجلي ؟ سأل في توجس

_لنقل أن هذا سيعود بالمصلحة على كلينا ، أنت ستحصل على

أماريليس، وأنا أحصل على ما أريده

_وما الذي تريدينه أنتِ؟

_السلطة ، أرغب في المكانة والجاه..

_ولكن، فيم قد أفيدك أنا يا ترى؟

_لا تفكر أنتِ في هذا، يكفي فقط أن تنفذ ما أطلبه منك بالحرف

الواحد، وإن نجحت خطتي ، فلن تحبك أماريليس فحسب، بل ستأتي

حتى قدميك ترجو عودتك لها..

فكر لبرهة..

_أنا لا أعلم مدى صحة هذا الاتفاق .

_حسنا، لك ذلك، فلتستمر في الشرب ولتدع حبيبتك الجميلة تقع في
حب نبلاء المملكة ، حينها لا تأتيني طالبا العون لأنني لن أساعدك!
ثم تحركت مغادرة..
شعر أن ما تقوله صحيح تماما، عليه أن يفعل شيئا إذا كان يرغب
في استعادتها من جديد..
_انتظري!
ابتسمت وهي تلتفت له..
_هل .. ستساعديني حقا في هذا ؟
_عزيزي ليجاي ، هل أبدولك كاذبة ؟
_الأمر ليس هكذا، أنا فقط..
_دعك من هذا الآن ، ثم أنني أخبرتك أنني أنوي مساعدتك ، شرط
أن تساعدني أيضا.. ثم تبادلنا معه نظرات لشوان معدودة..
_أخبرني ، هل أنت معي في هذا الأمر أم لا ؟
ظل صامتا قليلا، ثم :
_سأفعل أي شيء لأستعيد أماريليس، حتى وإن كان هذا يعني
خسارة الباقي..

في ذلك الصباح في الديوان..

دق باب مكتب أماريليس.. وكان ديميتير الزائر، لكنها لاحظت أنه لم يكن لوحده بل كان هناك شخص معه ..

_حسنا، أعلم أنك تتساءلين عن هوية هذا الشخص لكنني هنا لكي أشرح لك الأمر..

_حسنا ، لك ذلك ، قالت .

_إنه السيد سامر، قابلته البارحة بينما كنت أتجول في السوق لأتفقد الأعمال هناك، إنه يعلم كل شاردة وواردة حول التجار في السوق ، بإمكانه أن يساعدنا بخصوص هذا الأمر، يعلم من هم التجار الذين يحتالون على الزبائن مثلا ، الأسعار الحقيقية للأشياء تاريخ البائعين.. أقترح أن أتخذه مساعدا ثانويا لي ، ما رأيك ؟

نظرت إلى الرجل ثم إلى ديميتير، ديميتير ثم الرجل ..

_سيد سامر، هلا تركتنا لوحدها لدقيقة؟

_طبعاً ، قال.

بعد أن غادر..

_ديميتير، هل أنت متأكد من أنه بإمكاننا الوثوق بهذا الرجل؟

لم أرتح لرؤيته أبدا..

_بإمكانك الاطمئنان أميرتي ، لقد ساعدني كثيرا أمس وقد أخبرني

بقصته وأرغب في رد الجميل له ، طبعاً ، إذا سمحت أنتِ بذلك.

أومأت له بالإيجاب على مضض ..

_حسنا ، إذا كنت ترى ذلك مناسباً ، أنا موافقة ..

ابتسم لها ..

_أعدكِ ألا تندمي على قرارك هذا.

ثوان مرت حتى طرقت الباب مرة أخرى ، وعلامات الانزعاج على

الطارق ..

_داميان ! أهلا ، قالت.

_أهلا أيها الأمير ، أضاف ديميتير.

تقدم داميان دون أن يعيره اهتماما ، حينها استأذن ديميتير وهم

بالمغادرة..

_هل أستطيع معرفة سبب انزعاجك الدائم من رؤية ديميتير؟

_هل أستطيع معرفة سبب تواجده هنا كلما أتيت ؟

_لا يمكنك الإجابة عن السؤال بسؤال سيد داميان ، ضحكت.

ظل صامتا..

_حقا ، ماذا يزعجك بخصوصه؟

_لا أعلم ، تنتابني الرغبة في إبراحه ضربا كلما رأيته، أعتقد أن

العيون المتورمة قد تبدو جميلة على وجهه.

_هكذا إذن، أخبرني ، هل تقوم بضرب كل من يقف أمامك ؟ أم

أنها رغبة شخصية ؟

_كلا ، فقط من يقترب من الأشياء التي أراها ثمينة، أهذا ما أردتِ

سماعه يا أميرة؟

لم تعرف إن كان عليها أن تفرح لأنه أخبرها بشكل غير مباشر أنها

ثمينة ، أم عليها أن تدافع عن ديميتير لأنه مظلوم في نظرها..

_لكن ديميتير لم يفعل شيئا كي تغضب منه هكذا.

_هل هذا ما يهملك في الأمر؟ مشاعر ديميتير؟ أم أنها تروق لك
مناداته لك بأميرتي؟

_ماذا؟ أنت مجنون حقا ، ثم أنه عفوي لا أكثر، أنت تبالغ..
_ عفوي ؟ إن عفويته هي أكثر ما يزعجني بحوله ، أشعر أنه يخفي
شيئا ما، وإحساسي لا يخيب !

_لماذا ؟ هل لأنك شخص بارد لا يستطيع البوح بمشاعره ؟
_هذا ما يميزني عن غيري يا عزيزتي فأنا لست تافها إلى ذلك الحد
، ألا يعجبك هذا ؟

لم تعرف ما عليها أن تقوله ، ثم أنه قال "عزيزتي" ..
" إنه حقا يصبح مثيرا حين يتحدث بتلك الطريقة " كان هذا ما
تقوله في نفسها..

"ما الذي يحدث لي ، لماذا أصبح ساذجة باستمرار " ، أضافت
بهمس..

_أماريليس ؟ ما الأمر ؟ قال باستغراب
استفاقت أخيرا ..

_كلا لا شيء ، بالطبع ذلك يعجبني ، أقصد ، كلا .. يعني هذا أن..
حسنا ، ما الأمر الذي جئتني لأجله؟

_أردت فقط الاطمئنان عليك ، أهذا ممكن؟
_بالطبع ..في أي وقت..

كانت تشعر بالفراشات تتطاير حولها ، إنه حقا يروق لها .. هي لا
تعلم منذ متى أصبح يروق لها حقا لكنها لم تعد تستطيع أن تكذب
على نفسها بعد الآن، ولحسن الحظ ، كان يبادلها الشعور نفسه.. من

الممتع أحيانا أن يحسّ الطرفان بنفس الشعور ، الأمر أشبه بجسدين ينبضان بقلب واحد ، يتمنيان التقارب ، الحنان ، وتبادل المشاعر والهمسات ، لا يملآن النظر إلى بعضهما ، حتى وإن أمضيا عمرا معا ، يشتاقان بعضهما عند أول لحظة ابتعاد ، الحب لا يعرف الملل ، لغته الوحيدة هي القرب ، الضعف ، المودة والرحمة ..

منذ أيام وهيرا لا تغادر جناحها، مزاجها متعكر، ولا ترغب في الحديث إلى أحد ، لا تزال تفكر فيما سمعت أمها تتحدث عنه ، إنها تريد التخلص من أماريليس ، وكيف أن مواجهتها لأمرها بما سمعته لم تجد نفعا ، فمن جهة هي تعلم أن حياة ابنة عمها في خطر، ومن جهة أخرى فذلك الخطر هو والدتها ، ولا تستطيع أن تؤذي والدتها ، تتمنى لو أنها لم تكن هناك ذلك اليوم ، تتمنى أنها لم تسمع ما سمعته ، لكن الحقيقة غير ذلك ..

دق أحدهم باب جناحها..

_اللعنة، ألم أقل أنني لا أريد رؤية أحدا!

_هذا أنا ، نائل ..هل أستطيع الدخول لدقائق؟

انتفضت من مكانها ، آخر شخص قد تتوقع رؤيته داخل غرفتها

هو خطيها..

شعرها مسدول بإهمال ولا تزال داخل ثياب النوم..

"فليكن، لا يزعجني إن رأني على هذه الحالة ، آخر شيء قد يهمني

هو رأي هذا الشخص " قالت لنفسها

_بإمكانك الدخول..

وقفا مقابلين لبعضهما..

_اعتذر إن كنت قد أزعجتك في هذا الوقت ، أخبرني والدتك أنك
لست بخير منذ أيام وهي لا تعلم لماذا، فأردت أن أطمئن عليك.

_وكأنها لا تعلم السبب ، قالت بهمس.

_هل قلت شيئاً ؟

_كلا ، لا عليك فأمي تضخم الأمور أحياناً، بإمكانك الجلوس..

وبعد أن جلسا ..

_متأكدة أنك بخير؟

" ما خطبه؟ هل هو طيب أم ماذا ؟ " تواصل كلامها مع نفسها

_أجل ، بخير لا تقلق.

_حسناً، أعلم أنه ليس الوقت المناسب لهذا لكن من الأفضل أن

أستغل فرصة وجودنا لوحدها لأستطيع الحديث بخصوص هذا ،

عائلتنا حولنا باستمرار كما تعلمين..

بدا على وجهها علامات الاستفهام..

_أجل ، أنا أسمعك..

_سأوضح لك الأمر وسأختصر المقدمة لهذا، أنا .. أنا، أحب فتاة

أخرى !

تفتحت الورود في وجه هيرا فجأة، لكنها تركته يكمل كلامه..

_حدث هذا قبل أن أتعرف عليك بمدة طويلة بالطبع، لقد كنت

على علاقة بامرأة أخرى..

_هل كان الأمر جدياً بينكما؟ أقصد.. أكنت تنوي الزواج منها؟

_أجل ، لكن عائلتي لم تسمح لذلك بأن يحدث ، كما أصرت هذه

الفترة على أن أتقدم لك ، يظنون أنني سأنسى بهذه الطريقة لكن..

_لكنك لم تستطع أن تنساها أليس كذلك؟
أحنى رأسه مؤكدا كلامها..

_هذا صحيح ، اسمعي هيرا ، أنتِ حقا فتاة جميلة ذات أصل ونسب
أصيلين ، اعتقدت أن علي أن أكون صريحا معكِ ، وأن لا أجعلكِ
تحزين بسببي، لا أعتقد أن سعادتكِ ستكون معي .. أنا لا أستحقكِ
أبدا ، تستحقين أن تشعرى بالحب وأن تتبادليه مع شخص تختارينه
أنتِ ، لكن هذا لن يحصل معي، أنتِ تفهميني أليس كذلك ؟
"بالطبع أفهمك أيها الأبله ! لا أصدق أنني سأتخلص أخيرا من هذه
العلاقة المميتة مع شخص لا أحبه" ..

قررت أن تفتح له قلبها كما فعل هو ، يظهر أنه شخص جيد وليس
" ابن أمه " كما توقعت أن يكون..

_أجل ، نائل أنا أفهمك بشكل جيد، لقد مررت بأمر كهذا من
قبل وتعرف كيف هي طبيعة أمي ، لم أجرؤ على مواجهتها به وانتهى
بصعوبة ، قالت.

_كان عليك الوقوف خلف قرازك ، ولماذا قد ترفض والدتكِ هذا
الشخص؟

_إنه أحد حراس القصر..

_أمر غريب..

_وما الغريب؟

_لقد كانت الفتاة التي أحبها إحدى خادמות قصرنا.. كانت وظيفتها
غسل الملابس وتعليقها في الفناء الداخلي، كم كنت أستمتع باستراق

النظر لها وهي حافية القدمين ونصف مبللة أثناء العمل، كانت عفوية جدا.. واسمها أمل..

_ انها حقا صدفه مثيرة ، أعتقد أن هذه حجة كافية للتراجع عن هذا الزواج ، بإمكانك أن تتزوج من حبيبك هذه المرة ..لا تفقد الأمل.
_ هذا لن يكون ممكنا بعد الآن، قال مبتسما بيأس.

_ لماذا ؟

تهدد..

_ لقد انتحرت ! لا نستطيع الزواج في المقابر أليس كذلك؟ ضحك بلا مبالاة.

لم تعلم هيرا ما علمها أن تقوله في تلك اللحظة ، وكأن كل الكلمات اتفقت على ألا تخرج من فمها..

_إنا حقا آسفة..

_ ليس عليك ذلك ، لقد كانت جبانة ، لم تستطع مواجهة عائلتي بما يكفي وكانت هذه طريقته للتخلص من عبء هذا الأمر، تاركة إياي لمواجهة لوحدي..

_ أستطيع أن أشعر بمدى صعوبة الأمر عليك..

_ نوعا ما أجل، أنا أخبرك بهذا لأنني لا أرغب في ظلمك معي بهذا الشكل، وها أنتِ تقولين أنكِ تحبين شخصا آخر!

_ قصتي أيضا أصبحت من الماضي ، لا أمل فيها بعد الآن، لقد أخبرته أنني وضعت حدا لما كان بيننا لكنه لم يتكبد عناء تجاوز ذلك الحد ، أشعر بمزيج من البرود والتحسر على ما أمضيناه معا ، لا أريد العيش مع حمل كهذا بعد الآن..

_ أنتن النساء غريبات !

_ كيف هذا ؟

_ في حين أنك من تضعن العقبات بمحض إرادتك ، إلا أنك

تشعرن بالخيانة لأننا لم نتجاوز تلك العقبات للوصول إليك !

_ طبعاً ، فهذه طبيعتنا يا عزيزي ، الممكن ممل جداً ، الصعب هو

ما يغيرنا .. تلك العقبات التي نتحدث عنها ماهي إلا اختباريين مدى

صبركم على مزاجنا المتقلب وقراراتنا الغير عقلانية ، وإن رسبت في

الاختبار ، تكون النتيجة سيئة للغاية !

_ في هذه الحال ، مساكين نحن الرجال ، فلسفتنا في رؤية الأشياء

أبسط بكثير !

_ هذا صحيح ، ابتسمت

نظر إليها وهي تتحدث..

_ ماذا؟ سألت بعفوية

_ هل أخبرك حبيبك أنك خفيفة الروح حتى وأنت مرهقة ومكتئبة؟

احمرت خجلاً..

_ كلا..

_ إذن فأنا أنال شرف قول هذا لك لأول مرة..

ابتسمت مجدداً..

_ ماذا سنقول لعائلتنا ؟

_ لا أعلم ، لم أفكر في هذا ، ماذا عنك؟

_ أقترح أن يبقى هذا سرا بيننا لفترة ، على أن تستمر علاقتنا حتى

نجد حجة أمام الجميع ، ما رأيك؟

_إذن ، تقولين أن نجعل هذا سرنا الصغير أليس كذلك؟

_أجل ، هذا صحيح ، سرنا الصغير!

لم تضحك منذ أيام وهي تشعر أن هذا الأمر غير من نفسيتهما نحو الأفضل ، شعرت وكأن طاقة إيجابية سرت في دماغها فجأة ، وهي مستعدة لمواجهة والدتها بعد الآن، بعد مغادرة "خطيها" المزعوم ذهبت مباشرة إلى جناح أماريليس ، على الأغلب ستطلب منها شيئاً ما منها..

بعد أن خرجت هيرا من جناح أماريليس اتجهت مباشرة إلى جناح والدتها ، وهي تشعر أن شحنتها الإيجابية تضاعفت حيث قررت أن تعطي الخبر إلى أمها في الحال..

_أرى أن زيارة نائل لكِ قد أودت بنتيجة ، ها أنتِ تخرجين من جناحكِ أخيراً..

_هذا صحيح، والفضل كله يعود لكِ يا أمي ..قالت بمكر

_ماذا تريدين ؟ لا أعتقد أنكِ هنا لتطمئني علي ..

أفرجت الفتاة عن ابتسامة مصطنعة واقتربت من والدتها ..

_أنتِ حقا تعرفيني جيداً يا أمي ، ولهذا .. أعتقد أنكِ تعلمين جيداً

أنني لا أبقى مكتوفة الأيدي بسهولة ، أترين كم نحن نشبه بعضنا رغم بعض الاختلافات ؟ ، أنا هنا لأعطيك بعض الأخبار السعيدة..

_أجل ، وماهي تلك الأخبار يا متطفلة الأروقة؟

_كنت عند أماريليس منذ قليل ، طلبت منها شيئاً ولحسن الحظ

فابنة عمي لم تخالف رغبتي.

_اختصري ، ما الذي قد تطلبينه من تلك المتكبرة؟

تعلم أن ما ستقوله سيخرج أمها عن طوعها ، إذا أراد أحدهم
إزعاج مالين في ثوانٍ فليذكر اسم أماريليس أمامها وليشاهد بنفسه ما
الذي سيحدث ، وهي قد أصبحت تستلذ بمشاهدة والدتها وهي
تستشيط غضبا..

_غدا سأصبح رسميا أحد أعضاء الديوان ، والمساعدة الخاصة
لأماريليس.

احمر وجه مالين واشتعلت عيناها غضبا ..

_ماذا؟ ما الذي تقولينه؟ تفعلين هذا بدون استشارتي أيتها
الحمقاء ؟

_وهل كنتِ لتسمعي لي إن طلبت هذا منكِ على كل حال ؟ ثم إن
رأيك لا يهمني البتة ، لستِ في وضع يسمح لكِ بمنعي عن أي شيء
سيده مالين !

_مستحيل ! على جنثي سأسمح لكِ أن تصبجي ذيلا لتلك اللعينة،
هل تفهمين !

_لماذا ترفضين الأمر؟ أخبريني ، أم أنني سأفسد خطتكِ لإيذائها
إن كنتِ معها طوال اليوم ؟ بالطبع لن أسمح لكِ بهذا ، وإن حصل
وقمت بشيء كهذا ، أتنامى أنكِ والدتي ، وأخبر الجميع عن أعمالك
القدرة مع ساحرات "فارينا" ، وسأثبت لكِ ذلك!

في ذلك الجو الليلي الرائع الذي تتميز به غابة رامبا كعادتها بعد منتصف الليل ، جلس داميان تحت شجرته المفضلة يعزف على الناي كما جرت العادة ، اقترب منه أحدهم في تلك الأثناء ، آخر شخص قد يتوقع رؤيته هناك بعد منتصف الليل..

_ سمعت هذا اللحن سابقا ، أتذكر أنك عزفت هذه المعزوفة في احتفال الأمنيات السابق..

تعجب لسماع صوتها..

_ أماريليس ، ما الذي تفعليه هنا في هذه الساعة؟

_ يوم آخر مرهق ، أريد بعضا من الهواء النقي ، ولا أجده إلا هنا.

_ ألا تعتقدين أن خروجك لوحده بهذه الطريقة ليلا أمر مخيف

بالنسبة لامرأة؟

_ ولماذا يكون مخيفا ، أنا لا أخشى من أي شيء ، ثم أن هذه الغابة

ليست كسائر الغابات ، إنها نقية ولا شيء يخيف حيالها ، وأنت ، ما

الذي تفعله هنا؟

_ كالعادة.. قال بارتياح بادٍ

_ الهروب من شخصية الأمير؟

_ أجل نوعا ما، لنقل أنني أحتاج عزلة مؤقتة تتوقف فيها كل

الأفكار، عزلة أبتعد فيها عن الأشياء المزعجة وأمور العمل ، هذا كل

ما في الأمر.

_ أرى أنك تحب هذا المكان ..

_ نعم جدا ، أتوقف هنا عن الانتباه لكل ما هو خارجي ، هنا

أستطيع التركيز في داخلي فقط.

_هل ينطبق هذا على كوخك السري أيضا؟

_هل ستواصلين طرح الأسئلة؟ قال مازحا

سارا جنبا إلى جنب حتى وصلا إلى البحيرة..

_أتعرف ما قصة هذه البحيرة يا داميان؟

_أجل، يقال أن فتاة كانت تسبح دون ثيابها فيها حين جاء أحدهم

راغبا في مساعدتها، لكنها صرخت بوجهه متعجرفة وطلبت منه
الذهاب!

لم تمنع نفسها من الضحك..

_لست أمزح يا داميان، أقصد القصة الحقيقية.

_كلا ، أخبريني ، أجب.

_تقول الأسطورة أن لون هذا الماء كان أسودا ، وفي أحد الأيام

جاءت فتاة تدعى نارسييس من مكان بعيد جدا ، وكانت تشعر بالعطش

الشديد ، اقتربت لتشرب من مياه هذه البحيرة فتفاجأت بلونها الأسود

اللامع ، فقالت في نفسها "يا لجمال هذا الماء ! " لكنها شعرت بالتوجس

من لونه فلم تستطع أن تشرب منه ، حينها قالت : "قد أعطي زرقا

عيني قربانا لهذه الغابة العجيبة ليصبح لون الماء أزرقا وأروي عطشي

" ، حينها فقط .. سمعت صوتا جاءها من الخلف فالتفتت فإذا بها

ترى غزالا جميلا وصغيرا قال لها : " أحقا ستهبين زرقا عينيك لهذه

البحيرة مقابل أن تشربي؟ فأكدت الفتاة كلامها بالإيجاب، اقترب ذلك

الغزال منها ودار حولها سبع دورات حتى شعرت بهالة بيضاء تحيطها

من كل مكان ، ثوان حتى اختفت تلك الهالة واختفى الغزال معها

للأبد، نظرت نارسييس إلى البحيرة وهي متفاجئة .. لقد أصبح لونها

فعلا أزرقا ، لمحت صورة نفسها على المياه فإذا بلون عينيها أصبح
أسودا قاتما ، اكتشفت أنها حقا قد أعطت زرقة عينيها للبحيرة مقابل
أن تشرب ، وبات لون عينيها أسودا بفضلها ..

_ هذا مدهش فعلا ! لكنها تبقى مجرد خرافات.

_ هذا صحيح ، قالت مؤكدة.

_ كيف أصبحت الآن؟ أقصد، بعد انفصالك عن ابن عمك ؟

_ بخير، أعتقد أنني لم أكن يوما بخير كما أصبحت الآن.

_ حسنا ، تستحقين شخصا أفضل على كل حال ، شخصا يحترمك

حقا ..

شعرت بالإطراء..

_ هل علي أن أخجل؟ سألت مازحة

ابتسم..

_ هذا ليس ضروريا ، فوجنتاك قد احمرتا حتى دون خجل.

_ أتسخر مني؟ هل تراك ترى احمرار وجنتي في ظلام الليل ؟

_ القمر، إنه يساعدني على ذلك .

ظلا كذلك لثوان حتى تنحنح داميان..

_ أماريليس أنا..

ظلت تنتظر أن يكمل جملته..

_ أنتَ ماذا ؟

ظل مستغرقا النظر في عينيها معترفا لنفسه كم أنه أصبح يشعر

بالضعف بجانبها..

_ تريدين معرفة ما أفكر فيه؟

"أجل ، كثيرا " في نفسها
_حسنا ، فيما تفكر حضرة الأمير؟
_قد لا يعجبك ما يجول في خاطري.
"وهل فيك شيء لا يعجبني؟"
_لن تعرف إجابتي طالما لم تخبرني!
_متأكدة؟
_أجل .
_عيناك!

_ما بهما ؟ بدت سعيدة لأنه يتغزل بعينها
_لقد تبعثر الكُحلُ حولهما ، أصبحتِ تشبهين الباندا !
ثم انفجرت ضاحكا..

احمرّت هذه المرة حقا لكن ليس من المجاملة ، بل خجلا لأنها لم
تنظر إلى نفسها في المرآة قبل الخروج من الديوان ، ليس هذا فحسب ،
بل لأن الشخص الوحيد الذي يفترض ألا يراها هكذا قد رآها ..
هكذا نحن ، حين نبدو كجماليات القصص لا نلتقي بأحد ، لكن حين
نكون على طبيعتنا وبساطتنا المبالغ فيها يتفق كل سكان الكرة الأرضية
على الخروج في طريقنا !

سارعت إلى رؤية انعكاسها على ماء البحيرة مستعينة بضوء القمر
ويا ليتها لم تنظر..

" يا إلهي ، أبدو كالمهرج حقا !"

_أنا ، لم أنتبه إلى شكلي قبل الخروج من العمل، كنت مرهقة إلى
ذلك الحد ، قالت متدركة الوضع.

_ هذا واضح ! أكمل مازحا

_ داميان ! كفاك سخريه مني !

_ أخبرتك أن ما سأقوله قد لا يعجبك !

_ كم أنت لئيم .

تضاءلت ضحكاته شيئاً فشيئاً ، دقق حينها في ملامحها بتركيز..

_ إلى ما تنظر؟ ألم ينته العرض الهلواني ؟

_ أنتِ حقا جميلة..

سرت موجة خفيفة من السعادة في جسمها، فواصل كلامه :

_ أنتِ حقا كالطر، تمطرين في كل مكان ، في الهواء ، على الأشجار

..أحبُّ الحياة حين تمطرين..

_ داميان أنا..

_ لا تقولي شيئاً، يكفي أن تبتسمي، أهذا ممكن ؟

ابتسمت دون أن تشعر ، للمرة الأولى يتشاركان لحظة كتلك

للمرة الأولى يعترفان لنفسيهما أن كلا منهما قد وقع في شباك الآخر ما

من شيء بينهما يصعب فهمه، لكن الكرامة باتت تنازلاً، ثم أصبحت

المسافة قُرباً ، والتضحية أصبحت واجبا ، ثم أصبح الحبُّ هُياما

وتلك كانت أقصى درجاته..

بينما تحيط تلك الهالة الوردية بداميان وأماريليس من كل مكان

على بعد بضعة أمتار كان هناك شخص يراقبهما منذ بداية اللقاء

نظرة الشرر كانت تتطاير من عينيه ، وكأن قدحا من النار قد سُكِبَ

فيهما .. داميان كان على حق ، أصبح من الخطر على أماريليس أن تسير

ليلا لوحدها..

_منذ الغد سينتهي كل شيء ، أعدكما أن الأمر لن يدوم طويلا ،
سترتاح روح بارفن بعد الآن وإلى الأبد..

"..أعترف أن كل شيء قد تغير الآن، لم يبقَ شيء على حاله منذ
أن طرقتُ أناملكِ الناعمة أبواب قلبي ، وإن كنت أقول أنكِ طرقتِ
باب قلبي فأنا أُجَمِّلُ الصورة التي اقتحمتِ بها حياتي ، أنتِ في
الحقيقة لم تستأذني لتأخذي مني ملاذا لكِ ، أنتِ لم تسأليني إن
كنت أود أن أسلمكِ مفاتيح قلاعي ، أنتِ لم تتكبي عناء سؤالي إن
كنتُ أريدُ أن أجعلكِ سيدة قصري الأولى والأخيرة ، أنتِ فقط جعلتني
أسير عينيكِ العسليتين ، في حين أنني كنت شاردا فهما لم أنتبه إلى
أن إنذار الحب بدأ يعلو ، أنتِ يا فاتنتي وببساطة ألقىتِ لعنتكِ علي
وسلبتني كل ما كان بحوزتي، ألا يكفيكِ إن قلت لكِ أنني كنت أنا
وحين أحببتكِ لم أعد أنا بدونكِ؟ أناي ذابت أمام شمسكِ وشمسي
لم تشرق بعد أن شهدت غروبكِ.."

" انتقام "

" لم يكن الذنب ذنبي ، هم من أرادوا مني ذلك.."

مالين

في القصر الملكي..

_ مع الأسف ، بحوزتي أخبار سيئة..

_ لا تطل الأمريا نور وأخبرني بسرعة !

_ ابتلع رسول القصر ريقه وأغمض عينيه..

_ الأميرة أماريليس ، الأخبار تقول أنهم حاولوا قتلها وهي عائدة من

الديوان ، وضعها صعب للغاية!

_ الملك و الملكة في أقصى حالات الصدمة..

_ ابنتي ! لا أصدق هذا!

_ كليمانس اهدئي عزيزتي ، نور ! أين ابنتي الآن؟

_ إنهم يحضرونها إلى القصر الآن رفقة الأمير داميان ، وأطباء العائلة

في طريقهم إلى هنا .

_ ابنتي تموت.. ابنتي تموت يا بينامين! أرجوك افعل شيئا..

_ كليمانس اصمتي ! لا تقولي هذا ، ابنتنا قوية وستنجو مما هي فيه

سأجعلهم يدفعون ثمن هذا غاليا ! صرخ الملك كما لم يفعل من قبل

وسط نواح زوجته وصدمة من معهم..

_ أماريليس تصل إلى القصر ، يحملها داميان بين يديه ، يتخطى

المسافة التي بين العربة والبوابة الخارجية للقصر ، يصل إلى الباب

الداخلي ، ليجتاز بعدها طوابق القصر إلى غرفتها..

_ستعيشين ، ستعيشين أماريليس .. قال يائسا حزينا مصدوما
جملة من الأحاسيس تسلت إلى قلبه..

بين الإغماء والاستفاقة ..

_داميان أنا .. داميان..

_أنا هنا ، أنا معك ، سينتهي كل هذا ، لا يجب أن تفقدي وعيكِ

_لا أريد أن أموت ، داميان ..

_لن تموتي ، لا تخافي فلن تموتي!

_أنا ..

أغمي عليها من جديد..

_أماريليس لا تفقدي وعيكِ! صرخ من جديد.

في تلك اللحظة وصلا إلى الغرفة ، شرع الأطباء في إنقاذ حياتها

فورا ، بينما وقف داميان ينتظر أمام الباب والقلق يتآكله..

_داميان !

_جلالة الملك!

_ما الذي حصل مع ابنتي ؟ كيف وصلت إلى هذه الحالة؟

_أخشى أنني لا أعلم إلا القليل ، بعد أن غادرت أماريليس الديوان

رفقة الأميرة هيرا ، لم تبتعد العربة بمسافة بعيدة حتى عادت إلى

الديوان مجددا ، تقول هيرا أن أحدهم قطع طريقهم ومنعهم من

العبور ، هدد السائق للخروج من العربة وأمر الأميرتين أن تنزلا فورا

حاولت أماريليس مقاومته فطعنها بخنجر ثلاث طعنات متتالية

حينها تواری عن أنظارهم وسط سقوطها أرضا وصرخات هيرا ، ولأنها

لم تعرف ما الذي يجب القيام به عادت أدراجها إلى الديوان خوفا من

أي خطر محتمل، حينها أرسلت خبراً للقصر واقترحت أن أحضرها بنفسني فوراً لإنقاذ حياتها..

_ ما مصلحة هذا الشخص في أن تموت ابنتي؟ إنها لا تؤدي حتى نملة!

_ هذا ما لا نعرفه حتى الآن، لم ير أحد وجهه، كان مثلثاً..

_ لا أصدق أن ابنتي قد تحملت شيئاً كهذا..

_ من الجيد أن الأميرة هيرا كانت معها فهذا يفسر الكثير، فلو كان من قطاع الطرق لربما قتل كليهما، لكنه طعن أماريليس فحسب.

_ ما الذي تقصده يا داميان؟

_ مقصدي واضح حضرة الملك، أماريليس مستهدفة!

_ أمير داميان، مهما حصل ومهما كانت الأسباب فإنك مسؤول عن معرفة المعتدي بعد الآن، لا نوم لنا حتى نكتشف هويته، أهذا مفهوم؟

_ لا تقلق، فهذه مسؤوليتي، لكن أولويتنا الآن هي حياة الأميرة.

_ أرجو أن لا يحصل شيء لابنتي الغالية، زوجتي غائبة عن الوعي

بسبب هذا، لم تستطع تقبل الأمر بأي شكل من الأشكال.

_ أماريليس قوية جلالته الملك، أثق بأنها ستكون بخير مع بلوغ

الفجر..

" ستكون بخير، سوف تنجو، لا يمكنها الذهاب " .. واصل الكلام

مع نفسه وسط الهلع الذي يُغرق القصر..

في مكان منعزل في الغابة..

وصلت امرأة تغطي رأسها، لاهثة تعتلجها علامات الخوف..

_هل فعلتها؟

_أجل ، لن تشرق شمس أخرى على الأميرة أماريليس..

_كيف تم الأمر؟

_لم يكن بتلك الصعوبة ، كنت أنوي إمضاء المزيد من الوقت في الديوان بعد تعيين ذلك الأبله ديميتري كمساعد له ، لكنني وبعد أن عرفت مواعيد قدومها للديوان ومغادرتها له و الطريق التي تسلكها كل مساء عائدة إلى قصرها اشتعلت الرغبة في الانتقام داخلي فلم أستطع مقاومتها أكثر من هذا، اخترت الليلة المناسبة لهذا، هيأت كل شيء للكمين وجعلتها تغير من طريقها المعتاد بعد أن أغلقته بجذع شجرة تصعب إزاحته بسهولة، وبعد لجوئها للطريق الثانوي هاجمتُ عربتها كقطاع الطرق وطعنتها طعناتٍ مميتة ، وكان هذا سهلاً فأنا أعلم أنه خالٍ من الناس في كل الأحوال..

_فلتغفر لنا الآلهة خطايانا ..

_عن أي خطايا تتحدثين ؟ أليس بارفن أقرب الناس إلينا ؟ في حين أن أحدا لم يلتفت لنا كان يعاملني معاملة الأخ ، بينما جعل منك فتاة محترمة بدلا من راقصة رخيصة تلاحقها أعين الرجال ، ألم يكفك هذا ؟

بدا عليها قليل من الندم..

_أعتقد أننا محقون في هذا؟

_هذا أكيد ، تريدن أن يذهب دمه سدّي؟

_كلا ، قالت على مضض.

_هذا الأمر انتهى ، والآن جاء دورك ، أخرج شيئاً من جيبه ووضعه في يديها..

_ستضعين هذا في طعام الأمير داميان وينتهي الأمر.
فكرت هنيئة..

_لا أعتقد أن بإمكانني القيام بهذا..

_أنا لا أطلب منك هذا ، ستفعلينه شئت أم أبيت؟ لا أتق في أحد آخر..

_أخشى أن يمسكوا بي ، سيقتلونني وطفلي -إن رأني أحد- .
_لن يحدث شيء ، ألم تصبحي خادمة في قصره ؟
_بلى.

_لديهم عشرات الخدم ولن يشكَّ أحدٌ بك ، منذ متى بدأتِ العمل عنده؟

_منذ نصف شهر تقريبا..

_ ممتاز ، هذا يعني أنهم أصبحوا يثقون بك ، ستقومين بمهمتكِ غدا مساء إذن ، ستفرغين القارورة في حسائه وينتهي الأمر ، إن مفعول هذا السم قوي جدا ، لن يعيش أكثر من خمس دقائق بعد تناوله ، سيقع أرضاً ويزرَق لون وجهه ، ليغادر العالم بعدها ..

_أشعر أن نهاية الأمر ليست جيدة يا سامر..

_لن يحدث شيء فلا تقلقي ، فور انتهاء مهمتكِ عليكِ مغادرة القصر وانتظاري هنا لنذهب سوياً ، سيكون هناك قارب في انتظارنا ،

سنغادر البلدة صباحا، وستعيشين مع ابنك مرتاحة بعد الثأر لوالده،
واسمعي ، لا أريد أخطاء ، أفهمتِ؟
أومأت إيجابا بغير اقتناع..
بالنسبة لداميان فهو لم يغادر قصر الأميرة من شدة قلقه..
مضطربا خائفا منفعلا، مرتخياً على كرسي أمام باب جناحها ينتظر
الأخبار السعيدة ، راح يسترجع بعضا من اللحظات التي جمعه بها
صباح ذلك اليوم، أين توقف عند ذلك الموقف ..

فلاش باك إلى صباح ذلك اليوم ..

_ أشكر الجميع على تلبية دعوتي الغير مبرمجة بهذه السرعة ، هناك بعض التطورات التي أرغب في مشاركتها معكم.. لن أخذ من وقتكم سوى دقائق..

_ لا شكر على واجب أميرة أماريليس، نحن دائما في خدمتك، أجاب ديميتير.

كالعادة ، لم يعجب ذلك أحدهم ..

_ أريد أن أعلن للجميع منذ اليوم أن الأميرة هيرا ابنة عمي ستكون معنا في الديوان ، علاوة على هذا فستكون مساعدتي بالإضافة إلى يمان ، في حالة غيابي بإمكانكم التواصل معي عن طريق هيرا، وهذا طبعاً بناء على رغبتها الخاصة في العمل معنا، هذا كبداية .. أيضاً أردت أن أعلمكم أنه ومنذ اليوم لن يتم أخذ ضرائب من الطبقة الفقيرة للبلدة، ومادامت الحالة المادية للبلدة في تحسن مستمر فسيسري هذا الإعفاء عليهم حتى يتم ضمهم إلى الطبقة الوسطى فلتعملوا على جعل هذا ممكناً منذ اليوم، أخيراً، نظراً لتحسن الأمور وحل قسط كبير من المشاكل هنا فأنا قررت أن أضيف مبلغاً محترماً زيادة على رواتب الجميع منكم ، هذا بالنسبة لعمال الطابق السفلي أيضاً وكذا الحراس وعاملي النظافة ، أعتقد أن الجميع يستحق هذا بعد الفترة العصبية التي مرت بها بلدتنا، أردت فقط أن أخبركم بهذا شخصياً وأخذ ملاحظاتكم إن تطلب الأمر.. هل من سؤال؟

بدت على الجميع علامات السرور والحماس ، إن مجهوداتهم تعطي ثمارها أخيراً..

_أود بهذه المناسبة السعيدة أن أتقدم ونيابة عن كافة أعضاء
الديوان بالشكر لكِ أميرة أماريليس ، لولاكِ لما استطعنا القيام بهذا .
_شكرا لك يا ديميتر ، لكن دورك في هذا مهم جدا ، بلدة قدر
الشمس ستظل مدينة لك للأبد.

تبادلا الابتسام ، بينما كان داميان يحترق في صمت ..
" يقول لي عقلي الباطني أن أهشّم رأسه وأن أضعه تمثالا هنا
وليكن ذلك درسا للجميع " هذا ما كان يفكر فيه.

_داميان ألا تريد إضافة شيء؟ سألت
_كلا ، ألم يقل السيد ديميتر أنه تحدث بالنيابة عن الجميع؟
أعتقد أنه قال كل ما كنا نريد قوله ، لا داعي للمزيد .
طالعه ديميتر بسخرية.. واكتفى بالصمت.

_حسنا ، يرجى إطلاعي إن حصل شيء ما ، شكرا لكم..
انصرف الجميع بالسرعة التي جاءوا بها بينما نادى الأميرة على
ديميتر.. حينها ظل داميان متمسرا مكانه متظاهرا بقراءة شيء ما.
_ديميتر ، خصوص ابنة عمي ، هي في أمانتك بعد الآن ، أرجو منك
أن تعلمها أصول العمل هنا والقواعد ، لا أعتد على أحد سواك..
_هذا من دواعي سروري أميرتي ، لا تقلقي سأشرف على هذا
بنفسي..

ابتسمت هيرا متحمسة بينما ذهبت فورا مع ديميتر لتقوم بجولة
مطولة في الديوان ، كل هذا وداميان متظاهر بالقراءة بينما يسمع ما
يدور داخل الغرفة ، حينها انتهت له أماريليس فضحكت بصوت عالٍ
وهي تنظر إليه ..

_ ما الأمر لماذا تضحكين ؟

_ أرى أنك منغمس جيدا فيما تقرأه .

..تنحنج..

_ أجل .. أعتقد أنه كتاب شيق.

_ أعتقد أنك أحببته لدرجة أنك لم تنتبه إلى أنك تمسكه بالمقلوب

أدرك حينها أنها على حق ، شعر بالغباء الشديد، كان مركزا فيما

تقوله لديميتر لدرجة أنه وضع نفسه موضع الأحمق..

_ هل هذا ما يهيك ؟ ألا تنتهين إلى حماقة الأخرق الأجنبي ؟

_ ماذا تعني بالأخرق؟ أم أنك تقصد ديميتر بكلامك ؟ قالت

باستفزاز.

_ أيا كان اسمه، ثم أنه يعطي لنفسه الحق ليناديك بأميرتي ، ألا

يزعجك هذا التطاول ؟

_ وما الذي يزعجك أنت في الأمر؟

لم يجد ما يقوله..

_ حسنا ، سأذهب إلى مكتبي..

ظلت متفاجئة من غيرته التي لم يعد يستطيع إخفاءها ..

عودة إلى ليلة الحادثة..

قطع سبيل ذكرياته مرور إحدى الخاديات بالرواق ، حينها فقط عاد مجددا إلى الواقع..

_أماريليس، لماذا يحدث معك هذا، لا أعتقد أنني أقوى على أن يصيبك شيء كهذا الآن ..كم أتمنى أن ينتهي هذا الكابوس ، كم أتمنى..

في كوخ ناء وسط مكان بعيد.. الصباح الموالي للحادث..

_مرزمن طويل منذ آخر مرة أتيت فيها إلى هنا ، تقدمي..

_لولم يكن الأمر ضروريا لما أتيت ، الأمور خرجت عن السيطرة.

ابتسمت العجوز..

_لماذا تبتسمين ؟

_أحدهم يحاول إفساد خططك أليس كذلك؟

اتسعت عيناها مذهولة..

_هل كنتِ تعلمين ؟

_الأمر لم يعد مخفيا بعد الآن، هذا جزء من قصتك ، من هذا

الشخص ؟

_إنها ابنتي ، سمعتني وأنا أتحدث بخصوص الأمر مع أحدهم..

_ابنتك ذات قلب نقي ، تحب ابنة عمها كثيرا، إنها تراها مثلها

الأعلى، من غير المجدي محاولة إقناعها بالعكس.

_ولكن ما العمل إذن ، قد تذهب في أي لحظة لتخبر الجميع عما

حدث ، لقد أصبحت خطرا حقيقيا..

_ربما تحاول إخافتك فقط ، لا تستطيع فعل شيء.

_وماذا إن فعلت؟ ماذا لو أخبرت الملك أنني أنوي التخلص من ابنته الوحيدة؟ لقد حاول أحدهم قتلها الليلة الماضية، ولست أنا الفاعلة، لكن ابنتي لا تصدقني، جاءتني الليلة الماضية ، تهمني بأني من فعل ذلك، كما أنها كشفت أكبر أسرارِي، أخبرتني أنها باتت تعلم أنني كنت.. راقصة، وهي تهددني الآن، وإن قررت الكلام ، فلن يتردد الملك في إعدامي !

_في هذه الحالة لم يتبق لك إلا حل واحد ، وأنتِ تعرفينه جيدا .. فهتمت مالمين ما تقصده الساحرة بكلامها..
_كلا ، بالطبع لن أفعل ذلك ، صرخت بقوة.
_تستطيعين فعل ذلك، سفك الدماء يسري في دماغك أيتها السيدة انتفضت من مكانها..

_هذا مستحيل، أنا لن أفعل هذا بابنتي الوحيدة ! أنا أحبها !
_ستكون تلك هي الطريقة الوحيدة لتسير الأمور كما تخططين لها لا يمكنكِ الحصول على ما تريدينه إلا عن طريق التضحية .
_من غير الممكن أن أفعل هذا بفلذة كبدي ، عليكِ إيجاد طريقة أخرى .

_دعي لي الفرصة للتفكير، و.. هل فكرتِ فيما طلبته منك سابقا؟
_وهل أستطيع إلا أن أفكر في هذا، إنه لا يغادر ذهني ، لقد اخترت الشخص الذي سأستخدم دمائه لهذا، لكنني لم أفعل ذلك بعد.
_أرى هذا، لكن لا تنسي ، الوقت يمضي ..والزمن لا يكون في صالحكِ دوما..

غادرت مالين بيت الساحرة وهي تفكر في كل ما قالتها لها، وبمصير ابنتها الذي رآته في قصتها ، تخشى أن يكون هلاك ابنتها بين يديها شاءت أم أبت ، كل هذا ورغبتها في التخلص من عدوتها لا تزال تشتعل داخلها، لا تستطيع العيش وشعور النقص يعتليها أمام الأميرة ووالدها.. بالنسبة لأمها ، فهذا لم يكن عائقا .. يكفي أن تتخلص من أماريليس ووالدها ليتم نسيان الملكة مباشرة ، لتصبح مالين الأميرة النهائية في القصر، وتربع وزوجها على عرش الحكم، خطة الساحرة كانت واضحة ، على مالين أن تحضر لها دما لأحد الأمراء لتستخدمه الساحرة للسيطرة على عقل وحركات ذلك الشخص، ليصبح بعدها دمية بين يدي مالين، وهذه الطريقة ينفذ كل ما تقوله حرفيا حتى وإن كان ذلك القتل ! هذا ما جعلها تفكر ماليا في هوية ذلك الشخص وهي على الأغلب قد قررت من سيكون..

لدى مالين بعد العودة إلى القصر..

_أخبار سيئة ، أعتقد أن أماريليس على علاقة بالأمير داميان..

_ما هذا الهراء الذي أسمعته؟ هذا غير ممكن طبعا.

_برأيي لا تكن متأكدا إلى هذا الحد، مصادري الخاصة تترصد

حركاتهما منذ فترة ، هذا واضح من تصرفاتهما..

_من غير الممكن أن تفعل أماريليس شيئا كهذا ، أماريليس لا تحب

أحدا غيري !

_كان عليك التفكير في احتمال كهذا عوضا عن اكتئابك الممل الذي

دام أسابيعا.

_هي لا تفعل شيئا كهذا بي ، أبدا!

_برأيي لا تكن على يقين، لو كانت تحبك بهذا القدر فقط لما

رفضتك أمام الجميع ! إنها لا تريد النظر إلى وجهك حتى .

راح ليجاي يسير جيئة وذهابا غير مصدق لما يسمعه..

_ما الذي نفعه الآن؟ ألم نتفق أن أكسيها مجددا مقابل حصولك

على السلطة؟ هل قمت بأي شيء بخصوص هذا؟

_هذا ما أسعى إليه حاليا ، إياك أن تقوم بحركة متهورة دون أن

تطلعني، هل هذا مفهوم؟ لقد أصبح من الصعب التحدث بأريحية

في القصر، سنلتقي في الخارج منذ اليوم..

_حسنا ، ما المطلوب مني؟ لم تطلعيني على الخطة حتى الآن.

أخرجت من صدر ثوبها قارورة زجاجية فارغة بحجم الأصبع ..

_ما هذه؟

_ألا ترى أنها قارورة زجاجية؟ أحتاج إلى كمية صغيرة من دماء
أحد الأمراء لكي يتم هذا الأمر.

_ولماذا تريدان هذا؟

_هذا لا يهمك الآن، كل ما عليك فعله هو إحضار ما طلبته منك
أنا أتحدث إلى شخص خبير في هذه الأمور، وهو مصر على القيام بهذا
بهذه الطريقة، ثم.. ألا تريد أن تستعيد حبيبك مجددا؟
_بالطبع أريد، يكفي أن تنظر إلي وليذهب العالم بما فيه للجحيم،
لكن، دماء من تريدينها؟

نظرت إليه متظاهرة بالبراءة..

_دماءك أنت!

تجمد في مكانه..

_تمزحين أليس كذلك؟

_عزيزي ليجاي، هل يبدو علي أثر المزاح؟

_أنتِ حقاً مجنونة، كيف لي أن أعطيك دمائي بهذه البساطة؟

ما الذي سيضمن لي أنني لن أتأذى من هذا؟

_هذا ببساطة يعود لك، إن كنت على استعداد بأن ترى بعينيك

كيف أن حبيبك ستتزوج من أمير غيرك فهذا أمر يخصك.. بإمكانني
فعل ذلك بنفسى بطريقة أخرى..

_أنتِ حقاً خطيرة خالتي مالين، لا أصدق أنكِ تقومين بأشياء كهذه

دون علم أحد.

_مجبرة أنا على هذا ، إن لم أفعل شيئاً فلن يبقى لنا اسم يذكر
بعد سنوات من الآن، لا أريد لأولادي أن يقتلوا على أيدي أحد، هكذا
تجري الأمور هنا ، القوي يأكل الضعيف والفوز من نصيب الأذكي،
دعك من هذا الآن، ستفعل ما طلبته منك وسنلتقي بعد يومين من
الآن !

أماريليس..

"ظلام .. الظلام في كل مكان ، لا أرى شيئاً سوى العتمة .. أسمع أصواتا كثيرة كما تتضارب الكثير من الأحداث داخل عقلي ، طنين قوي في أذني يكاد يفقدني السمع ، أرغب في الصراخ ، لكن صوتي لا يخرج.. أريد أن أتحرك ، لكن يدي مكبلتان بقيود شفافة .. أشعر باختلاج جسدي من حين لآخر.. أشعر بألم أسفل بطني ، لا يمكن لكلمات العالم أن تصفه ، كأن أحدهم يحاول انتزاع روحك منك تارة أرتفع إلى السماء وتارة أحس بجاذبية الأرض تعيدني إلى الأسفل ، ها أنا أنتفض من جديد ، أرى نورا ينبثق من اللاشيء، يتسع ويتسع ثم يختفي ثم يظهر مجددا ، ثم يختفي ثانية.. أنا فجأة أفقد قواي فهمت أن كل شيء شعرت به بدأ يضمحل.. أرى أنني أذوب في ذلك الظلام ، مهلاً، أخرجوني من هنا فأنا أختنق! عيناى تنغلقتان، لا! لا أريد الذهاب الآن، لا أريد الموت هذه الليلة ، لا أريد مغادرة العالم بهذه الطريقة، هذا الألم فضيع ، إنه يكاد يقتلني، عيناى تنغلقتان من تلقاء نفسيهما ، لكنني أرغب في مقاومة ذلك، أقاوم وأقاوم.. لكن دون جدوى.."

_ما الوضع أيها الطبيب؟ أنتم على هذه الحالة منذ مدة طويلة، هل هناك تطور في حالتها؟

_سأتكلم معك بصراحة جلاله الملك.. لقد قمنا بكل ما في وسعنا لأجل إنقاذ الأميرة، أخيراً حددنا مكان الإصابة ، الطعنات الثلاثة كانت على مستوى البطن بأماكن مختلفة ، وبدرجات خطورة متفاوتة

الآلهة وحدها تعلم ما الذي كان من الممكن أن يحدث لو تأخرت لدقائق إضافية..

تدخل داميان الذي لم يغادر القصر منذ البارحة دون أن يشعر..
_هل ستعيش أيها الطبيب؟

_هذا عائد لمدى صمودها ، إن كانت تريد التمسك بهذه الحياة فستنجو، وإلا فالحكم منذ الآن صعب نوعا ما..

_ابنتي قوية وستتغلب على هذا، أنا واثق ، قال الملك بتفاؤل.

_جلالة الملك، هل تسمح لي برؤيتها؟

تبادل الملك النظرات مع الطبيب..

_لا تزال في غيبوبة الآن، لديك أقل من خمس دقائق.

استأذنهما داميان ودلف إلى الجناح بسرعة، وبعد أن انصرف الطبيبان الآخران اللذان كانا داخل الغرفة اقترب منها، نظر إليها فوجدها نائمة كالأطفال، بوجه شاحب وجبين متعرق وشففتين متشققتين، كانت تلك اول مرة يراها في تلك الحالة، جلس بجانبها وأمسك يدها وأخذ يكلمها:

_أعلم أن الوقت غير مناسب لهذا لكنك حتى وأنتِ بهذه الحالة جميلة ، أنا لا أعلم إن كنتِ تسمعيني الآن أم لا ، لكنني أريد أن أخبركِ بأنني أعلم أنكِ ستعيشين، لأجل عائلتكِ ومملككِ ستعيشين لأجلي أنا، أريدكِ أن تعيشي.. أعتقد أنني كتبت معكِ قصة، لكنها لن تكتمل إلا وأنتِ بجانبني، لقد أصبحتُ متأكدا من هذا الآن، ربما سأعجز عن قول هذا لو كنتِ مستيقظة، لذلك سأستغل هذه الفرصة.. أريدكِ وبشدة.. أنتِ قوية.. لطالما وقفتِ في وجه قراراتي

وتحديتني، لطالما أخبرتني أنك لا تخافين مما قد أفعله بك، لطالما أخبرتني أنك سوف تنتقمين مني، لقد أخذت انتقامك مني حين ذهبت بهذه الطريقة.. أرجوك أن تفيقي، الجميع هنا يحتاجك، أنا أحتاجك حقا أحتاجك ..

بعينين مغرورتين قبل يدها الباردة مكملا:

_لقد سبق وأن أخبرتك أنك اقوى امرأة رأيتها في حياتي، صدقيني.. أنا أقول الحقيقة، تذكير تلك الليلة حين سألتني إذا ما كنت قد أحضرت أحدهم إلى كوشي السري من قبل ، كنت قد تعمدت عدم الجواب ، تهربت ، اعتقدت أنني قد أبدو ساذجا أمامك، لكنني لست أخجل الآن، لم يسبق لأي أنثى من قبل أن تواجهت هناك قبلك ! كنت أنتِ أول امرأة شاركتها أكثر الأماكن الخصوصية بالنسبة إلي قد يبدو كوخا قديما بالنسبة لك ، لكنه يحمل الكثير من القصص والذكريات، أرغب في محادثتك بها كلها، أرغب في أن أشاركك كل تفاصيل حياتي المملة قبل أن أنتبه لك، تبا .. كيف استطعت ألا أنظر إليك بهذه الطريقة كل هذه السنوات؟ كيف لم أنتبه إلى جمالك المخفي خلف شخصية العمل التي تتقمصينها؟ حقا لا أفهم أي شيء، أخبرتك اني من غير الممكن أن أحدثك بهذا وأنت واقفة أمامي، هيا افيقي، لا يمكن لشخص مثلك الاستسلام بهذه السهولة ، لا يمكنكِ هذا !

في تلك اللحظة دخلت والدتها تمشي بصعوبة وراحت مسرعة تتفحص حالة ابنتها وهي تترنج ، تدعوكي تتحسن وتعود كما كانت، فخرج داميان حينها ..

_ استأذنتك أمها الملك لأعود إلى قصري، لأبد أن والدي قد علما بما حدث، سيقلقان كثيرا، سأعود بعد ساعات..

_ بإمكانك الذهاب ، ابنتي في غيبوبة على كل حال ، كما.. أود أن أشكرك لأنك أحضرتها إلى هنا في الوقت المناسب، كما أنك لم تغادر منذ أمس .. من المؤكد أنك تشعر بالتعب، عائلتنا لن تنسى لك هذا المعروف أبدا ..

_ لا شكر على واجب جلالة الملك، أي شخص آخر كان سيفعل نفس الشيء..

_ هذا لطف منك داميان ، أنت فعلا نبيل ! ربت على كتفه..

انصرف داميان متجها إلى قصره لينال قسطا من الراحة ، لكن قلبه ظل داخل تلك الغرفة ، أين تنام أماريليس في هدوء مواجهة أصعب ما يمكن مصادفته، إنه الموت..

"مستلق وقد رمى بثقل جسده في البحيرة ولم يعد يظهر منه إلا وجهه ، ينظر إلى السماء وعيناه تشعان بشيء لا اسم له ، غلب اليأس على ملامحه كما لم يفعل من قبل، يحاول التحرك بكل ما أوتي بقوة لكن دون جدوى، يغمض عينيه فاقتدا الأمل، ليفتحها مرة أخرى ويجد نفسه ملقى على أرضية صلبة محاطا بالظلام من كل صوب لا يرى إلا ذلك الضوء الذي يتسلل إلى الغرفة من قضبان تلك النافذة الصغيرة، لا يعلم من يكون وما يفعل هناك، يفتح باب الغرفة كالعادة

ليجره ذاك الشخصان مكبلا حافيا إلى ساحة كبيرة، يُرْكَعُ مجبرا ليرتطم رأسه بمجسم حديدي، حينها فقط يلمح خيال امرأة لا يستطيع تحديد ملامحها من شدة الضوء الذي يحيط بها ، يهوي أحد الشخصين على رأسه بنفس السيف، ليسمع في تلك اللحظة العبارة المعتادة " الجزء ، إنه العدل يا داميان .."

فتح داميان عينيه، واعتدل في جلسته ، مرّ وقت طويل منذ آخر مرة رأى فيها هذا الكابوس، كان يفكر في الفترة الماضية في إمكانية أنه قد لا يرى تلك الأحلام المهمة مجددا، لكنه كان مخطئا، لقد لمح حين جُرَّ هذه المرة وجه امرأة، لا يزال لا يفهم ما قصة هذا الكابوس، لكنه يحيره وبشدة..

نهض من مكانه وشعر أنه نام لعدة ساعات دون أن يشعر، لقد كان مرهقا إلى تلك الدرجة، لم تكن ليلة سهلة تلك التي مرت، لكنها ولحسن الحظ قد مرت، أخذ حماما سريعا وغير ملبسه وخرج من جناحه وكانت وجهته معروفة..

وبينما كان يقترب من البوابة الداخلية للقصر..

_ داميان ..

جاءه صوتها من الخلف.

_ خالتي سيتينايا! صباح الخير.

_ عن أي صباح تتحدث؟ إنها قاربت الرابعة مساء يا طفلي !

_ أوه أعتذر، لم أنتبه إلى الوقت.

_ إلى أين أنت ذاهب؟

_ إلى أماريليس، أقصد، إلى قصر الملك بينامين، سأطمئن على صحة
الأميرة.

_ لقد وصلنا الخبر منذ قليل، الأميرة استيقظت !
اتسعت حدقتاه غير مصدق ..

_ هل صحيح ما تقولين؟

_ أجل .

قفز من مكانه واحتضن زوجة أبيه دون أن يشعر من سعادته ..

_ علي الذهاب الآن ، نلتقي ليلا ، أو ربما غدا، أنا لا أعلم !

_ بإمكانني الذهاب مع ..

لم تكمل كلامها.. اختفى من مكانه فورا..

_ لو أخبرني أحد أنني سأرى داميان متلهفا لرؤية فتاة بهذه الطريقة

يوما ما لم أكن لأصدقها، إنني أشم رائحة الحب تنبع من مكان ما

الجميع كان غير مصدق لما يحدث ، فأماريليس استيقظت أخيرا

لقد اختارت أن تعيش وكانت رغبتها في البقاء أقوى من كل شيء ظلت

عائلتها معها في الجناح منذ ساعة تقريبا، سعداء لأنها نجت ..

_ هيا ، دعوا ابنتي ترتاح قليلا الآن، يكفي كلاما ! قال الملك.

_ سأظل قليلا بعد يا بينامين، لا أستطيع ترك ابنتي، أجابت زوجته.

ضحك الجميع..

_ عبي محق جلالة الملكة، أماريليس استيقظت حديثا وعلما أن

ترتاح ، سنعود لاحقا ، قالت هيرا وعلامات الفرح باادية على وجهها.

_ حسنا ، لكنني سأعود بعد قليل ، أهذا مفهوم يا صغيرتي؟

_ أجل .. أمي ، قالت بصعوبة.

دخلت في تلك الأحيان الخادمة:

_جلالة الملك، الأمير داميان هنا وهو يطلب الإذن للدخول ، يريد
الاطمئنان على الأميرة.

_أخبريه أن بإمكانه الدخول، ونحن سنغادر الآن.

اشتاط في تلك الاثناء ليجاي غضبا ، تبادل النظرات مع مالين
فعلى الأغلب فهذا يؤكد ما أخبرته به ، غادر في تلك اللحظة رامقا إياه
بنظرة عرف داميان معناها جيدا، لكنه كان سعيدا لدرجة أنه لم
يهتم لأمره.. بينما احمر وجه أماريليس فجأة وشعرت بتدفق الدم في
جسدها، داميان هنا لأجلها..

بينما يهم الجميع بمغادرة الغرفة اقتربت هيرا من أماريليس
وهمست في أذنها :

_يبدو أن أحدهم لا يستطيع مفارقتك ، لقد كان هنا طوال الليل
ولم يغادر إلا صباحا !

لم تستطع تصديق ما سمعته ، إنه حقا يهتم لأمرها !
بعد مغادرة الجميع اقترب منها ، ظل كلاهما صامتا ينظر إلى الآخر..
_سعيد أنك بخير..

_شكرا لك.

_لقد أخفتنا كثيرا أماريليس ، كيف تشعرين الآن؟

_أنا أحسن ، بفضلك.. أعلم أنك من أحضرني إلى هنا ، أتذكر أنك
حملتني بنفسك.

_هذا لا يهم الآن، الأهم أنك على قيد الحياة، اعتقدت لوهلة أنك..

_ أنبي سأموت، ضحكك، اتضح أنني لا أستسلم بتلك السهولة، أنا
محاربة!

_ أعلم هذا، أنت أقوى امرأة رأيته في حياتي ..
شعرت بالخجل ..

_ أخبرتني ابنة عمي أنك ظللت معي الليل بأكمله ، وأنت كنت قلقا
بشأنني طوال الوقت..

_ لم يكن من الصحيح أن أعود إلى قصري وأنت بين الحياة والموت
لم أكن لأتحمل هذا.

_ هذا لطف منك ، قالت بامتنان.
راح يتأملها لوهلة..

_ ما الأمر؟

_ أنتِ تصبحين أجمل يوما بعد يوم، لحظة بعد لحظة..
احمرّت كعاداتها..

_ لقد أخبرتني بهذا مسبقا .

_ متى؟

_ لقد كنت اسمع بعضا من كلامك اثناء الغيبوبة ، لم اكن فاقدة
للوعي بشكل كامل ، كنت اشعر ببعض الأشياء.

_ اشياء مثل ماذا؟

_ يعني، كانت تجتاحني الرغبة في أن أفتح عيني وأن أنهض، لكن
لم يكن في مقدوري القيام بذلك، كنت مكبلة بشكل ما.

_ هل كنت تتألمين؟

_أجل ، كثيرا ، شعرت وكأن روحي تغادر جسدي تارة وتعود اليه تارة أخرى، ربما لأنني لم أكن أريد الموت ، لكن هذه التجربة جعلتني افكر في شيء ما.

_وماهو هذا الشيء؟

_الحياة ، قد نعيش حياة هادئة ونحن بكامل صحتنا لكن الموت يترى بنا دون علمنا ، أدركت كم أننا قريبون من الموت، ومن مفارقة الأحبة والعائلة ، الخيط بين الحياة والموت رفيع جدا ..

_هذا صحيح ، لكل منا أجلٌ معين، لا ينبغي أن نشيخ حتى نموت، لذلك على كل شخص منا أن يعيش كل لحظة من عمره وكأنها آخر لحظة ..

_هذا ما سأفعله بعد الآن، ابتسمت، فبادلها الابتسام بدوره..

_هل أخبرك بسر؟

أومأت إيجابا..

_تعلمين أنني لا أوّمن بتلك الآلهة المتعددة التي تؤمن بها خالتي سيتيناى، لكنني ظللت طوال الليل أدعو كل آلهة الكون لكي تنقذك.

_هكذا إذن؟

أوماً منزلاً رأسه..

_أعتقد أن مصطلح "الشيطلائية" ينطبق عليك كثيرا .

_وما هذا ؟

_إنه مزيج من الشيطنة والملائكية ، أنت كالوحش الكاسر إذا كان هناك من هو في حاجتك، لكنك تتحول إلى شخص وديع ولطيف حين تشعر أن الأمر خارج عن سيطرتك .. إنه يشبهك نوعا ما.

_ شيطان ؟ هل أنا شيرير إلى ذلك الحد ؟
_ ليس هذا تقريبا ، لكنك من أخبرني أنني لم أزوجك الحقيقي بعد
، ألم تفعل ذلك ؟
_ بلى ، ولماذا أصبحت ملاكا حسب رأيك ؟
_ لا أعلم .
_ بل تعلمين ، تلك الابتسامة التي تحاولين إخفاءها تفضحك .
_ أنا لا أخفي شيئا كفاك سخرية !
حاول ألا يضغط عليها أكثر من ذلك ..
_ أخبريني ، هل تشعرين بأي ألم ؟
_ كلا ، ليس بالألم الكبير .
امتعض وجهه فجأة ..
_ داميان ، هل أنت بخير ؟
_ أجل بخير ، ثم قبل يدها ..
_ علي الذهاب الآن ، هناك ما يجب عليه حله ، سأمر لاحقا لرؤيتك
_ حسنا ، سأعود إلى العمل بعد يومين على أي حال .
_ عمل ماذا ؟ لا خروج لك من هذه الغرفة حتى تتحسني !
_ أنا أشعر بالملل هنا ، ثم أنني بخير لا تقلق !
_ لا أريد اعتراضا ، لا ذهاب للديوان هذا الأسبوع !
_ بينامين ، أتلاحظ ما ألاحظه ؟
_ ماذا ؟
_ ابنتنا ، لها بريق لم أره عليها أبدا !
_ تقصدين الأمير داميان أليس كذلك ؟

_هل رأيت ابتسامتها هذا المساء حين جاء الأمير؟ إنها حقا تتغير!
_أتمنى هذا ، أعتقد أن داميان كذلك يبادلها نفس الشعور ، لم
يتركها ولا لحظة منذ أُصيب ، ابنتي لم تكن سعيدة أبدا مع ليجاي
سأكون سعيدا إن وجدت السعادة طريقا إلى قلبها، كما أنني
سأساندها في أي قرار قد تتخذه..

_أعتقد أن هذا سيغير من علاقتنا مع عائلة كوروليو .
_أرى أن هذا سيعود بالفائدة على علاقتنا مع عائلتهم ، عائلة
كوروليو عريقة وكونها في صفنا يعطينا نفوذا أكبر.
_أتمنى أن تكون ابنتي سعيدة ولا شيء غير هذا يهمني البتة!

_ أخبار سيئة ، الأميرة لم تمت!
_ تلك اللعينة، لا تستسلم بسهولة.
_ لم أتوقع احتمالاً كهذا ، ماذا سنفعل الآن؟
_ لا شيء، ستلفتين النظر إلينا إن قمّت بحركة هذه الفترة
سأختفي أنا لمدة ، وأنت انتظري مني خبراً ، ستقتلينه حين أطلب
منكِ ذلك .
_ ألا يعني هذا أننا سنراجع يا سامر؟ أعتقد أن هذه إشارة !
_ على جثتي سأراجع يا سالي ، سأكمل أنا ما أخطأت به بخصوص
أماريليس، وستقومين بعدها بدوركِ في هذه القصة !
_ لا أظن أنني أستطيع القيام بهذا ، لقد أخطأت حين وافقت على
شيء كهذا ، الأمير و الأميرة ليس لهما ذنب فيما أصاب بارفن، لقد
جنى ما فعلت به يداه، أي قاتل كان يجب أن يلقي جزاءه .
_ هل تعنين بأنكِ تتراجعين ؟
_ أجل ، وسأغادر هذه البلدة نهائياً ، لا أريد لشيء أن يربطني بها،
يكفي ما أخذته مني ، لدي طفل علي التفكير في مصلحته قبل كل
شيء، وأنت ، أرجو أن تتراجع عما تنوي القيام به.
_ حسناً، سيحدث كما تشائين.
_ شكراً، أعتقد أن هذا آخر لقاء بيننا، الوداع سامر .
التفتت لتغادر الغابة لكنها للأسف لم تذهب إلى أي مكان، لم يكن
الانفصال عن خطة سامر بتلك السهولة، بدلاً من ذلك، وقعت أرضاً
بعد أن صرخت صرخة ضعيفة إثر انغراز سكينه داخلها..

_غبية، هل كنتِ تعتقدين أنني سأترككِ تعيشين وأنتِ تعلمين أشياء كهذه عني؟ اللعنة عليكم جميعا ! اللعنة على قدر الشمس ومن فيها .

غادر الغابة بعدها ، وسط تأوهات سالي المرمية بين أشجار الغابة تصارع الموت راغبة في التمسك بالحياة، واضعة يدها على بطنها خوفا من حدوث شيء لطفلها.. دقائق مرت حتى تنغلق عيناها لا إراديا..

"فتنة"

"تصديق كل ما يدور حولنا دون التأكد من صحته أكبر خطوة نحو

طريق الندم"

سامر

مر أسبوعان على حادثة محاولة قتل أماريليس، وعادت الأمور إلى مجراها الطبيعي كما عاد العمل كالمعتاد في ديوان المملكة، لكن ذلك الهدوء لم يكن علامة خير أبدا، فعلى الرغم من عودة الحياة إلى طبيعتها إلا أن جميع الأعين كانت مسلطة على أماريليس، فحتى بعد نجاتها من الموت بأعجوبة، إلا أن هذا لم يرض سامر، فهو لا يزال مصرا على موقفه بأن الأمير والأميرة هما المسؤولان الرئيسيان عن انتحار رفيق دربه، بارفن.. ذلك الفتى الذي أقدم على قتل والدته وهو ثمل، دون أن يرف له جفن، فما كان سامر يقوم به بعد الانفصال عن شريكته في الجرم سالي هو أنه كان ينشر بين الناس الأكاذيب، ويشوه الحقائق، بل ويخفيها بأكملها، بل وقام باستغلال تعاطف المواطنين مع ميادة، العجوز المقتولة وحوّل ذلك إلى صالحه ، فحاول بشتى الطرق أن يبدي أماريليس مذنبية، وأنها السبب في انتحار بارفن دون أن يتلقى الجزاء الذي يستحقه، وأنه بإنهائه لحياته بيده قتل أصغر أمل في الانتقام لتلك المسكينة ، وبأن دمها قد ذهب سدّى، كان بتلك الطريقة يريد قلب الرأي العام للمملكة ضد الديوان، وبهذا الشكل سيضمن عدم راحتها، وكره المواطنين لها، باعتبارها المسؤولة هناك، ثم سيأتي دور داميان بعدها، يعلم جيدا أن شعب مملكة قدر الشمس لا يرضى بالظلم، ولا يرضى بالحكام الفاسدين المتهاونين،

الغير العابئين بحقوق الناس، فتلك هي نقطة ضعفهم، ألا يظلم أحد داخل هذه البلدة، وقد عرف كيف يستغلها باحترافية، كان كالشعبان، ينشر سمة في كل مكان، فثقته بنفسه وخبثه كانا كفيلين بالقيام بذلك، مع رشة خفيفة من البراءة، وعادت قضية جريمة قتل العجوز لتطفو على السطح من جديد..

_ لا أعلم حتى الآن ماذا فعل أعضاء الديوان ليعمونا عن هذه الحقيقة، يقول أحد التجار.

_ كل شيء حدث بسبب تلك المدعوة أماريليس، إنها داهية!
_ أجل، ثم إنها تتظاهر أنها تعرضت لمحاولة قتل، ما الذي يضمن ذلك؟

_ من المؤكد أنها اختلقت ذلك الأمر في هذه الفترة تحديدا، حتى نسى مقتل العجوز وانتحار القاتل، وركز على ما يحدث معها.
_ هذا لا ينطلي علينا بعد الآن، فنحن لسنا بالحمقى كما يعتقدون!
_ بالطبع لسنا كذلك، لقد اتفق أجدادنا على أن لا يظلم مخلوق على هذه الأرض المباركة، ولن يحدث ذلك أبدا لو بعد مئة عام!
كانت هناك عينان تراقبان حوار التجار بترقب، بينما تظهر تلك الابتسامة الخبيثة من بين شفطي صاحبها، لقد بدأت ثمار ما غرسه بالظهور، الفتنة التي نشرها بدأت تنتقل بين الناس، وأصبحوا يؤمنون بها، فالشك دخل القلوب، والثقة قد زُرعَتْ، والأواصر قد قُطعت، والشائخ قد تمزقت، لا يوجد ما هو أبشع من الفتنة، ترى بعينيك كيف أن جبالا من الروابط تتلاشى، وأسوارا مبنية من الثقة

تتهدم، وصوراً جميلة من الذكريات تتحول إلى كوابيس للماضي ، لم يقل الله أنها أشد من القتل عبثاً..

وصل الخبر بسرعة إلى الديوان، وأصبح الجميع داخل دوامة الحيرة والاضطراب، لم يستطع أحد التركيز في العمل، فسكينة المملكة باتت في خطر منذ تلك اللحظة..

_سيدتي، الجميع يتحدث عن الديوان ،سوق نولان، المطاعم، المقاهي، جميع مواضيعها تتمحور حول نفس الإشاعة.

_لا تخبرني بما أعلم به يا يمان، ألا ترى حالتي؟ دعهم يتكلمون، فنحن نعلم الحقيقة وهي اننا بدلنا ما في وسعنا لنتقم لميادة، لكن ابنا خدعنا كما خدع الجميع قبلنا، هذا ليس ذنبنا فنحن لا نقرأ الأفكار!

_ولكن لا أحد يصدق هذا، وتعلمين جيداً أن خسارتنا لتأييد الشعب تمثل خسارتنا للحكم، لا يمكن أن يستمر الوضع هكذا!

_ما الذي بإمكاننا فعله؟ لا خيار أمامنا سوى الانتظار حتى تهدأ موجة الغضب هذه، بعدها سنقوم بخطاب، وسألقيه بنفسه هذه المرة، سيعلم الجميع الحقيقة ولا شيء سواها.

_ماذا إن لم يصدقوا الأمر؟

_لا حل أمامنا سوى المجازفة بهذا يا يمان، وأيا كان من ينشر مثل هذه الأكاذيب، سأجعله يندم على كل ذرة هواء تنفسها في هذا المكان، أقسم بهذا.

انقسم أهل البلدة بين معارضين ومؤيدين، بعضهم يرى هذا ذنب الديوان وأن عليه أن يتحمل المسؤولية الكاملة حياله، والبعض الآخر يرى أن هذا خارج عن نطاق الحكومة، وأنهم قاموا بما في وسعهم لحل لغز تلك الجريمة لكن القاتل كان يسبقهم بخطوة دائما، وهذا مالم يكن الأمر الأرجح، ذلك أن المعارضين للديوان كان عددهم أكبر ممن يساندونه، و على هذا فالوضع كان حرجا جدا عليهم، فلا حول لهم ولا قوة أبدا لمواجهة الظلم والظالمين.

اتفق جمع غفير من المواطنين على مهاجمة الديوان والقبض على أماريليس وغيرهم من أعضاء الديوان للضغط عليهم لكي تحل "العدالة" في نظرهم، وكان سامر في صدارة الهجوم، كلف نفسه بقيادة الناس والكلام نيابة عنهم، حمل الجميع عصيًا مشتعلة وتجمعوا أمام ساحة الديوان الكبرى، لقد تطور الأمر بسرعة كبيرة لدرجة أن لا أحد منهم كان يعلم أن هذا سوف يحدث، وإلا لم يكن أحدهم ليغادر قصره.

_ سيدتي ، إياك أن تبرحي مكانك مهما حدث، إنهم يريدون القبض عليك!

_ ما الذي تقوله يا يمان؟ لن أبقى مختبئة هنا بينما هم يهجمون على المبنى!

_الوضع أصبح خطرا يا مولاتي، قد يصيبك مكروه في الخارج.

صرخت وسط شعارات المواطنين التي تنادي برأسها :

_أين هو داميان؟ لماذا لم يأت حتى الآن؟

_ لا أعلم، إنه ليس داخل المبنى، كما أن أغلبية أعضاء الديوان في منازلهم، نحن قلة قليلة هنا ضد جيش من سكان قدر الشمس!
_ علي أن أجد حلاً بأسرع وقت ممكن، لن أبقى مكتوفة الأيدي!
تعاليت في تلك للحظة أصوات الناس، لقد كان لفرط حزنهم على مقتل روح بريئة ردة فعل لا تمت بصلة للبراءة، فها هم يهاجمون شخصاً لا شأن له بما حل بهم.
أطل عليهم يمان من شرفة غرفة الاجتماعات، والتي كانت عالية بالقدر الكافي الذي يمنع أي هجوم محتمل، وقف في شموخ وثقة في النفس محاولاً حل الأمر بطريقة دبلوماسية :
_ الهدوء، أرجو الهدوء من فضلكم.
صرخ به أحدهم:
_ فليذهب الهدوء إلى الجحيم!
ثم قال آخر:
_ لا هدوء ولا راحة بعد الآن، زمن دفع الثمن قد حل أيها الظالمون!
_ سيدفع الديوان الثمن غالباً! أضاف شخص آخر
ثم تعالت الأصوات مرة أخرى، غير عابئين بما يرغب يمان في قوله.
_ اسمعوني من فضلكم، لا نستطيع حل الأمور بهذه الطريقة.
_ لست أنت المخاطب بهذا، أهل المملكة يريدون رأس الأميرة أماريليس، إنها من أعطت الوعد بمعاينة القاتل، قلتم أنكم ألقيتم القبض عليه، ثم تظاهرتم بأنه انتحر لكي لا يتم إعدامه أمام أعين الناس، ثم لكي ينسى الشعب، تظاهرت هي بالتعرض لمحاولة قتل، فقط لإسكاتنا.

_ولكن تلك هي الحقيقة، لقد تعرضت للقتل وهي تغادر الديوان،
كما أننا ألقينا القبض عليه لكنه أنهى حياته بنفسه لكي يضعنا في
موقف كهذا.

_زمن تصديقكم ولى، تدخل سامر أخيراً، نحن لم نر منكم إلا
الوعود الكاذبة، لن ننخدع بعد الآن، أردف متظاهراً.

_كيف تقول هذا يا سامر، أهكذا تكافئ الديوان بعد أن عملت
معنا؟ قال يمان

_لم تكن تلك إلا خدعة مني، حجة لكي أستطيع بواسطتها معرفة
ما تقومون به خفية عن أهل المدينة، ولقد نجحت في هذا.

_أنت كاذب! كل ما أخبرت به الناس كذب، نحن لا نقوم بشيء
خفية عن أحد، بإمكان الجميع التأكد من هذا.

_لا نريد التأكد من شيء، لقد رأينا كل الوثائق التي تؤكد كلام
سامر، أنتم لصوص، نهبتم كل أموالنا، سلّمونا الأميرة وسندع الجميع
يذهب لحال سبيله.

فهم يمان حينها أن سامر قام بتزوير الكثير من وثائق الديوان حين
كان يعمل هناك، كما أن هدفه كان تشويه صورتهم أمام عامة
الشعب، وها قد نجح في ذلك.

عادت الأصوات تتعالى مرة أخرى، فلم يجد يمان إلا أن ينسحب
إلى الداخل من جديد، على أمل أن يجد حلام مع أماريليس لذلك.

كانت في تلك الأحيان هناك عينان تطالعان ما يحدث بترقب بين
الأشجار المحيطة بالساحة، كان قد تأخر عن الوصول إلى الديوان
بسبب توعك زوجة أبيه المفاجئ، وحين وصل لم يتجرأ على التقدم

وسط تلك الأصوات التي تنادي بقطع رأس المرأة التي بات يحبها، والتي اعترف لنفسه أخيراً أنه أصبح متيماً بها، كان ذلك داميان، الذي كان يلعن نفسه لأنه قد تأخر، بينما ظلت أماريليس لوحدها داخل المبنى محاطة بالمئات ممن يطالبون بها.

_علي أن أتسلل إلى الباب الخلفي للديوان، ثم سأخذ أماريليس وأهريها إلى مكان آمن.

لم يكمل جملته حتى سمع صوت أقدام أحدهم يحدث خشخشة على أوراق الأشجار المتساقطة، استل ببراعة خنجره الفضي متأهباً للهجوم على أيّ كان من يقف خلفه، شعر بيد وُضِعَتْ على كتفه فالتفت بخفة وأمسك بها، وقرب السكين من رقبتها، حينها تفاجأ بمن تكون..

بينما العائلة الملكية كانت تصلي لكي تنجو الأميرة من ذلك الحصار، كان ديميتري وسط موجة من الندم لتصديقه لسامر وانخداعه به، كما كان يحمل نفسه كامل المسؤولية لما يحدث لأنه كان السبب في دخول سامر إلى الديوان، حاول مرات عديدة إيقاف المتظاهرين أو حتى محاولة الدخول إلى الديوان لمساعدة أماريليس لكن جميع محاولاته باءت بالفشل، ذلك أنهم منعه من ذلك، بل وهددوه بقتله لم تقدم خطوة أخرى إلى الأمام، فظل مشغول البال قليل الحيلة لا يدري ما عليه فعله، لكن المستفيد الوحيد مما كان يحدث كانت مالين، فبطبيعتها الخبيثة كانت تتمنى عكس ما تبديه، وهو موت أماريليس على يد المتظاهرين لكي تتخلص منها دون أن تحرك إصبعها حتى، كان لخبر كهذا وقع جميل على نفسها، وهذا ما كان يزعج ابنتها هيرا، التي أصبحت تكره والدتها يوما بعد يوم، فبسبب ما تقوم به مع ساحرات المملكة لم يبقَ شيء ولم يحل بابنة عمها وهذا ما كان يفطر فؤادها.

"يرزقنا الله أحيانا أشخاصا بمثابة الملائكة الحارسة، حتى وإن كنا بعيدين عن أعينهم فإننا حاضرون في قلوبهم، وفي تفكيرهم، يدعون لنا بالسلامة وحفظ الرحمن حين تشتد بنا المحن، ويمدّون إلينا يدا حنونة تنتشلنا من ظلمة الحياة حين نسقط داخلها، ويدافعون عنا إذا جاءنا أحد بالسوء في غيابنا، هؤلاء هم نعمة ربّانية نحن غافلون عنها، ولن يشعر بقيمتها إلا من حُرِمَ منها.."

ظلت الأمور على حالها لفترة لا بأس بها، كانت حينها أماريليس تسير جيئة وذهابا ، عليها تجد حلا، ووسط تنبيه يمان لها بعدم الخروج وعدم تواجد داميان بجانبها شعرت بالخوف الشديد وبالخطر يقترب شيئا فشيئا، لم تجازف أبدا بالخروج من الباب الخلفي خوفا من أن يهاجمها أحدهم دون سابق إنذار، فأثرت الجلوس حبيسة أفضل من أن تقدم لهم نفسها على طبق من فضة.

في تلك الأثناء كان داميان يحاول بكل الطرق التسلل بين المتظاهرين لكي يصل إلى ذلك الباب الخلفي، فقد تأكد أن الباحة الخلفية فارغة، وأن الجميع آثر الوقوف في الأمام، غير عابئين بالخلفية، وهذا من لطف الله ، فقام بتغطية وجهه لكي لا يتعرف عليه أحد، وقرر أن يجازف ويمر خلفهم، فلا حل غير هذا، ولو قرر الانتظار فهذا لن يغير من الوضع شيئا، فهم على الأغلب لا ينوون الانسحاب بسهولة، وهو لا يعلم أين ظل جيش الديوان حتى تلك اللحظة، فالحراس لن يقووا عليهم لمدة طويلة.

ازدد ريقه بسرعة، وتمنى أن لا يمسك به أحد، ركض دون أن يلفت الانتباه حتى وصل إلى منعطف المبنى، تنفس الصعداء أخيرا لأنه قام بالخطوة الأولى على أكمل وجه، ولحسن الحظ فقد كانت بحوزته مفاتيح كل أبواب الديوان، فتح الباب وولج ثم أحكم إغلاقه مرة أخرى بنفس السرعة، ثم أخذ يركض إلى الأعلى مجتازا الطوابق بخفته المعتادة.

_ أماريليس !

_ داميان! صرخت مضطربة سعيدة برؤيته رغم ما كان يدور حولها، وكأنها لامست للتو طوق نجاتها.

_ لا تخافي، أنا هنا فاهدئي!

عانقته بعفوية وخوف..

_ إنهم يريدون قتلي!

_ لن يقتلك أحد، لا تقلقي.

_ ما الذي سنفعله الآن؟ ثم، كيف دخلت إلى هنا وسط كل هؤلاء؟

_ الباب الخلفي، أحمل معي المفاتيح، أشار بحركة من يده.

_ لا وقت للكلام الآن، أضاف، عليك أن تأتي معي حالا.

_ إلى أين؟ لن أستطيع الخروج، سوف يأخذونني!

_ أخبرتك أن لا أحد سيأخذك ما دمت حيا!

_ ولكن كيف سنغادر؟ حتى ولو أسعفني الحظ وغادرت عبر البوابة

الخلفية فقد يراني أحدهم، لن أمنح نفسي لهم بهذه السهولة!

_ من قال لك أننا سنخرج من الباب؟ قال وقد غلبته ابتسامة تنم

على التحدي وروح المغامرة.

أمسك بيدها وحثها على المشي، أخذت ما كانت تحمله معها من

أغراض وغادرا الغرفة نحو يمان ليأخذه معهم، فهو الوحيد الذي

صمم على البقاء معها وعدم المغادرة، بيد أن جميع العاملين هناك

غادروا لأنهم سمحوا لهم بالمرور فمطلبهم واضح، يريدون العقل المدبر

فحسب! أو بالأحرى أماريليس فقط!

سارت أماريليس ويمان بمحاذاة داميان والذي نزل بهم حتى أسفل طابق، ثم دخل بهم إلى أصغر غرفة في الديوان، والتي كانت تتواجد عند آخر الممر وقد تم تخصيصها لوضع الوثائق الغير المهمة أو بالأحرى القديمة التي تخص الأموات، والتي لم تبق لها فائدة بعد رحيلهم، وبما أن رميها كان إهانة لهم فقد تم الاحتفاظ بها بعيدا عن الأوراق المهمة، ولم يدخل أحد إلى تلك الغرفة المؤصدة منذ زمن طويل..

قام داميان بكسر القفل لشدة قدمه وصداءته، ثم دلفوا إلى داخل الغرفة تباعا في ترقب..

_ تفوح هنا رائحة الموت، قال يمان.

_ هذا لأنها لم تُفتح منذ سنوات، داميان، لماذا نحن هنا؟

_ اصبري يا أماريليس.

صمت دام هنيهة، إلى أن أزاح بيده طاولة رخامية قديمة، ثم رفع سجادة صفراء ذات خطوط بنية باهتة امتلأت غبارا من على الأرض، حتى برز لهم من تحتها ما أدهشهم..

_ ماهذا؟ سألت في استغراب.

_ إنه قبو على الأغلب، قال يمان.

_ كلا، إنه نفق، أكد داميان .

اتسعت حدقتا كل من يمان وأماريليس.

_ نفق؟ كيف هذا؟ وإلى أين يأخذ؟

_ مساره ليس بالطويل، لكنه يفي بالغرض، فهو ينتهي بعد مسافة

قريبة من الجدار الذي يحيط بمبنى الديوان.

_هلا شرحت لنا ما قصة هذا النفق؟

_هذا ليس بالوقت المناسب، علينا الإسراع الآن وإلا أمسكوا بنا.

_لا يستهان بك حقا يا داميان!

_سبق وأن أخبرتك أنك لا تعرفين أي شيء عني، غمز لها بابتسامة

سريعة.

فتح باب النفق بمساعدة يمان، ونزل الدرج أولاً ثم تبعته أماريليس، وبينما كانا ينتظران نزول يمان فاجأهما برغبته في البقاء، فهو لا يرغب في المغادرة وترك المكان فارغاً دون حماية أحد، وأنه سيظل وسيدافع عنه إلى آخر رفق في أنفاسه، وهو مالم تقتنع به أماريليس إلا بعد عناءٍ شديد، فهي لا ترغب في تركه بيد أن مكروها قد يصيبه، لقد كان مخلصاً لها منذ أن بدأت العمل هناك، ولم يدعها لوحدها ولو لمرة، وهاهو يثبت ولاءه لها وللدديوان من جديد.

أغلق بعد مغادرتهم باب النفق، وأعاد وضع السجادة كما كانت ثم الطاولة بعدها، أقفل بعدها الباب بشكل نسبي نظراً لكسرهم القفل ثم عاد إلى الأعلى عازماً على الدفاع عن المكان مهما كلفه الأمر، فهو الأمين عليه حتى وصول الجيش.

داخل النفق أشعل داميان أحد المصابيح المهترئة والذي أنزله معه وسارا جنباً إلى جنب وهي تتأمل ما تسير بجواره.

_رموز غريبة، هل تفهم معناها؟

_كلا، ولكنها خاصة بأجدادنا، استخدموا هذا النفق الصغير

للخروج من الديوان في الحالات الطارئة كالحرائق وغيرها.

_ لماذا لم تخبر أحدا عن مكانه، متأكدة من أنك الوحيد الذي على علم به.

_ كنت أشعر دائما بخطر يهدد الديوان، كنت أحيانا أرى كوابيس مرعبة تتعلق بالموتى و أخرى تتعلق بأشباح داخل تلك الغرفة ، وقررت بعدها الدخول إليها واكتشاف كل شبر فيها، فسألت الملك عن هذا، فأخبرني بقصته وطلب مني ألا أخبر عنه أحدا، كان هذا منذ ثلاث سنوات.

_ مهلا، هل أبي يعلم بهذا أيضا؟

_ أجل.

" ترى لماذا لم يخبرني؟" سألت نفسها.

وصلا في تلك اللحظة إلى نهاية النفق، دق داميان الباب الذي وُضِعَ أعلى النفق، فوجئت أماريليس بأن أحدهم يسحبه من الخارج ليساعدهم على الخروج، بيد أن داميان لم يكن متفاجئا. قفز إلى الخارج ثم مد يده إليها وسحبها إلى الأعلى بسهولة، ثم أغلق الباب وعاد يغطيه بالعشب كما كان مرة أخرى، لتتفاجأ هي بإحداهن تقف أمامها، وكانت هي من سحب الباب لهم.

نظرت إليها في تشكك..

_ داميان، من هذه المرأة؟

_ إنها سالي، قال دون تفكير.

_ سالي من؟

_ إنها حبيبة بارفن السابقة، وهي هنا لمساعدتنا.

وكأنها شلت عن الحركة حين سمعت اسم بارفن، شخص قتل والدته، من الذي يعلم ما قد تفعله حبيبته التي تقف الآن أمامها.

_مساعدتنا في ماذا بالضبط فأنا لم أفهم الأمر بعد؟

انتهى حينها من تغطية باب النفق بالعشب، ثم دفع بصخرة ثقيلة ووضعا فوقه ثم أجابها :

_ستشرح لكِ سالي الأمر في الطريق، أما الآن فعلينا المغادرة حالا.

_المغادرة ؟ ظننت أنك ستأخذني إلى القصر الملكي.

وهنا تدخلت سالي:

_الوضع أخطر مما تعتقدن حضرة الأميرة، أولئك الذين اجتمعوا أمام باب الديوان من حثالة المملكة وقد انتقاهم سامر بعناية كبيرة، سيقتلونك إن بقيت هنا، حتى لو ذهبتِ إلى لقصرِك، سيلحقون بكِ، وسيهدمون القصر فوقكِ إن تطلب الأمر ذلك.

_ولكنني لم أقم بشيء، ثم كيف لي أن أثق بكِ وأنتِ كنتِ على

علاقة مع ذلك الأخرق؟ أنا في هذه الحالة اليوم بسببه!

أنزلت سالي رأسها خجلا دون أن تقول حرفا واحدا، فعلاقتها السابقة مع شخص مثل بارفن ستبقى تلاحقها طوال حياتها على الأغلب.

_لا تقولي هذا، قال، هي ليست مثله، لقد شرحت لي كل شيء قبل

أن أصل إليك منذ نصف ساعة.

ضحكت في غير تصديق..

_ليست مثله، هل تصدق ذلك حقا؟ إنها حبيبته، ما الذي يضمن

لي أنها لا تنتقم له؟

_ الأيام ستثبت لك ذلك أيتها الأميرة، قالت سالي أخيراً، لست إلا ضحية لبارفن مثلكِ.

_ فليكن، قالت في شك، لن أختبئ من أحد، أنا بريئة!

_ أعلم ذلك، قال داميان، وحتى إثبات ذلك عليكِ الاختباء لفترة، لا نريد الوقوع في فخ سامر، سنجد حلاً ما ولكن بدكاء، فالإنكار أحياناً لا يجدي نفعاً غير أنه قد يزيد من الطين بلة.

نظرت إليه ببراءة، عليها تلمس في عينيه مخرجاً لمشكلتها، لكنه بادلها نفس النظرة الممتلئة بقلّة الحيلة، فهو يريد إنقاذها من هذا بأي شكل من الأشكال، لكنه يشعر وكأنه مكبل اليدين.
_ إلى أين سنذهب؟

تبادل النظرات مع سالي، فهي سبق وأن اقترحت عليه الوجهة التي عليهم أن يتجهوا لها..

_ لا تخبراني أنكما تنويان تهربي إلى خارج البلدة!
أثرا الصمت..

_ هذا مستحيل، على جثتي سوف يحصل هذا!

_ أماريليس، لا خيار أمامنا سوى هذا، سيجدونك إذا بقيت هنا.
_ هذا لا يهمني البتة، أفضل أن أبقى هنا على أن أهرب مثل الجبناء.
_ حضرة الأميرة، هذا لن يكون بصفة دائمة، إنه أمر مؤقت فحسب، حتى نجد حلاً، ثم بإمكانك العودة متى شئت، هذه بلدتكِ كما أن عملك هنا ينتظركِ على كل الأحوال!

صمتت هنيئة، فاستغل داميان ذلك ممسكاً يديها..

_ أماريليس، أنتِ تثقين بي أليس كذلك؟

أومأت موافقة.

_إذن ،ستفعلين ما أطلبه منك، سنذهب من هنا، سأطمئن على
نك في مأمن ثم سأعود إلى هنا حتى أصلح الأمر، وأجعل ذلك الوغد
سامر يعترف بما قام به أمام الجميع، سنستعيد ثقة الناس بالديوان
من جديد، بعد ذلك، الكثير من الأشياء الجميلة ستنتظرنا هنا، أنتِ
موافقة؟

_لكن..

_ثقي بي، قال مقاطعا إياها، فقط ثقي بي.

اختارت أن تنصاع لطلبه، فهي تعلم جيدا أنها في مأمن وهي معه،
تدرك جيدا أن نسمة الهواء البارد لن تلامسها وهي بجواره، كم شعرت
بالراحة في تلك اللحظة على الرغم من بشاعة ما تمر به، كم أحسست
بأنوثتها وهي تتوقع كطفلة صغيرة داخل حصن أبيها، أن تشعر أن
أحدهم مهتم لأمرك إلى ذلك الحد أمر وقعه حلو على أنفسنا، أن
تشعروكأنك تطير فوق السحب، بحيث أنه ليس بإمكان أحد الوصول
إليك غيره، ليس لأننا من اخترنا أحقيته في الوصول إلينا، بل لأن
الحيال المخفية التي تربط بيننا وحدها كفيلة برفعه إلينا، وما أجمل
الوحدة مع شخصنا المفضل..

_حسنا ، ماهي وجهتنا؟

_قرية "آرتميس"، قالت سالي بحزم، إنها بعيدة نوعا ما عن هنا،
كما لن يخطر ببال أحدهم أن يبحث عنك هناك.
_لم أسمع يوما عنها.

_ هذا طبيعي يا أميرة، فهي قرية صغيرة عدد سكانها لا يتعدى الخمسمئة شخص، إنها المكان الأنسب لإخفائكِ.

_ أنا لا أدري ما مدى صحة هذا الأمر بعد..

_ أماريليس ، أنا معكِ، لا تخافي.

أومأت على مضض، لا تشعر أن فكرة هروبها من مصيرها فكرة سيّدة، لكن داميان كان مصرا إلى حد كبير، فلم تجد إلا أن تمتثل لما يطلبه منها دون أن تتذمر.

كانت سالي قد جهزت قاربا لكي يساعدهم على الهروب عن طريق الميناء، وكان أول ما طلبته من أماريليس هو التخلص من ثياب العمل حتى تسير في الطريق بأريحية، وإلا سوف يعلم الجميع هويتها على الفور، ولن تخطو بذلك خطوة خارج البلدة، قامت كذلك بجمع شعرها على شكل كعكة وارتدت رداءا أزرقا سماويا باهت اللون ذا قلنسوة، ثم سارت بمحاذاة داميان الذي لم يترك يديها حتى وصلا إلى القارب سالمين، دون تعرّف أحدهم عليهم، لتنتقل بعدها رحلتهم إلى وجهة لا معلومة لهم عنها..

عاد يمان مرة أخرى إلى أعلى المبنى، وخرج مجددا ليقوم بالتفاوض مع المتظاهرين، لكن مجهوداته باءت بالفشل، حاول بكل ما أوتي من قوة أن يردعهم عن الدخول إلى الديوان ، لكن ذلك لم يجد نفعا، وقت ضئيل حتى قرروا الولوج إلى المبنى، على الرغم من محاولة الحراس المتواضعة لردع الهجوم، إلا أن قسما منهم يتأسسه سامر نجح في الدخول بسهولة، ولم تكن إلا مسألة وقت حتى اكتشفوا هروب أماريليس المفاجئ دون أن يشعر أحد بذلك، كل الاحتمالات كانت تشير إلى هروبها عن طريق الباب الخلفي، فلا أحد يعلم شيئا عن وجود نفق سري تحت الأرض، ولو فكروا في ذلك ألف سنة فلن يكتشف أحدهم شيئا.

_ اللعينة ! صرخ سامر، دائما ما تجد طريقة للنجاة.

رمقه يمان بابتسامة ساخرة، تشي بالكثير، ففهم هو ذلك.

_ القوا القبض عليه، إنه حتما من ساعدها على الهروب، من

المؤكد أنه يعرف مكانها.

انقض أربعة منهم على يمان يحاولون تكبيله، فحاول الفرار من

بين أيديهم.

_ اتركوني!

احكموا عليه بقبضتهم أكثر فأكثر، فنظر إلى أحدهم والذي كان

يبدو ضخما بتحدٍ وبصق على وجهه، اشتعل الآخر غضبا ووجهه لكمة

إلى وجهه كادت أن توقع أسنانه.

_أيها الوقح ! قال العملاق.

_أوتظنونني أخشاكم ؟ بإمكانكم حبسي إلى الأبد، لن تجدو عندي معلومة واحدة أيها الأغبياء.

لكمة أخرى على وجهه، جعلت من دمائه تتخذ من وجهه مجرى لها.

_أخبرنا عن مكان الأميرة، وسندعك تذهب لحال سبيلك، قال سامر بخبث بادٍ على وجهه و الذي كان يشبه الأفعى التي كانت على وشك أن تقذف بسُمِّها على أحدهم.

_لست أدري أين ذهبت، قال بكل برود.
ضحك سامر أخيرا.

_هل ينطلي هذا علي؟ سأل

_لا أدري، لكنه ربما سيعلمك كيف تكون رجلا حقيقيا، رجلا لا يستقوي على امرأة.

زمر سامر من غضبه، ودون أن يضيف كلمة سارحتي وصل إلى يمان، أخرج من ثيابه خنجرا وبسرعة وضعه على عنقه مهددا :

_إنها فرصتك الأخيرة، قال، أخبرنا عن مكانها الآن!

_مجموعة من الحمقى السافلين! صرخ

نظر إليه سامرا والرغبة في قتله تتأجج داخله، كان يتعطش لسفك دماء أي شخص مقابل أن يتخلص من ذلك الغضب الذي كان يملأه، لكنه يعلم اليقين أن بقتله سيقتل معه كل أمل في العثور على أماريليس، وستنجو بفعلتها كما كان يعتقد، سحب خنجره في ياس، مفسحا المجال لأصدقائه لكي يقوموا بما يجب.

انهال عليه اولئك الأربعة بالضرب وسط نظرات سامر وضحكات يمان الاستفزازية، لقد كان محقا فيما يقوله، فهو لا يعرف أي شيء عن مكان اختباء أماريليس وداميان، لكنها لم تكن تلك الإجابة التي كان يبحث سامر عنها، وبعد فترة من الضرب المبرح المتواصل، وقع يمان على الأرض مغميا عليه..

سافرت أماريليس من بلدة قدر الشمس إلى قرية "آرتميس" ، وبعد رحلة عبر القارب لليلتين متتاليتين ، نامت فيها مستندة إلى داميان أحيانا، وشاردة في زرقة البحر أحيانا، رسا القارب على الشاطئ أخيرا، نزل الثلاثة بعد أن أوصى داميان صاحب القارب بإبقاء الأمر سرا رغم تأكيد سالي أنه من أصدقائها، ثم دفع ثمن التوصيلة ، لحسن الحظ فهو كان دائما ما يحمل معه مبلغا لا بأس به من النقود، تحسبا لأي ظرف مفاجئ، وهاهو يصيب فيما فكر فيه.

سار الثلاثي بمحاذاة بعضهم البعض، ووسط نظرات أماريليس وداميان التي كانت تقلب المكان الجديد في توجس، كانت سالي مرتاحة فهي قد أخذتهم إلى القرية التي نشأت فيها وأمضت فيها طفولتها والتي كانت تحلم فيها دائما بالعيش في بلدة كبلدة قدر الشمس، بعيدا عن الفقر والبؤس اللذين لازماها وعائلتها طوال حياتهم هنا، وبعد زواج أخيها الوحيد و وفاة والديها لم يعد يفصل بينها وبين حلمها بمغادرة القرية شيء، غادرت دون أن تلتفت مرة أخرى، لكن الحياة بقدر الشمس لم تنصفها كما توقعت، فأصبحت تعمل كراقصة في حانات

الدرجة الثالثة لكي تكسب قوتها، أين تعرفت على بارفن هناك، وعلى الرغم من أنها أقسمت على عدم العودة إلى "آرتميس" إلا أنها هناك من جديد، فقط لتزيح عن صدرها عذاب الضمير الذي يأكلها منذ أن وافقت سامر على التخلص من داميان وأماريليس.

_ حسنا ،ها نحن قد غادرنا البلدة، وجئنا هذه القرية، ما الخطوة التالية؟

_ مبدئيا، سنبحث عن مكان لنمكث فيه، ولدي فكرة حول ذلك، ثم سنتحدث بالباقي، أيضا، هناك ما يجب أن أخبركما به..
_ أخبرينا ، قالا في نفس الوقت.

_ سكان هذه القرية غريبون نوعا ما، لديهم معتقدات وتقاليد غير مألوفة ، وإن صادف ورأيتما شيئا يبدو لكما غريبا فلا تبدوا ذلك أمام أحد، بل وتظاهرا بالعكس تماما، إنهم حساسون جدا في هذا الموضوع. تبادلنا النظر في صمت، هما الآن هناك ولا خيار أمامهما سوى الامتثال لما تقوله سالي فهي أكثر خبرة منهما في هذا المكان، كانا يشعران بالتعب الشديد وكل ما كانا يرغبان به هو النوم لساعات طويلة حتى يستعيدا قوتهما من جديد.

وصلا إلى منطقة مليئة بالأكواخ المتباعدة عن بعضها البعض، وأمام كل كوخ تواجدت حظيرة صغيرة تحتوي عددا من الماعز ومن الدجاج، توقفت فجأة:

_ انتظراني هنا، سأعود بعد دقائق.

ظلا مكانهما بينما توجهت هي إلى واجهة أحد تلك الأكواخ، أخذت شهيقا طويلا وزفرت، دقت الباب ثلاث دقائق متتالية، ثم انتظرت

هنيئة ودقت مرة أخرى، فُتِح حينها الباب، وظهر من خلفه شاب في أواخر الثلاثينات من عمره، علامات الإرهاق بادية على مُحيّاه، بشعر طويل يكاد يصل إلى كتفيه ولحية مهملة انتصب بقامته الفارهة أمامها مطالعا إياها في استغراب..

_ماذا؟ أَلن تُرَجِّبِ بِأَخْتِكَ الصغرى يا كوراي؟

_منذ متى وأنت في القرية؟

_وصلتُ للتو، وأحتاج إليك في موضوع ما، علينا التحدث، وبعيدا

عن زوجتك!

_حسنا، قال ببرود، ما الأمر؟

كانت على وشك الحديث، حين جاء صوتها وهي تنادي زوجها

بنبرتها المتثاقلة التي لم تتغير.

_كوراي، من الطارق؟

_لا أحد عزيزتي، أجب وعلامات الخوف على وجهه.

لم يكمل جملته حتى ظهرت من خلفه، تتحرك بغنجٍ داخل فستان

بنفسجي مفتوح الصدر يبدي قوامها المشقوق، مداعبة خصلات

شعرها الأسود الطويل والمجعد، متأملة ضيفتها من رأسها حتى

أخمص قدميها..

_سالي؟

_أهلا نرجس، كيف حالك؟

_بخير، ماذا عنك؟

_بخير، شكرا على السؤال، أود أن أتكلم مع أخي على انفراد من

فضلك.

ضحكت نرجس بتعالٍ..

_حقا ؟ تختفين كل هذه السنوات لتأتي الآن وتطلبي الكلام مع

زوجي وكأنك غادرتِ أمس؟

كتمت سالي غضبها غصبا عنها، تعلم أن هذا هو طبع زوجة أخيها
وقحة كما تحب التدخل في كل شيء، لكنها لم تشأ إحداث مشكلة
منذ وصولها، فأثرت تفاديها قدر الإمكان.

_إنه وضع عاجل، وإلا لما كنتُ لأزعجكم بعد كل هذا الوقت.

_إذن تعترفين أنك مزعجة، تماما كما كنتِ في السابق ، أمر جيد!

_سالي، فلتتحدثي أمام نرجس فأنا لا أخفي شيئا عنها!

لم تتفاجأ من ردة فعل أخيها، فهي تعلم أنه بات خاتما في أصبعها
منذ وقت طويل، فوافقت على طلبه..

عادت سالي إلى داميان وأماريليس مرة أخرى، وكانت علامات
الاضطراب والغضب باقية على وجهها.

_ما الأمر، لماذا عدتِ متوترة هكذا؟

_لا عليكم، إنه ليس بالأمر المهم .

_هل أزعجك ذلك الشاب الذي تكلمتِ معه؟

_كلا، لنقل أنني لم أكن أتوقع عكس هذا فحسب.

تكلمت أماريليس أخيرا:

_هلا أخبرتنا من أهل ذلك البيت؟

بدأت سالي تقص عليهم قصتها وعائلتها، وكيف أنها بعد وفاة
أهلها غادرت القرية باحثة عن العيش الرغيد في بلدة أخرى، الأمر
الذي لم يحدث قط، تاركة أباها الأكبر بين يدي نرجس والتي تزوجته

مباشرة وأنجبت منه ولدا وبنتا، غير مفسحة مجالاً له لكي يفكر في مصير أخته الصغيرة التي أصبحت وحيدة ومعرضة للذئاب البشرية منذ تلك اللحظة، فالحياة لم تنصفها أبداً، وحتى عند وقوعها في الحب، لم تحسن أبداً اختيار الرجل المناسب، الرجل الذي يحميها ويحتويها ويعاملها كما كانت دائماً تتمنى، الأمر الذي لم يتوفر في بارفن أبداً..

"قد تقسو علينا الحياة في الكثير من المرات، قد لا تنفك أمواج القدر من التلاعب بميائنا، قد يمحو الزمن كل أثر لابتسامة جميلة رسمناها يوماً، ونفكر في القسوة التي جربناها في سن مبكرة ونجتز كل الذكريات الأليمة تباعاً حتى لا يظل أصغر أمل للوقوف من جديد، نسأم، وننكمش على أنفسنا وتنتهي الرغبة في كل شيء فجأة، حتى يبدو ذلك للآخرين غريباً، طبعاً.. فلم يشاركك أحد دمعات ليلك، وندبات جراحك، واعتصارات قلبك، وتأوهات روحك، ووجعات بدنك.. الحكم من الظاهر سهل، لكن الله وحده من يرى اختلاجات صدرك، وهو الوحيد القادر على ملمة شتات نفسك في طرفة عين.."
_ هذا لا يصدق، أيعقل أن يترك أخ أخته الصغرى دون عناية؟
_ هذا يحدث يا أميرة، خاصة وإن كانت في حياته امرأة خبيثة مثل نرجس..

_ ألا تكرهينه بعد كل ما فعله بكِ؟

_ كلا، لنقل أنني لم أعد أنظر إليه نظرة الأخ بعد كل هذه السنوات، خاصة بعدما بدر منه منذ قليل.

تنحنح داميان، فحتى بعد سماعه لقصة سالي الحزينة فهو لا يزال قلقا على أماريليس، ورغبته في حمايتها لا تزال تجتاحه..

_ حسنا سالي، ما الذي سنفعله الآن، وأين سنقضي هذه الليلة؟
_ هذا ما أتيت إلى هنا لأجمله، لقد طلبت من أخي كوراي مفتاح قفل كوخ عائلتي القديم، حيث كنا نسكن، كما أنني أستغرب كيف لم يقم ببيعه لإرضاء زوجته المتطلبة بكل صراحة!
ربتت أماريليس على ذراعها..

_ ألن يرغمك هذا على استرجاع ذكرياتك السابقة؟
_ كلا لا عليك، أستطيع مواجهة هذا، أولويتنا الآن هي حمايتك، لا أهمية لمشاعري أبدا.

تبادلا ابتسامة سريعة، ثم غادر الثلاثة نحو الكوخ، مرّوا أثناء سيرهم بأكواخ كثيرة، أغلبها متواضعة، الكثير من الأطفال يركضون هنا وهناك، وحل، حيوانات، فئران، وحشرات.. نساء يتبادلن النظرات، لقد عرفوا سالي، على الرغم من أنها كبرت وازدادت جمالا إلا أن ملامحها الطفولية لم تتغير، نفس العينين السوداوين الواسعتين والشعر القاتم، لقد كان ملامحها الفجرية أثر واضح، كما أن الزمن لم يمخُ حنكتها وذكاءها المعتادين، " ابنة جواد وبادية هنا.. " هذا ما كانت النسوة تهامس به..

_ لقد وصلنا، قالت سالي.

توقفوا عند آخر منزل، كان كالأكواخ التي لا تختلف كثيرا عن التي مروا بها في طريقهم، إلا أنه كان أوسع قليلا، كما أنه أقل اهترائا عن غيره، فتحت بوابته الخشبية القديمة بمساعدة داميان، ذلك

لأنه لم يفتح منذ مدة طويلة فأصبح عسير الدفع، ودلفوا إلى الداخل وسط نظراتهم التي كانت تُمَشِّطُ المكان، وأغلقوا الباب خلفهم.

اجتاحت سالي قشعريرة خفيفة، نفس الشعور، نفس الرائحة، لم يكم سهلا عليها العودة إلى هذا المكان من جديد، خاصة وأنه المكان الذي فقدت عائلتها تحت سقفه، إلا أن الخيار لم يكن في يدها، عليها أن تصلح ما أقحمت نفسها به قبل فوات الأوان، فهي تعتبر نفسها المسؤولة عما يحدث مع أماريليس، وما عليها إلا أن تصلح ما أفسدته رفقة سامر..

..تنحنحت..

_أعلم أن المكان متواضع جدا، إلا أنه لا خيار أمامنا سوى التأقلم مع الظروف.

أومأت أماريليس موافقة إياها، استقروا بعدها داخل المنزل، خرجت بعدها سالي لتحضّر بعض لوازم الطعام من خضر ولحم وخبز، كما ذهب داميان لإحضار الحطب لكي يشعل المدفئة، بينما ظلت أماريليس في الكوخ لتترتاح من تعب الطريق..

في القصر الملكي..

أصبح الجميع مضطربا الآن، فالخبر قد انتشر بسرعة، أماريليس مفقودة، بعد هجوم المواطنين على الديوان والقبض على يمان تناقلت البلدة خبر اختفاء الأميرة الأولى للملكة، أرسل الملك مساعديه والحراس وكل قادة الجيش للبحث عنها وإيجادها قبل أن يجدها المتظاهرون، فإن وقعت بين أيديهم فلا خلاص لها منهم، لقد أمر بسجن الكثير منهم لكن أغلبهم لاذ بالفرار، ولم يتمكن من معرفتهم بعد، كان كل من في القصر قلقا بشأن أماريليس، وخاصة ليجاي، إلا مالين، التي كانت تدعو أن لا تعود أماريليس إلى القصر أبدا، سيعفيها هذا من قتلها بنفسها وستتخلص منها إلى الأبد.

وصل السيد نازي إلى القصر الملكي فور تلقيه الخبر، وقرر أن يدعم الملك في هذه الفترة الحرجة التي يمر بها وعائلته، فهذه واحدة من الظروف التي يجب على الأصدقاء التلاحم بها أكثر من أي وقت مضى، فما فائدة الصديق إن لم يكن نجما حين تُظلمُ سماؤنا؟

_أيها الملك، داميان ابني أيضا لا أثر له منذ خرج إلى الديوان، هو معتاد على هذه الغيابات المفاجئة أحيانا، لكن هل يعقل أن يكون برفقة الأميرة؟

_هذا احتمال وارد، لكننا لسنا متأكدين من هذا.

_أتمنى أن يكون كذلك، أنا أؤكد لك أن أماريليس في مأمن إن كانت

برفقته، أنا أعرف ولدي جيدا.

_أرجو ذلك يا نازي، الجميع قلق عليها، وخاصة زوجتي، إنها لا تنفك تتكلم عنها.

_هذا طبيعي، هكذا هن الأمهات، قد يضحين بحياتهن في سبيل أولادهن، الملكة قوية، ستكون بخير، وأماريليس كذلك، إنها مع ابني، أنا أشعر بذلك!

_علي أن أجد ابنتي، سأفعل هذا وسأحميها ولو كان آخر يوم في حياتي.

دلفت مالين إلى جناح ابنتها، حين وجدتها تقرأ إحدى الرسائل، حينها أخفتها مباشرة، وزالت ابتسامتها متظاهرة بعدم المبالاة.
_ما الذي تريدينه.. أمي؟

_ما الذي أخفته عني للتو؟ أهي رسالة من خطيبك نائل؟
"تبا، كيف عرفت هذا؟"

_عن أي رسالة تتحدثين؟ أنت مخطئة، قالت متهربة.

_عزيزتي هيرا، هل تخفين هذا عني؟ أنا والدتك
_لستُ أخفي شيئاً.

_لماذا لا تخبريني إذا قليلاً عما يدور بينك وبين نائل، وصلتني الأخبار أنكما تلتقيان باستمرار!

_هل تتجسسين علي؟

_أوه، بربك هيرا، الجميع أصبح يعلم بهذا.

_يعلم بماذا؟ سألت متوترة.

_بأنك واقعة في حب نائل، أرى نظراتكما الخفية لبعضكما،

لقاءاتكما المتكررة، ليس عليكما إخفاء حبكما بعد الآن.

احمرّت هيرا خجلا ، أمها محقة في هذه النقطة، أصبحت تحمل الكثير من المشاعر للرجل الذي اختارته لها والدتها غصبا عنها، كما بات يفعل هو أيضا، الأمر أشبه بمتلازمة "ستوكهولم" ، حيث يقع الشخص في حب من قام باختطافه، هو لم يقم باختطافها، لكنها كانت مجبرة عليه، لقد مرّ كلاهما بتجربة سيئة مما دفعهما إلى الملمة جراح قلبيهما معا، حتى اتحدا وأصبحا كيانا واحدا، لم يعترفا لبعضهما بذلك بعد، كانا في مرحلة ما قبل الاعتراف، والتي غالبا ما تكون أجمل مراحل الحب، لا التزامات فيها، ولا قيود ولا شروط، إنها أنقى المراحل، حين يتوق كل واحد إلى الآخر، حين يحرق الشوق فؤاده، ولا يغادر الآخر تفكيره، بدون إذن، بدون استئذان، وبدون إنذار، يأتي لينصب خيامه داخلك.. لا تزال هيرا ترى من أمها كائنا شريرا وشرطانا بلا رحمة، لهذا لا ترغب في الاعتراف بشعورها أمام والدتها، بل وحتى أمام نفسها، سوف لن تشعرها بأنها كانت محقة بشأن نائل وبأنها تعرف مصلحة ابنتها أكثر منها، لن تدع لها أبدا الفرصة للتحكم بحياتها.

_ أنتِ تتوهمين ، إن كان هذا ما جئتِ لأجله فأنتِ قد أتيتِ عبثا.

_ كلا ، أنا فقط هنا للاطمئنان عليك.

_ أنتِ في مزاج جيد إذن، لا ريب في هذا، أنتِ سعيدة باختفاء

أماريليس أليس كذلك؟

تنفست مالمين بعمق مبتسمة..

_ هذا لم يعد يهمني بعد الآن، إنها تلقي جزاء ما تفعله، تستحق

هذا !

_ أنتِ حقا شيطان يا أمي، لكنني لا ألومكِ على تفكيركِ الشره هذا،
أنتِ من فتيات الليل، وفتيات الليل قد لا يتوقفن عن منح أنفسهن
مقابل المال فحسب، بل قد يقتلن في سبيل ذلك، وأنتِ أكبر مثال على
هذا.

اقشعر بدنهما لسماعها تلك الكلمة ، فهي لم تسمعها منذ مدة
طويلة، وابتها تحاول المراوغة وإخضاع والدتها من خلال تذكيرها
بماضيها..

_ أرى أنكِ قد تعودتِ على إهانة أمكِ، وأن سري هذا أصبح يخدم
مصالحكِ.

_ أنتِ من دفعني لهذا، فلا تتظاهري بالشعور بالإهانة أبدا فهذا لا
ينطلي علي.

_ يوما ما ستفهمين معاناتي هنا يا ابنتي، ستشعرين بما أشعر به
حين ترين بعينيكِ الخطر الذي يلتف حول أطفالكِ، حينها سترغبين
بحمايتهم ولو كلفكِ الأمر حياتكِ.

_ كفاكِ سخرية مني، كلانا نعلم أنني وأخي لا نهمكِ البتة، أنتِ فقط
تستخدميننا كذريعة لممارسة أفعالكِ القذرة، هوسكِ بالمال والسلطة
ذهب بكِ بعيدا، أصبحتِ كائننا مجردا من الإنسانية، أنا حقا أشفقُ
عليكِ.

_ هيرا، لقد تجاوزتِ حدودكِ منذ زمن طويل ، لا تنسي أن التي
تقف أمامكِ هي والدتُكِ.

_ وكأني أستطيع أن أنسى هذا، لو لم أكن ابنتكِ لاختلف كل شيء
في حياتي، شكرا لأنكِ جعلتي مني فتاة تعيسة.

_سينتهي هذا حين تصبحين الأميرة الأولى للملكة، وهذا قريب جدا، ستزين ذلك!

_فلتذهب أفكاركِ الشيطانية إلى الجحيم، سوف تعود ابنة عمي، بإمكانكِ التأكد من هذا، وسأفعل أي شيء لحمايتها منك، بل ومن أي شخص آخر، أتمنى فقط لو كنتِ بمثل نزاقتها يا أمي.

_لا تشهيني بتلك الخبيثة يا هيرا، قد لا تصدقين هذا ولكنني حقا أفعل كل شيء لأجلكما أنتِ وهيذر.

_حسنا، وأنا الآن أطلب منك ألا تفعلي شيئا من أجلي، لا أريد تفكيركِ بي، لقد أصبح حديثنا هذا يشعرني بالملل، أنتِ تضجرينني حقا!

-سيأتي اليوم الذي تندمين فيه عن كل كلمة يا هيرا، أعدك بذلك!
_سنرى من سيندم في الآخر يا أمي..

عاد داميان يحمل الحطب بكلتا يديه وعلامات التعب بادية على وجهه، حينها وجد أماريليس تقف عند النافذة متأملة منظر الأطفال وهم يركضون وعلامات البؤس بادية على ثيابهم وأقدامهم الحافية، حيث راحوا يلعبون داخل الوحل ويترامون به على بعضهم البعض، منظر خلف أثرا داخلها..

_تراقبين الأطفال؟

أومأت إيجابا.

_فقراء، لكنهم سعداء..

_هذا صحيح، أجابت، تمنيت لو أنهم كانوا يدرسون بدل من هذا،

أخبرتني سالي أن لا مدرسة هنا.

_هذا مؤسف، علينا أن نساعد هذه القرية بعد أن نعود إلى بلدتنا.

_أنت محق، هذا ما كنت أفكر به.

_حسنا، نتحدث بهذا لاحقا، لقد أحضرت الخشب، وسأوقد

المدفأة، لن يكون هذا سهلا لكنني سأحاول، إنها قديمة جدا.

_بإمكانك القيام بهذا، أثق بقدراتك، ابتسمت.

_يا إلهي، الأميرة أماريليس تعترف لي بثقتها؟ إنه يوم كبير!

_كفالك سخرية، إنها الحقيقة، لقد عَبَّرَت بي البحار، أعتقد أن

هذا أكثر من كافٍ.

_هذا أقل ما توجب علي فعله، أنت مهمة جدا بالنسبة لي..

تورّدت وجنتاها، وتجمد لسانها عن الكلام، ولحسن الحظ، دخلت سالي حاملة الأكل، فتنفست الصعداء، فلن يتوجب عليها أجابته على اعتراف غير متوقع كهذا.

_أعتذر عن التأخير، النسوة هنا لا يعقلن، إنهن ثرثارات، لم يتركني إلا بعد أن أخبرتهن عن سبب عودتي.

_هل أخبرتهن بالحقيقة؟ فُزِعْتُ أماريليس.

_بالطبع لا، قلت لهن أنني اشتقت إلى قريتي، وأني أرغب في الزواج من أحد أبنائها وليس من مكان آخر.

لم يستطع داميان كتم ضحكاته، فانفجر ضاحكا، وكذلك أماريليس.

_لمماذا تضحكان؟ أعلم أنها حجة سخيفة، لكن هذا ما استطعت التفكير به في وقت قصير.

_وهل تعتقدين أنهن صدقنك؟

_لا أعتقد، وهذا لا يهمني صراحة، نحن هنا لهدف وعلينا التركيز عليه وحده.

_سالي محقة يا داميان، علينا أن نخطط لما سنفعله بعد الآن، لن نبقى مكتوفي الأيدي.

_لا تقلقي يا أماريليس، لقد فكرت في هذا، سأمضي هذه الليلة هنا، وسأعود غدا إلى قَدَرِ الشمس، سأرى ما يجب علي فعله هناك.

تحركت من مكانها مقتربة منه في خوف..

_ولكن كيف هذا؟ وماذا عني؟

_ستعتني بك سالي بشكل جيد فهي تعرف المكان هنا، سأغيب ليومين فقط، ثم سأعود إليك.

بدت علامات الحزن بادية على وجهها، فناهيك عن ابتعادها عن بلدتها ومسؤولياتها و عائلتها، وجدت نفسها في قرية تغيب عنها أقل المتطلبات، وفي حين أن وجوده معها هناك كان يطمئنها، هاهو يخبرها أنه سيغادر، وهذا ما سيزيد من مقدار شعورها بالوحدة والغربة.

_ستغرب الشمس بعد قليل، نتحدث بهذا بعد العشاء.

_مهلا، ألا تغرب الشمس هنا مع منتصف الليل، كما تفعل في قدر

الشمس؟

ضحكت سالي لأول مرة منذ أن وصلت إلى هناك..

_كلا يا أميرة، نسيت أن أحَدِّثكم عن هذا، الشمس هنا تغرب

باكرا، ونتبين وقت تناول الطعام مع بداية غروبها، الليل طويل هنا.

شعر كلاهما بالغرابة، فهما ليسا معتادين على غروبها في هذا

الوقت المبكر، ما اعتادا عليه في بلدتهما وعلى رغم غرابته فهو ما كان

يبدو لهما طبيعيا، وما كان طبيعيا هو ما بدا لهما غريبا.

_لم أعرف بعد ما الشيء المنطقي، قانون بلدتنا أم قريرتكم، قال

داميان بقلة حيلة.

_لا أحد يعلم هذا، لكن على الأقل، انظرا إلى الجانب المشرق،

أنتما تريان شيئا جديدا وللمرة الأولى، أليس هذا أمرا مثيرا للاهتمام؟

أوما مؤيدين كلامها، ثم أخذت سالي تحضر طعام العشاء بالمقادير

المتواضعة التي استطاعت توفيرها، حيث قامت بتحضير حساء من

الخضار كما قامت بعجن خبز منزلي، وختمت مهمتها بعصير ليمون

منزلي محلّي، تناولوا العشاء في هدوء، بعدها أحضرت لهم ثيابا من التي تركها والداها قبل وفاتهما تشبه التي يرتدونها في القرية، لكي لا يبدو مظهرهما غريبا أمام سكان القرية، بعدها جلسوا يتسامرون أمام المدفأة بمساعدة مصباح يدوي..

_ سالي، أخبرينا قليلا عن قريتك، أصحيح أنّ لا مدرسة هنا؟
_ هذا صحيح يا أمير، الأطفال هنا لا يفعلون شيئا سوى اللعب حتى يكبروا، وإن كبروا، يبدأون العمل في الحقول مع آبائهم.
_ وماذا عن الفتيات؟

_ الفتيات يتعلمن خياطة الثياب وصنع الطعام، وخاصة طحن الذرة، والتي تعتبر الطعام الأساسي هنا، وحين تتجاوز الفتاة السادسة عشرة، تصبح جاهزة للزواج، لتنتقل للعيش مع زوجها وتنجب الأولاد في أقرب وقت ممكن، هذا شرط.

_ وإن لم تنجب بسرعة، ماذا يحدث لها؟
_ ينفصل عنها زوجها، ليقوم باستبدالها مرة أخرى .
_ هذا جنون، ألا يعلمون أن العيب قد يكون من الذكر أحيانا؟
_ لا يؤمنون بهذا بالطبع، الأنثى هي من تحمل وهي من تتحمل المسؤولية في هذا الموضوع، كما هو الحال مع المواضيع الأخرى.
_ هذا ظلم كبير للمرأة ! أردفت

_ أخبرينا أشياء أخرى، قال داميان، مثلا كيف يتسلّون؟
_ يقومون بحفلات ليلية فيها رقص وغناء مرة في الأسبوع، ويرقص الجميع معا، وفي تلك الحفلات تختار النساء زوجات لأبنائهن، كما يوجد تقليد يضحكني فيما يخص هذا الموضوع.

_وماهو؟

_حين تختار المرأة الزوجة المناسبة لولدها، تركز على مدى خشونة وتشقق يديها، ثم تعطيها حبات من الجوز وتأمرها بكسرها بأسنانها، بعدها تعطيها كمية كبيرة من الجوز وتجعلها تأكلها كلها، وأخيراً، تمشي الفتاة حافية لمدة أسبوع، فإن أتمت هذه الشروط، فهي تعتبر الفتاة المثالية للزواج.

_ولكن لماذا على الفتاة أن تقوم بكل هذا؟ سألت بتعجب.

_خشونة اليدين وتشققهما دليل على صلابة المرأة وكمية العمل الشاق الذي تستطيع القيام به، وكسر الجوز بالأسنان يبين صحة أسنانها الجيدة، والقدرة على أكل الجوز بكميات كبيرة يعني أن الفتاة تتميز بالنظر الحاد، أما المشي حافية فيعني أنها مستعدة لمواجهة الفقر المحتمل مع زوجها ولو دفعها ذلك إلى السير دون حذاء!
اندهش كلاهما من هذه المعلومات التي يأخذونها حول هذه القرية، إنها حقاً نقطة معزولة عن باقي البلدان..

_قوانين غير منصفة حسب رأيي، لماذا لا ينطبق هذا على الرجل أيضاً؟

_بلى يا أميرة، هناك ما يقوم به الرجل أيضاً، وهو أسوأ من هذا.

_ما هو؟ سأل داميان بتربق

_حمل الزوجة والسير بها على الفحم الساخن، أو ما يعرف بـ "المكاري"، حيث يضع زوجته على ظهره ويسير بها حافي القدمين على الفحم الساخن حتى يثبت رجولته وقدرته على تحمل المسؤولية

والحفاظ على زوجته، وهذا ما يعني أن الزوجة محظوظة وأنه الزوج المناسب تماما لها.

_ في هذه الحالة، أعتقد أنه أمر في محله.

_ لماذا يا أماريليس، لهذا الحد ترغيبين في الانتقام من معشرنا نحن الرجال؟

_ إن هذا قليل حتى، أنتم الرجال مخلوقات مزعجة جدا.

_ هكذا إذن، وفيما أزعجتكِ أنا يا ترى؟

ضحكت بعفوية..

_ دعنا لا نتحدث بتلك المواضيع، وإلا ستخسر الجولة حتما يا داميان.

تَدَكَّر كيف بدأت الأمور بينهما، وكيف كان يسخر منها ولا يفوت فرصة يزعجها فيها حتى يتحسن مزاجه، بينما كانت هي تثور غاضبة كالبركان ، فابتسم..

_ لقد تغير الكثير منذ تلك الفترة، كما أنك لم تكوني قليلة أيضا، كنت تحاولين فرض سلطتك علي بأي شكل من الأشكال.

_ أعتقد أنني نجحت في ذلك..

توقف عن الحديث فجأة، نظر إليهما مطولا ثم واصل :

_ هذا صحيح، لكن ذلك لم يكن إجبارا منك، لقد كان بإرادتي..

فهمت ما يرمي إليه، إنه يقصد أنها تؤثر عليه بشكل جعله يقع في حبالها.

"يا إلهي، أعتقد أن حرارة المكان بدأت ترتفع فجأة " قالت

لنفسها.

_يسعدني ذلك ، اعترفت بصعوبة.

كل هذا وسالي تراقب حديثهما الجميل، الذي جعلها تدرك العلاقة الخفية التي كانت تجمع بينهما، ما بينهما لم يكن غزلا وليالي رومانسية وشِعْرًا ملحونا، بل كان مسحة على الجبين، لمسة حنان، كلمة طيبة، حماية من قُبْح الحياة، نظرة تحمل الكثير، وابتسامة بمثابة راحةٍ أبديةٍ للبال، وأحيانا، رحلة عبر البحار في سبيل أحدهم! قد لا تريحنا أموال الدنيا، قد نحتاج فقط إلى حُضنٍ يحتوينا مع بعض الحروف المبعثرة، الحروف التي تطمئننا بأننا لسنا لوحيدنا وأن هناك من هو مستعد لمواجهة معترك الحياة معنا، أحيانا، تكفيننا عزلة من كل شيء ماعدا السند الذي وإن مال بنا الزمن، نستند عليه ولا نقع..

_حسنا ، أعتقد أن علينا الخلود إلى النوم الآن، لقد كان يوما طويلا لنا جميعا.

_سالي محقة ، كما أن علي العودة إلى البلدة غدا صباحا.

تضاءلت ابتسامتها فجأة ، وتذكرت أنه سيتركها بمفردها هناك.

_هل هذا حقا ضروري؟

_سبق وأن تحدثنا بهذا يا أماريليس، إن كنت ترغبين في العودة إلى حياتك الطبيعية فعلي جعل ذلك ممكنا أولا، ثقي بي، الكثير من الأشياء الجميلة تنتظرنا هناك، أعدك بذلك.

رسمت ابتسامة مصطنعة على وجهها، ولم تعلق على ما قاله، فري في النهاية خارج دائرة الاختيار، وما عليها سوى الانتظار وتنفيذ ما يطلبه منها بالحرف الواحد إن كانت تريد العودة إلى قدر الشمس.. أطفأت سالي نار المدفأة القديمة وحل الظلام في الكوخ وخيم الصمت

أخيرا، نامت الفتاتان من شدة إرهاقهما بينما لم ينجح داميان في ذلك، فظل يتقلب يمنا وشمالا مفكرا فيما ينتظره غدا عند عودته إلى بلدته..

فُتِحَ باب الكوخ المظلم الذي كان يمان مرميا داخله مربوط القدمين واليدين، أزاح أحدهم قطعة القماش التي كانوا يحشرونها داخل فمه حتى تمنعه من الصراخ وراح يكلمه باستفزاز:
_ لا يظهر عليك أنك شجاع إلى هذا الحد، لم أتوقع منك الصمود لأربعة أيام !

_ حسنا، ليس الجميع جبانا مثلك على كل حال، أجابه بجرأة.
_ فلتنتبه إلى كلامك، بإمكانني تحطيم جمجمتك واحتماء دماغك في ثوان، لا يعلم بوجودك هنا شخص غيري.
_ هل تعتقد أنك ستخيفني بهذه الطريقة؟ محاولة فاشلة.. تماما مثلك ! انفجر ضاحكا.

استشاط الآخر غضبا ، لكنه كتبه بكل ما أوتي من قوة، فهو لا يرغب في أن يكون لعبة بين يديه بتلك السهولة..
_ لا تختبر صبري، أنت لا تعلم ما الذي أنا مستعد لفعله بشخص مثلك.

_ أرجوك، كفاك سخرية من نفسك، توقعتك أذكى من هذا، تعلم أنك تحتاجني حتى أخبرك عن مكان أماريليس، لو قتلتني فستقتل معي أصغر أمل لك في إيجادها، ولكن فلتخمن ماذا؟ لست أعلم بمكانها ! وتتعالى ضحكاته..

_ أخبرني عن مكانها، وسأدعك تذهب لحال سبيلك.
_ هل كُتِبَ على جيبني كلمة "أحمق"؟ غادر لو سمحت، كنت
أستمع بمنظر الظلام داخل هذا المكان المهترئ، غلبته ضحكة أخرى.
_ أنا أعرض عليك فرصة لا تتكرر مرتين، إما أن تقبلها، أو أن
تموت، مصيرك بات بين يدي.

_ ولكن هذه الفرصة تكررت حقا، ألا تذكر أنك عرضت علي نفس
الشيء صباح أمس؟

أزعجته سخريته منه، توقع أنه قد يخاف ويخبره عما يريد
معرفته، لكن توقعاته ذهبت سدى.

_ أهذا آخر قرار لك؟ قد تندم لاحقا.
_ ولم قد أندم، ستقتلني وبهذه الطريقة لن أضطرَّ لرؤية وجهك
القبیح هذا، إنه أمر أكثر من رائع !

لم يستطع الآخر كبح غضبه هذه المرة، فانها ل عليه بالضرب حتى
ألمته يداه، لكلمات على الوجه، ضَرَبَاتٌ على البطن، حتى أنه كاد يكسر
له أحد ضلوعه..

_ وقوفك مع أماريليس لن يفيدك بشيء يا يمان، أتعتقد أنني لا
أعلم أنك تحبها؟ إنها لا تعيرك مقدار ذرة من الاهتمام !

وكان أحدهم سكب عليه ماء باردا، لم ينتبه إليه حين كان يبرحه
ضربا، ولكن تلك الجملة كانت كفيلة بأن توقظ كل حواسه الجسدية
دفعه واحدة، نسي حتى أنه كان يتألم، كيف له أن يعرف سراً كهذا؟
_ ما الأمر؟ أرى أنك قد انتهت إلي أخيرا عند ذكر اسمها، لا بد أنك
تتساءل من أين لي بمعلومة كهذه، أعلم بهذا منذ مدة، منذ رأيتُ

الصورة التي رسمتها لها واحتفظت بها في درجكّ السري، حينها تيقنت أنك تحبها، لكن أين هي الآن، لقد هربت تاركة إياك خلفها، لم يهمها إن كنا سنقتلك أم لا، لماذا تفكر في مصحتها الآن؟

_ هذا أمر لن تفهمه أيها الوجد المتطفل، أنت لم تحب أحدا في حياتك، ولم يحبك أحد أيضا، لن تعرف أبدا معنى أن تحمي من تحب حتى آخر رمق من أنفاسك، أن تعرض نفسك للمهلك في سبيله، أن تضحي بحياتك ليعيش، حتى وإن لم يكن من نصيبك، إياك وأن تطلق سراحي، لأنني سأقتلك بيدي هاتين لو أفلتني الآن، لن يشرق يوم آخر وأنت تتنفس يا سامر، صدقني !

_ قبل أن يحدث هذا سأؤكد بنفسي من موت حبيبك أماريليس، تلك اللعينة ! صرخ، لقد تسببت في مقتل صديقي، الشخص الوحيد الذي تقاسم معي مأساتي في هذه الحياة!

_ عنمتحدث ؟

_ أتحدث عن بارفن، لقد أَيْدَتُ اقتراح ذلك الحقير داميان وأمرت بسجنه، لقد عذبتة حتى قرر الانتحار، كنت أنوي تهريبه تلك الليلة، لكنني وصلت بعد فوات الأوان.

_ بارفن قتل والدته، إنه شيطان، الأمير والأميرة كانا محقين في قرارهما، كان يستحق نهاية كهذه !

_ اخرس ، هل يعلم أحد منكم مقدار البؤس الذي عاشه صديقي؟ لا أحد، لم يكن ينوي إلا اخذ عِقدِ والدته حتى يتمكن من شراء كوخ ليعيش مع حبيبته تحت سقفه، الأمور خرجت عن السيطرة وإلا لم يكن ليفعل ذلك !

_بل كان ليفعل ذلك وأكثر، لقد اعترف في رسالة تركها أنه ليس نادما على ما قام به، وأنه كان ليفعل نفس الشيء لو عاد به الزمن، إنه عار على هذه المدينة، بل وعلى الحياة بأكملها!

لم يصدق سامر ما كان يسمعه، صديقه كان سكيبرا، سارقا وبائسا حتى أنه قتل والدته، لكنه توقع أنه قام بذلك عن غير قصد وليس بإرادته كما أخبره يمان..

_أنت كاذب، جميعكم كاذبون، بارفن رجل شريف ولا يقول شيئا كهذا، ولا يمكن أن يقتل والدته عن قصد!

_بل إنه كذلك، تشعر بخيبة الأمل لأنك لم تكن تعرف صديقك بشكل كافٍ أليس كذلك ؟ أخبرتك أن لا أحد يهتم لأمرك حقا، لم يتكبد حتى عناء توديعك، بل لم يذكر اسمك حتى في رسالته !

" تلك هي الصدمة التي قد يشعر بها أي شخص فينا حين يصطدم بحقيقة الشخص الأقرب إلى قلبه ، أن تكتشف أن من تقاسم معك كل شيء ليس كما كنت تتوقعه، أن تفهم أخيرا أن لا أحد يبدي لك صورته الداخلية الحقيقية كما هي، والأوان قد حان لكي نصدق هذه الحقيقة التي لا مفر منها، وهي أن لا أحد سيرقى لمستوى توقعات أحدهم مهما حاول، وأن الداخل ليس أبدا كالخارج ، بل هو أسوأ وأفظع .. "

_كاذب لعين ! لن ينجو أحد منكم بفعلته، سأجد أماريليس، ثم سيأتي دور داميان، لن أنسى أحدا منكم.

_فلتصدق ما شئت، صديقك كان ندلا، تماما مثلك أنت، لا عجب في أنكما صديقان.

_اخرس أيها الحقيير وإلا قتلتك ! صرخ كما لم يفعل، وكأنه دخل في هستيريا غضب.

_إنها الحقيقة ،إخفاء الحقيقة سهل، لكنه لا يغير من كونها الحقيقة، هذا ما كان الأمير داميان يقوله دوما.
قام سامر بضرب يمان من جديد، وكأنه يزبح أعباء كتفه عنه بتلك الطريقة، كان على وشك غرز سكينه في رقبته لكنه تفاجأ بأحدهم يسحبه من الخلف، نظر إليه نظرة خاطفة قبل أن يفقده الوعي بضربة واحدة، فوقع مباشرة على الأرض..

مضى داميان في طريقه منذ الصباح، وأمضى يومين في القارب مبحرا نحو بلدته، عله يجد طريقة يضمن بها عودة أماريليس دون أي خطر قد يصيبها، لم يستطع أن يخرج من باله الاعتراف الذي قامت به سالي له ذلك الصباح، حيث أصبح منذ تلك اللحظة لا يثق بها كليا، حتى أنه ترك أماريليس معها على الرغم من أن قلبه لم يكن مطمئنا أبدا، لكنه كان خارج دائرة الاختيار، ولم يكن له حل آخر سوى تصديقها..

العودة إلى ذلك الصباح..

_ أرى أنك مغادراً.

_ هذا صحيح، علي ألا أتأخر.

_ أدري أنك مستعجل وأن أمامك طريقاً طويلاً، لكنني أريد أن

أستغل فرصة عدم وجود الأميرة حتى أستطيع إخبارك بالأمر، لم يعد

بإمكانني إخفاء هذا أكثر.

_ أين هي الآن؟

_ تأخذ حماماً قصيراً.

_ حسناً، هل علي أن أقلق؟

_ كلا، على الإطلاق، أقصد..

_ سالي، تكلمي..

ابتلعت ريقها مسترجعة ثقها بنفسها..

_ سأدخل مباشرة في صلب الموضوع، الأمر يخصني أنا.. وسامر.

_ هل قلتِ سامر؟ وما علاقته بك؟

_ حدث هذا منذ مدة لا بأس بها، تماماً بعد حادثة انتحار بارفن،

لقد جاء إلي في أحد الأيام راغباً في الحديث، عرض علي أن أساعده

لكي ينتقم لوفاة بارفن، أنا لا أعلم كيف أثر علي بالكلام حتى وافقت

على مساعدته، كانت خطته مبنية على قتلكما أنتِ والأميرة أماريليس،

فحسب رأيه فقد كنتما السبب الذي دفع بارفن لإنهاء حياته، لقد

دفعْتُكَ للحديث معي تلك الليلة في الحانة عن قصد، هو من طلب

مني ذلك، كان يعلم أنك ستعرض علي المساعدة وأنتِ لن تدعني

أتحمل الإهانة، وقد كان محقاً في هذا..

مصدموما مما يسمعه..

_مهلا، تقصدين أن ذلك الرجل لم يكن يتحرش بكِ تلك الليلة؟
هل كنتُ أنا المستهدف؟

_أجل، كانت الخطة أن يهتم هو بالتخلص من الأميرة بينما كان علي إيجاد طريقة تدخلني إلى قصرِك لكي أكون قريبة منك، وبهذه الطريقة سيتسنى لي.. قتلك بسهولة!

_ماذا؟ صرخ، تعنين أن سامر هو من حاول قتل أماريليس في المرة الماضية؟

أومأت إيجابا بندم، بينما راح يسير جيئة وذهابا في عدم تصديق.
_الوغد اللعين، لماذا فعل هذا، ولماذا طلب منك مساعدته؟
_ما لا يعرفه الجميع هو أن سامر كان أقرب صديق إلى بارفن، كانا كالأخوين، كانا يتقاسمان كل شيء في الحياة، وحين علم بانتحاره، قرر أن الديوان هو السبب في ذلك، فلجأ إلي باعتباري حبيبة صديقه، نظرا لأنه لم يكن يثق بأحد غيري..

_أنا لا أصدق هذا، كيف أمكنكِ خداعي بهذه الطريقة؟ كيف لم أنتبه لهذا مع أنني كنت أعلم أنك كنتِ على علاقة ببارفن؟

_أنا نادمة جدا، لقد كنتُ متأكدة من أن لا ذنب لكِ والأميرة في كل هذا، بارفن جنى على نفسه بيديه واستحق هذه النهاية، لقد ذهبت إلى سامر بعد ما فعله بأماريليس وأخبرته بأنني أريد الانسحاب من هذا، قلت له أنني لا أرغب في أن أكون قاتلة مثله، وأن أدافع عن شخص قتل والدته، لكنه لم يسمح لي بذلك، وبدل أن يتركني لحال

سبيلي حاول قتلي أنا أيضا، طعني بالسكين وتركني أنزف وحيدة داخل الغابة.

_ولكن، كيف نجوتِ من هذا؟

_الشكر للآلهة أن أحد الصيادين مرّومعه ابنه ذو السبع سنوات، أنقذني، أخذني إلى كوخه وأحضر لي الأعشاب اللازمة لكي أبقى على قيد الحياة، كما اهتمت بي زوجته بشكل جيد..

تأملها لثوانٍ ثم أردف:

_إذن، بإنقاذنا من يديه تريدين الانتقام من سامر الذي تركك

تموتين ذلك اليوم أليس كذلك؟

_لم تكن نفسي مهمة أبدا، لقد فعلتُ هذا لأنني أدركتُ جيدا أن

لا ذنب لكما في كل ما يحدث، كما أنني بسببه فقدتُ..

بدأت الدموع تسيل من عينيها..

_فقدتِ ماذا؟

ابني، لم يستطع الصياد إنقاذ كلينا، لقد مات ابني بسبب سامر!

_إذن، لقد كنتِ حقا حُبلى ولم تكذبي علي!

_أجل، اكتشفت ذلك بعد وفاة بارفن بأيام معدودة، حينها قررت

أن أحتفظ بالطفل وأقسمت على رعايته وأن أكون له أما صالحة لكن

ذلك لم يحدث..

لوهلة شعر بالشفقة عليها، ما مرت به لم يكن أبدا سهلا، فحين

قررت الوقوف على قدميها ومواجهة مصيرها، جاءتها صفة لم تكن

تتوقعها.. أحيانا حتى العزيمة والإصرار على مجابهة المصير قد لا

يكفيان، إذا لم يتواجد معهما الحظ، وسالي لم تكن تلك المحظوظة أبدا..

_اهدئي، توقفي عن البكاء لو سمحتِ، فهذا لن يعيد إليك طفلكِ.
انصاعت لكلامه دون تردد، وتوقفت عن البكاء.

_أنا أسفة، كنت جاهلة للكثير من الأمور، وثقتُ بسامر، وهذا كان خطئي، ودفعتُ ثمنه غاليا، لقد فقدتُ ابني في سبيل ذلك، وهذا أكبر عقاب، لكنني تراجعته عن كل شيء في الوقت المناسب، ولم أسمح له بتسميم أفكارني أكثر مما فعل، اسمح لي بأن أتلافى أخطائي و أن أساعدكم في الإمساك به، أستطيع ذلك!
_وكيف ستساعدينا؟ سأل في تشكك

_لقد سبق وأن حدثني سامر عن الكثير من الأسرار التي علمها عنكم حين عمل معكم في الديوان، كما أنني كنتُ أتوقع بأنه سهاجم الديوان بعد أن فشل في قتل الأميرة، وذلك عن طريق قلب الرأي العام للمواطنين ضدها، وقد نجح في ذلك.
_وما العمل الآن؟

_أتوقع أنه باختفاء الأميرة سيختبئ لفترة، حتى يعيد تعديل خطته ثم يعود من جديد، وهناك مكان واحد قد يختبئ به.
_وأين ذلك المكان؟ سأل بنفاذ صبر.

_إنه منزلي.

_قلبتِ منزلِك؟

_ هذا صحيح، حتى هذه اللحظة فهو لا يدري بأنني لا أزال على قيد الحياة، وكان منزلي المكان الوحيد الذي يرتاده بعد أن باع كوخه الخاص، أتوقع أنه يختبئ فيه.

_ أنت متأكدة من هذا؟

_ تقريبا، فلا مكان آخر يلجأ إليه، كما أنه بعيد عن الناس نوعا ما، هذا ما يجعله المكان الأنسب للاختباء، فلتذهب إليه يا داميان، فلتنتقم لمحاولته قتل الأميرة ولطفلي الذي مات بسببه، أرجوك أن تتأرلنا.

غمرته في تلك اللحظة شحنة تحفيزية جعلته يرغب في خنق سامر بيديه، لقد أصبح دافعه أقوى للعودة إلى البلدة، فهي في حاجة إلى تصفية من أمثال سامر لكي يعم السلام مرة أخرى، ولن يحدث هذا إلا بموته، وهذا ما كان عازما على فعله في تلك اللحظة..

_ فلتخبريني عن مكانه بالتحديد حتى أذهب إليه مباشرة عند

وصولي!

العودة إلى سامر..

وقع سامر أرضا مغميا عليه، بينما ركض الآخر نحو يمان، الذي كان لا يزال مربوط اليدين والساقين مرميا على الأرض يكاد يفقد وعيه من شدة العنف الذي تعرض له من قبيل سامر، قام الآخر بإسناده إلى الكرسي وإعطائه القليل من الماء ثم قام بإخلاء سبيله، وحين شعر بالقليل من الراحة وبدأ يستعيد وعيه :

_ داميان ؟ ما الذي فعله هنا؟ وأين هي أماريليس؟

_ إنها قصة طويلة، سأحكها لك لاحقا، ساعدني الآن، علينا حمل سامر إلى مكان آخر وتقييده قبل أن يستعيد وعيه أو قبل أن يأتي أحد مساعديه!

نهض يمان بصعوبة وقام الاثنان بحمل سامر بعيدا عن ذلك المكان، وبصعوبة شديدة رمياه فوق ظهر الحصان، قاما بتغطية وجهه حتى يبدو مستيقظا وأسرعاه به إلى غابة راما، وصل به داميان إلى كوخه السري الذي لم يدخله منذ آخر مرة أحضر فيها أماريليس إليه، كان يمان متعجبا في المكان فهو لا يبدو أبدا كما هو من الخارج، لكن داميان لم يسمح له حتى بالتعليق عنه.

_ اسمح لي أن أبدي اندهاشي من هذا المكان، إنه راقٍ جدا.

_ شكرا لك، دعنا نركز على سامر الآن فهو على وشك الاستيقاظ.

_ معك حق.

أجلساه على كرسي ثم أحكما ربطه به بشكل جيد.

_ من الجيد أنني أحتفظ بحبال هنا، قال.

_ جيد أننا أحضرناه إلى هنا، لن يجده أحد.

_أرى أنه أبرحك ضربا.

_لن أنكر هذا، كاد يكسر أسناني، قال بسخرية.

_هل أخبرته بأنني من قام بتهريب أماريليس؟

_بالطبع لا، الوشاية ليست من طبعي !

_أعلم ذلك، أنت نبيل حقا يا يمان..

_كيف عرفت مكاني؟

_فلنقل أنني تعرفت على شخص من ماضي سامر، إنها قصة

معقدة نوعا ما، المهم أنك بخير الآن.

ابتسم الآخر بصعوبة، كان سائر جسمه يؤلمه لكنه كان يتناسى

ذلك، فداميان أنقذه من يدي سامر الذي كان على وشك سفك

دمائه، ولن يتركه بمفرده مهما حدث..

_ما الذي سنفعله الآن؟

_لست أدري يا يمان، سأزور أولا القصر الملكي لأطمئنهم عن

أماريليس، ثم سأتناقش في هذا الأمر مع الملك.

_بالمناسبة، كيف هي الآن؟

_إنها بخير، خارج البلدة، ستبقى هناك لفترة حتى تهدأ الأمور.

ابتسم على مضض ، لا يزال يرى مشاعره تجاهها كجريمة، ولا

يرغب في أن يعرف بذلك أحد طالما أنها لا تبادله نفس الشعور، فهو

لا يريد أن يرى الشفقة في عيني أحد، وخاصة أقرب الناس إليه..

أحيانا يكون الاحتفاظ بما تحتويه قلوبنا لأنفسنا أفضل من بعثرة

أوراق ما نحمله أمام الجميع، فمادُمت الوحيد الذي تحس بنفسك،

فلماذا تتكبد عناء الاعتراف بما لا يهم أحدا في كل الأحوال؟

غادر داميان الكوخ العجيب تاركا خلفه سامر الذي لا يزال فاقدا الوعي إثر الضربة التي تلقاها على رأسه وهو تحت حراسة يمان، وكانت وجهته معروفة، القصر الملكي، كان يعلم أن الجميع قلق عليها وأن عليه طمأنتهم حتى يستطيع تحديد الخطوة التالية، وهو الأمر الذي يشغل أكبر مساحة من تفكيره منذ أيام..

بعد أن وصل إلى القصر استقبله الملك مع باقي أفراد العائلة، حيث أخبرهم عن صحة أحوال الأميرة وأنها لا تشكو من شيء، حينها فقط تنفسوا الصعداء، لكنه تحفظ عن قول جميع التفاصيل، فهو يعلم أن هناك من لا يتمنى الخير لأماريليس وقد يقدم على إفشاء الأمر للمواطنين وبالتالي ينكشف أمر إخفائها، وكان ذلك الشخص هو مالين بالطبع، فقرر أنه لن يخبر عن مكانها أحدا عدا الملك، والذي فهم من نظرات داميان أنه يريد الحديث معه على انفراد، فحقق له ذلك.

_ إذن يا داميان، أستطيع الجزم من نظراتك أن هناك ما ترغب في إخباري به بعيدا عن أعين الجميع.

_ هذا صحيح جلالة الملك، الأعداء كثيرون كما تعلم.

_ حسنا، أنا أسمعك.

_ أماريليس، إنها خارج البلدة الآن!

_ انتفض الملك من مكانه..

_ ماذا؟ أين هي ابنتي؟

_ إنها في مكان آمن، في قرية صغيرة تدعى "آرتميس"، وهناك من

يهتم بها هناك في غيابي.

_ومن هذا الشخص؟ وكيف وصلت إلى هناك؟ أخبرني كل شيء.
بدأ الأمير يحيي للملك تفاصيل الحكاية كاملة، منذ دخول سامر
إلى الديوان كمساعد، ثم قيامه بالانقلاب، ثم اقتراح سالي عليه
بتهريب أماريليس، إلى غاية الإمساك بسامر وحبسه، اختار أن لا يخبره
عن اتفاق سالي المسبق مع سامر ثم تراجعها عن الأمر، فهي كانت
الوحيدة التي ساعدته، فقرر إعطاها فرصة أخرى لأنها تستحقها،
كما أنه لا يزال يرى منها شخصا طيبا، ولا يجدر به الوشاية بها بعد
كل ما قدمته لهما..

_ابنتي المسكينة، لطالما عانت بسبب المسؤولية الكبيرة التي تحملها
على عاتقها..

_لقد كانت فقط تريد تحقيق العدالة، ومن الواضح أن هذا لم
يعجب الكثيرين، لكن هذا ليس خطأها.

_سأطلب منها الاستقالة من منصبها بعد أن تعود، يكفها ما حدث
لها بسبب الديوان.

_اعذرني جلالة الملك، لكنني وحسب ما أعرفه عن الأميرة، فهي لا
تستسلم بهذه السهولة.

_معك حق، إنها عنيدة، ما الخطوة التي سنخطوها الآن؟

_أقترح أن نجعل سامر يعترف بكل ما قام به، فهو من بدأ كل هذا.

_فكرة سديدة، وكيف سنجعله يقوم بهذا؟

_سأقوم بذلك بنفسني، وإذا تطلب الأمر سأستمر في تعذيبه حتى

يعترف ببراءة الديوان و يتحمل كامل المسؤولية، عندها، سأدع
الشعب يقرر مصيره بنفسه.

_ أتمنى لك التوفيق في هذا يا داميان، فلتُعِد لي ابنتي سليمة معافاة
ولك أن تطلب مني ما تشاء، إنه وعد مني.
_ شكرا لك أيها الملك، أولويتي هي سلامة الأميرة، ولا أريد شيئا آخر
غير هذا.

تبادلا نظرة تشي بالثقة والفخر، لقد كان الملك يرى فيه من
الشهامة ما جعله يستودعه ابنته التي لم يكن يملك ما هو أعلى منها
على قلبه، لقد كانت الأهم بالنسبة إليه من باقي أولاده لأنها كانت
صادقة، حنونة، عادلة، وقوية، أخذت عبء العمل الشاق منذ صغر
سنها، ولم تشكو يوما من عناء المسؤولية، هذا ما جعلها المفضلة لدى
والديها، بل وحتى عند جميع أفراد العائلة..

راحت اماريليس وسالي يتجولان في القرية بطلب من اماريليس
التي بدت مشفقة حقا على حال السكان هناك وطريقتهم التقليدية
في العيش، ما حرك داخلها الكثير من المشاعر المختلفة، الشفقة،
الاندهاش، الحنين، والرغبة في المساعدة، لكنها وللأسف الشديد كانت
عاجزة حتى عن مساعدة نفسها في تلك اللحظة، فهل تراها تستطيع
مساعدة قرية بأكملها؟

سارت الفتاتان بمحاذاة بعضهما صامتتين لدقائق، حتى كسرت
إحداهن خيط الصمت:

_ لا يزال قلبك يؤلمك لحال هؤلاء الأطفال أليس كذلك؟ إنه من
الأسباب التي دفعيني للهروب من هذا المكان.

_ لا أحد يلومك على هذا، هذه القرية تفتقر للكثير من الأمور الضرورية.

_ هذا واضح، لكن لا أحد يلتفت لهذه الرقعة الجغرافية بالذات إنها بعيدة كما تعرفين.

_ أجل، لكن على الرغم من هذا، ومن كل تقاليدنا الغريبة، فهي تحتوي على شيء تفتقر له البلدان الغنية.

_ وما هو هذا الشيء؟

_ إنه الحب اللامشروط، براءة الأطفال، الإيثار، الكثير من الناس هنا يساعدون بعضهم البعض، على الرغم من أن حالهم ليس أفضل من غيرهم، تربيهم يركضون لإغاثة المريض وإطعام الجائع وإسعاد المسكين، هذا شيء نادر هذه الأيام.

_ ربما كانت تلك من بين الأشياء التي دفعتني إلى ألا أكره هذا المكان على الرغم من كل ما مررت به في أراضيه وتحت سمائه، إنها طيبة القلوب.

_ أستطيع أن أعرف السروراء طيبة قلبك هذه يا سالي، إنه ميراث وطنك لك.

ابتسمت في يأس..

_ لا تخدعني المظاهرياً أميرة، فما داخل القلوب أعمق وأظلم.
_ كلا، أترين المنصب والمكانة التي حصلتُ عليهما خلال هذه السنوات؟ لم يكن ذلك سهلاً، خسرت الكثير من الجولات، لكنني بالمقابل ربحت الكثير من المميزات، من بينها أنني أستطيع التمييز بين الشخص السيء والشخص الجيد فقط من عينيه، وأنتِ بالتأكيد

لست من النوع الأول، صحيح أنني لم أصدقك في البداية، لكنك لقد ساعدتني دون مقابل، وعدت لأجلي إلى مكان طفولتك رغم أنك غادرته وأنت تحملين الكثير من الآلام والذكريات الحزينة بشأنه، أنت امرأة أصيلة يا سالي، لا عجب أنك ابنة قرية آرتميس.

شعرت بالفرحة لأنها أطرت عليها بهذا الشكل، لأول مرة أحست بأنها فخورة بانتمائها إلى هذا المكان، فلم يسبق لأحد أن أثنى عليها بخصوص هذا، إن شخصا ما يبدي إعجابه بصفاتنا وأخلاقنا وهو ما كانت تشتاق لسماعه منذ وفاة والديها..

_ أنت لا تعلمين كم يعني لي كلامك هذا أيتها الأميرة..

_ توقفي عن مناداتي بالأميرة لو سمحت فهذا يشعرني بالرسومية،

لقد أصبحنا صديقتين الآن.

_ صديقتين؟ سألت في غير تصديق.

_ نعم، ألا يروقك هذا؟

_ بالطبع يروقي هذا، الأمر فقط، لم يسبق أن كانت لي صديقة

حقيقية، كل من عرفتهن كن زميلات لي أين كنت أعمل.

_ وأين كنت تعملين؟

شعرت بالخجل، إن علمت فهي حتما ستسحب منها صداقتهما

التي لم تبدأ بعد، هذا ما كانت تفكر به..

_ لقد كنت راقصة، في إحدى حانات الدرجة الثالثة. قالت منزلة

رأسها.

أحست أماريليس بالندم لأنها سألتها سؤالا كهذا، خاصة وأنها رأت

بعد ذلك حرج سالي منه.

_سالي، ليس عليكِ الخجل مما كنتِ تقومين به، لقد كنتِ في حاجة إلى المال، هذا أمر واضح، وإلا لما كنتِ لتقومي بهذا، قالت وهي تمسك بيدها.

_هذا صحيح، لقد كنتِ في حاجة للمال حتى أعيش في قَدَرِ الشمس وأن لا أضطر للعودة إلى هنا، كان ذلك العمل أفضل بالنسبة لي.
_حسنا، تلك الأيام انتهت الآن وأصبحت من الماضي، ولن عملي هناك مجددا، أستطيع إيجاد عمل آخر لكِ بمجرد عودتنا للبلدة، ما رأيك؟

_أخشى أن هذا كثير عليكِ.

_على العكس، تلك هي طريقي لأشكركِ على كل ما قمتِ به لأجلي.
_لا داعي للشكر، ثم.. ألم تقولي أننا صديقتان، الأصدقاء لا يشكر بعضهم بعضا.

ابتسمت كلتاهما، أحستا وكأنهما تعرفان بعضهما منذ زمن طويل..
أحيانا، قد نمضي سنوات عمرنا رفقة أشخاص، هو موقف واحد، قد يخرج أسوأ ما فيهم، لننتيقن أننا لم نكن نعرفهم أبدا، مخدوعون كُنَّا بالشخصية التي كانوا يتقمصونها، وهي فقط ساعات نمضيها رفقة أناسٍ، ليكون ذلك بمثابة سنوات..

"السنوات ليست معيارا لنعرف حقيقة شخص، المواقف هي من تفعل ذلك.."

دلو من الماء سُكِبَ على وجهه، ففتح عينيه وهو مفزوع بوجه مبتل ونبضات قلب متسارعة، لم يفهم بعدها ما الذي حصل بالضبط...

_ أخيرا استيقظت، اعتذر على هذه الطريقة المتوحشة التي أيقظتك بها لكنك لم تكن تنوي النهوض على الأغلب. انتبه إلى أنه كان مقيدا على كرسي مربوطا من كل الجوانب، فصرخ مزجرا :

_ ما الذي أفعله في هذا الكرسي اللعين؟ وكيف فعلتَ هذا؟
_ أنت مندهش لأنك أصبحت المُقَيَّد وليس أنا أليس كذلك؟
_ كيف أفلت مني أيها النذل؟ من ساعدك في ذلك؟
_ هل علي أن أجيب على كل الأسئلة دفعة واحدة؟ أنت متسرِّع يا أبله زمانك.

_ أفلنتي يا يمان، وإلا سوف تندم على هذا لاحقا!
_ أوه، وفّر تهديداتك المملة، فأنا حقا متعب، ألم تبرحني ضربا بينما كنتُ مكبَّلا؟
اعتدل سامر في جلسته بصعوبة..

_ حسنا، بما أنني لازلت على قيد الحياة وبما أنك ربطتني هنا فأنت تحتاجني في أمر ما، ما الذي تريده مني؟
ضحك يمان..

_ أنا؟ وما الذي قد أريده من شخص لا يستطيع إنقاذ نفسه حتى ! أنت عاجز تماما يا صديقي، أنصحك أن تكون طيبا معي، وإلا قد أفعل بك ما فعلته معي بالضبط، أو ربما ما هو أسوأ.

_أنت؟ ضحك مستهزئا، كفاك سخرية من نفسك، أنت لا تستطيع قتل نملة حتى !
_هذا صحيح، أنا لا أستطيع قتل نملة، وذلك لأنها كائن بريء، ولكنك لست نملة !

انهال يمان على سامر بالضرب كما لم يفعل من قبل، الحقيقة أنه لم يفعل ذلك حقا من قبل، فهو شخص مسالم وهادئ إلى حد كبير، لا يستطيع أحد استفزازه بسهولة، لكنه كان متعبا من كل ما يحصل وغاضبا منه وبشدة، ما دفعه دون إدراك إلى العنف، كان يصارع آلام جسده المرهق وهو يصب كامل غيظه وسخطه على جسد سامر الذي أصبح مشابها له بعد تلك اللكمات والضربات العشوائية القوية التي تلقاها، كان يضربه تارة ويسقط من شدة إرهاقه تارة أخرى، لينهض بعدها ويواصل ما بدأه، بعد أن شعر يمان بالوهن والفتور تراجع إلى الخلف، وهو يتأمل وجه خصمه الذي كادت تنعدم منه الملامح بسبب الكدمات و الإصابات، فهدا قلبه قليلا، بينما شهق الآخر في ألم..

_أخبرتكَ أنني قد أفعل بك نفس الشيء فلا تستفزني ! صرخ.
_لماذا لا تقتلني؟ لماذا تحتفظ بي هنا رغم أنني كنت على وشك قتلك؟ سأله بصعوبة بالغة.
_لست أنا من عليه أن يفعل ذلك.
_من إذن؟

دفع أحدهم في تلك الأثناء الباب منتصبا بقامته الفارهة يتأمل ما كان يحدث في الداخل، ثم دلف مغلقا الباب خلفه..

_نتيجة رائعة يا يمان، وجهه أصبح يشبه لوحة " البحار" ، قال داميان .

_إذن أنت هو الشخص الذي قام بضربي على الرأس ثم أحضرتني إلى هنا وقام بإطلاق سراح هذه البائس .

_إن كان هناك شخص بائس هنا فهو أنتَ يا سامر وليس أحد آخر، أضاف داميان.

_كيف عرفتَ مكاني؟ لا أحد يعلم أنني كنتُ هناك.

_أحدهم دلني على المكان الذي قد تختبئ به، وبفضله أنتَ معنا الآن.

_ومن هو هذا الشخص؟ أخبرني .

_وهل يهملك هذا كثيرا؟

_بالطبع يهمني.

_إنه شخص من ماضيك.

_لم أكن على اتصالٍ بأحد أبدا، لا تتحاذق علي وأخبرني كيف

وصلت إلي ؟

_حسنا، إن كان هذا سيربحك، إنها سالي.

تعاليت ضحكاته عند سماع اسمها، فمن غير المنطقي أن يحدث هذا.

_لم أكن أدري أن الأموات كذلك من شأنهم المساعدة في أمر كهذا؟

لم يعلق داميان فواصل سامر الكلام :

_غير صحيح ، سالي قد ماتت منذ مدة، لقد قتلها بيدي، أنت

كاذب !

_تقصد أنك حاولت قتلها، أعلم هذا، غير أنها لم تمت، لقد
أسعفها أحد الصيادين، ولحسن الحظ فهي حية!
لا يزال مندهشاً غير مصدق لما يسمعه..
_بالمناسبة هناك ما طلبت مني القيام به..
ركض نحوه ولكمه حتى كُسِرَتْ إحدى ساقَي الكرسي، ثم رفعه
ولكمه مراتٍ أخرى و مراتٍ، حتى اختفت معالم وجهه بشكل رسمي..
_هذا لأجل طفل سالي الذي فقدته بسببك.
_لا يمكن لهذا أن يحصل، الساقطة، لقد باعته، قال وكل كلمة
تخرج من شفثيه تشعره وكأن روحه تنسلخ من جسده من الألم.. ألم
تخبرك أننا كنا على اتفاق لقتلك أنت والمدعوة أماريليس؟ لقد خططنا
لكل شيء معا.
_أعلم بكل شيء، وأعلم أيضاً أنك قد أثرت عليها بشكل جعلها
توافقك على ما تقوم به، وأنها تراجعت، والنتيجة أنك حاولت قتلها
لأنها قررت عدم مساعدتك، كما أنها قامت بتلافي أخطائها، وها أنت
في حوزتي الآن بفضلها .
_لن أدعها تنجو بفعلتها أبداً، وحين أجدها سأكمل ما لم أستطع
القيام به في المرة السابقة، سأقتلها بيدي هاتين.
_أخشى أنك لن تستطيع القيام بذلك، لأنك ستموت عما قريب،
وحتى ذلك الحين ستنفذ كل ما أطلبه منه بالحرف الواحد.
ابتسم مستهزئاً..
_وما الذي تريده مني أيها الوغد؟

_ستعترف أمام جميع سكان قدر الشمس بكل ما قمت به،
وستعذر عن كل ما حدث، والأهم أنك ستخبر الجميع عن أن الأميرة
أماريليس بريئة مما اتهمتها به وأصدقائك، ستنهي هذا الأمر كما
بدأته..

_داميان، أعتقد أنك ذكي لدرجة أنك تعلم جيدا أنني لن أقوم
بهذا.

_توقعت هذا، لهذا أحضرت لك مفاجأة معي.
اضطرب مما سمعه..

_عن أي مفاجأة تتحدث؟

شعر داميان بالحماس، ركض إلى خارج الكوخ وعاد بسرعة حاملا
بيده شيئا ما..

_ماهذا يا داميان؟

_ألا ترى يا يمان؟ إنه صندوق مليء بالنحل، وهذه علبة من
العسل.

_وما الذي قد تفعله بالعسل والنحل؟

ابتسم، ثم اقترب من سامر رويدا رويدا..

_هذا ما يريده صديقنا منا، فهو يرفض التعاون.

_أعتقد أنك ستخيفني بحفنة من النحل؟ أنت طريف جدا.

_راقبني أولا .

فتح علبة العسل ثم أخذ يسكها على سائر جسد رهيئته، بينما
يصرخ الآخر نائرا كالبركان، وحين انتهى من العسل وضع العلبة جانبا،
ثم فتح صندوق النحل العملاق ووجهه نحو جسد خصمه، وراح

النحل يلسعه من كل الجوانب راغبا في العسل، صار يصيح بكل ما أوتي من قوة من شدة ألمه، بينما داميان ويمان يتأملانه بملامح ضاحكة.

_أفلتاني أيها الوغدين، أفلتاني حالا..

_هذا ليس كل شيء، إنها مجرد مزحة ثقيلة، أرغب فقط في مشاكستك، المرح لم يبدأ بعد.

_إن كنت تعتقد أن هذا سيدفعني للاعتراف فأنت مخطئ، اللعنة عليك. أضاف والألم لا يزال يتآكله، اللعنة عليكم جميعا..

ظل على تلك الحال لمدة، ففقد قسما كبيرا من قوته، وبدا عليه الوهن والإرهاق، فقرر داميان إنهاء ذلك وقام باستدراج النحل، ثم أخرجه بعيدا عنه..

_أهذا ما تقوى عليه، أن تهددني بسرب من الحشرات الضعيفة؟

_أخبرتك أنها فقط البداية، اللعبة لا تزال في أولها.

_حقا؟ وما التالي؟

ابتسم..

_"السترابادو" في انتظارنا.

_ما الذي تقصده يا داميان؟

_سوف ترى يا يمان.

قام بإهضاه على قدميه بعد أن خلصه من الكرسي المكسور ومزق قيود يديه، بينما لا تزال ساقاه مربوطتين إلى بعضهما، قام بتقييد يديه مرة أخرى خلف ظهره، ثم قام برفعه إلى الأعلى ثم تعليقه من

معصميه بقوته الكاملة، مما سبب له ألماً فظياعاً، حتى أن كتفه كادت تنخلع..

_إن السترابادو يا سادة هو شكل من أشكال التعذيب، ويعرف أيضاً باسم "كوردا" يتم فيه تقييد يدي الضحية خلف ظهره ويتم تعليق الضحية بحبل متصل بالرسغين وتكرار هذه العملية مرات ومرات ، مما يؤدي عادةً إلى خلع الكتفين، قال بثقة.

أصبح سامريصرخ بشكل هستيري، وكان يرجوهم أن يفكوا أسرهم أو حتى أن يقتلوه، عله يتخلص من مقدار ألمه، لكن ذلك وببساطة لم يحرك في داميان ساكنا.

_داميان ، ألا تعتقد أن هذا مبالغ فيه؟ أنت لست شخصاً هكذا.
_هذا ليس كل شيء يا يمان، سيستمر الوضع هكذا إلى أن يعترف بما قام به.

أثر الصمت، فهو كما يبدو لن يستطيع إقناعه بعكس ما يحدث، إنه شخص سيئ وهو يستحق ما يحدث معه، هذا ما كان يمان يحاول إقناع نفسه به وهو يشاهد صرخاته التي تنخلع لها القلوب.

مرت مدة لا بأس لها حتى قرر إنزاله مرة أخرى فوق على الأرض فاقدا وعيه مباشرة، لقد كان لتعذيبه أثر قوي على بدنه، فبعد الضرب المبرح، ثم مئات اللسعات التي تعرض لها من قبل النحل، وتعليقه من معصميه سقط مغمياً عليه، وهذا أمر طبيعي..

_أعتقد أن هذا يكفيك يا داميان، نحن نقوم بتعذيب شخص حرفياً !

_إنه ليس أيّ شخص، إنه معتد، كاذب ونمّامٌ، والأهم أنه قاتل، حاول قتل أماريليس وسالي بطريقة بشعة، كما أن طفلاً بريئاً قد فارق الحياة بسببه، وهو ليس نادماً على هذا ولا ينوي تصحيح ما قام به، ثم أننا لم نقم بشيء شنيع، فقط قليل من النحل، وبعض من الألم الجسدي، وكما أخبرتك، هذا ليس كل شيء.

_هناك المزيد ؟

_فلننتظر حتى يستيقظ لتبدأ الجولة النهائية !

مرت أكثر من ساعتين وسامر لا يزال فاقدًا الوعي، لم يغادر أي منهما مكانه منتظرين استيقاظه حتى يكتملاً ما تبقى من خطة جعله يعترف بجرمه، فقد أكد على حصوله على القليل من الراحة قبل هذا، وعلى الرغم من رغبته الشديدة في تعذيبه وقتله، إلا أن ضميره كان له بالمرصاد، فهو بغض النظر عن كل شيء ليس شخصاً سيئاً، وهو يحرص أثناء تلقين سامر درسا ألا يصبح دون رحمة مثله، وهذا ما كان يحاول القيام به بصعوبة.

سكب عليه يمان الماء مجدداً، ففتح عينيه ببطء شديد، لا يزال لا يقوى على الحركة..

_هيا انهض، يكفيك راحة، لدينا الكثير لنقوم به معا يا صديقي.

_اتركاني.. الرحمة أرجوكم، قال بإرهاقٍ شديد.

_سنتركك، ولكن بعد أن تعترف بجرمك الكامل.

_كاذب.. أنت أمير كاذب، ستقتلني مباشرة بعد ذلك.

_حسناً، لن أضمن لك العكس، لكنني قد أسجنك بدل قتلك،

فقط إن تعاونت معي.

_لست أصدقك .

_تلك مشكلتك ، كل ما أريده هو إنقاذ أماريليس، أما أنت فمجرد
ضرب جانبي لا يهمني بمقدار ذرة، أستطيع أن أبقى في هذا المكان
تحت التعذيب للأبد، لا أحد يستطيع إنقاذك من هذا، فقط ذكاؤك
هو من يستطيع ذلك.

نظر إليه الآخر في توجس مما يقول..

_ماء.. أريد ماءً.

نهض داميان وكأنه كان ينتظر هذا الطلب، أحضر له القليل من
الماء، وقربه منه، فارتوى الآخر وكأنه لم يشرب منذ سنوات، ثم عاد
للتفاوض مجدداً.

_ الآن، هل ستعاون أم لا؟

_ أخبرني أولاً، لماذا تسعى في هذا الموضوع كثيراً؟

_ أريد خدمة بلدتي على أكمل وجه، إن كان هذا ما تريد سماعه.

_ أنا وأنت نعلم الحقيقة، البلدة لا تهتمك البتة، كل ما يهمك هو

سلامة أماريليس، ألهمه الدرجة تعني لك؟

_ ما تعنيه لي أماريليس ليس من شأنك.

_ هذا صحيح، لكنها تعني الكثير ليمان أيضاً.

وقع كلامه كالصاعقة على كل من داميان وكذا يمان، فتبادل

الاثنان نظرات تشي بالكثير، بينما استغل الآخر الصمت مواصلاً

كلامه :

_ أنت أعشى لدرجة أنك لم تلاحظ أنه واقع في حياها بقدر ما أنت واقع فيه بالضبط، وربما أكثر، فإخفاء أمر كهذا والمعاناة في صمت يتطلب قوة داخلية كبيرة، أليس كذلك يا يمان؟
غضب يمان مرة أخرى، فانقض عليه مجددا رغبة في ضربه ، لكن داميان منع ذلك.

_ أيها المسخ، أعدك أن أقتلك بيدي بعد أن يعفو عنك الديوان، قال.. بينما بادله الآخر ضحكات ساخرة.

_ أنا بت حقا أشفق عليكما، أنتما واقعان في حياها حد الجنون، ألم تنظرا إلى حالتكما وكم أصبحتما بائسين في سبيل إنقاذها؟ لست أدري ما الذي أقدمتُ على فعله حتى تجعل منكما أحمقين إلى هذه الدرجة، ثم ضحك مجددا وواصل، أحمقان يجبان امرأة واحدة ويتحدان لأجل إنقاذها..

زمجريمان من جديد، لكن داميان قام بتهديته مجددا..

_ فلتهدأ يا يمان، إنه يحاول تشتيتنا وجعلنا نخسر دعم بعضنا بعضا، هل يعقل أن تنطلي عليك خدعته؟

هدأ حينها قليلا، فصديقه محق، فهو المعروف بهدوئه وحكمته أصبح غضبه يُستَنَارُ بسهولة كبيرة، وكان سامر يستغل ذلك.

_ سوف أسألك للمرة الأخيرة، هل ستعترف أم لا؟

نظر إليه الآخر في تحدٍ..

_ سأفعل ذلك، لكن في الوقت الذي أقرره أنا وليس أنتم،

فلتتعذب حبيبتك قليلا كما فعل بارفن في سجونكم.

ابتسم داميان بخبيث..

_ لا أعتقد أن لك من الوقت ما يسمح لك بهذا يا صاحبي.
_ولماذا؟

_ هذا بسبب غبائك، أكنت تعتقد حقاً أنني قد أرجو منك الاعتراف
بذنبك؟ أنت حقاً أبله.

_ ما الذي تتحدث عنه؟

_ أقصد قذح الماء الذي شربته منذ دقائق، لم يكن ماء فحسب،
لقد كان سُمًّا كذلك.

فغر الأخر فاه في صدمة مما سمعه للتو، بينما ارتسمت على وجه
يمان ابتسامة المفاجأة والانتصار في نفس الوقت.

_ لا، أنت لم تفعل هذا أليس كذلك؟

_ أخشى أنني قد فعلت ذلك، وبعد ساعات قليلة من الآن سيبدأ
مفعوله بالعمل لينتشر داخل جسدك، ثم سينفجر بعدها إلى أشلاء،
ولن يبقى بعدك إلا اسمك.

قفز من مكانه لكن قيوده أوقفته مجدداً، فصرخ :

_ أيها اللعين، ما الذي فعلته بي؟ سأقتلك قبل أن أموت أقسم لك
بذلك .

_ ووفر تهديداتك ، فوقتك يمضي، وإذا قررت مساعدتي، فسأمنع
انتشار السم داخل بدنك، ما رأيك؟

_ لست أبلها لأصدق أنك قد تفعل شيئاً كهذا لأجلي.

_ فلتصدق ما شئت، لك أن تعلم أن خياراتك منعدمة، لكن القرار
لك.

شعر أنه على حق، فلا خيار أمامه سوى أن يكون دمية بين يدي أعدائه حتى ينجو بحياته، وإن كان احتمال ذلك ضئيلاً..

_وكيف ستمنع حدوث هذا؟

اخرج من جيب ثيابه قارورة بحجم الإصبع ووجهها إليه..

_ما هذا؟

_ الترياق، إنه مضاد للسم وبإمكانه إيقاف مفعوله في غضون

ثوان، سأعطيك إياه بعد أن تعترف.

_وما الذي يضمن لي أنك لا تكذب علي؟

_ لا شيء، لكنك خارج دائرة الاختيارات حالياً، إما أن تنقذ حياتك

أو أن تتعفن بين جدران هذا الكوخ حتى يختفي جسدك من الوجود،

فلتختر!

اليوم الذي بات ينتظره الجميع قد حل أخيراً، تجمع كل أهل نولان في ساحة الديوان الكبرى منتظرين المفاجأة التي وعدهم بها الديوان، هم لم يكونوا على علم أن مفاجأتهم هي سامر، كما أن الكثير منهم لا يزال تحت تأثير كلامه، أغلبية الشعب لا يعلم الحقيقة بعد، لقد كان لوقع حججه ودلائله المزورة أثر قوي في نفوسهم، فإن كنت ترغب في إسعاد شخص بأئس، فأعطه الفرصة لرمي أخطائه على أحد آخر، ولا تهتم براءة هذا الأخير، يكفي فقط أن يخفف البائس من ثقل كاهله، ولو كان ذلك على حساب غيره، هذا هو الواقع الذي بتنا نعيشه في أيامنا هذه، ترى كل واحد فينا يسارع لإنقاذ نفسه قبل الجميع، ورمي رداءة قلبه على الآخر، وإخفاء عيوبه تحت مئة بدلة من التظاهر، وقد يصل به المطاف حتى إلى الغدر بأقرب الناس إليه، لكن المشكلة ليست هنا، المشكلة أن الكثير منا يقوم بهذا دون أن يتملّكهُ تأنيب الضمير، وهذا هو الأمر المرعب، فمادام ضميرك يؤنبك حين تعصي الله أو حين تخطئ، فتلك نعمة ودليل على أن الله لا يزال يضع أمله بك، وأنتك إنسان صالح يحتاج فقط يدا تنتشله من ظلمة النفس..

كانت العائلة الملكية حاضرة هذه المرة، وقلة من العائلات النبيلة كذلك، من بينها عائلة كوروليو، الخاصة بالأمير داميان، والتي كانت الأقرب إلى الملك، حيث ساندته ووقفت بجانبه طوال الأسبوع الذي مضى ومنذ بداية هذا الانقلاب، عم السكوت بعد أن حان وقت بداية المفاجأة، حينها فقط أطل من الباب السفلي الداخلي للديوان يمان،

مفسحاً بعدها المجال لداميان للخروج وهو يجتُر خلفه سامر المكبل من يديه وساقيه بقضبان حديدية ، أوقفه حينها وسط الخشبة المخصصة للخطابات ونظر إليه نظرة تأمره ببداية الحديث في الحال، فاستجاب بسرعة عله يتخلص بعدها من مفعول السموم التي قد تبدأ في الانتشار داخله في أية لحظة..

_سكان قدر الشمس.. أعتقد أن جميعكم يعرفني، لم تمضِ مدة طويلة منذ أن بدأت أنشر أفكارى بينكم، كما أنني حاولت تغيير نظرتكم إلى الديوان وإلى من يعمل في الديوان، أطلعتكم على الكثير من الدلائل التي تشير وبشكل واضح إلى أن الأميرة أماريليس وباقي أعضاء الديوان يهبون أموال البلدة، ويجوعون الناس عمداً، والأهم من هذا، أنني اهتمتها وبمساعدتكم بأنها السبب في انتحار بارفن الرجل الذي قتل والدته، حسناً، أعترف أن هذا الأمر كان يروق لي وأنا لم أكن أنوي التوقف عن هذه اللعبة، لكن الأمور لم تسر كما خططت لها، سأختصر لكم كل شيء، الأمر ليس كما أخبرتكم به وبصورة أوضح، كان كل ما أخبرتكم به كذبا، وكل تلك الدلائل كانت مزورة، أعضاء الديوان ليسوا سارقين، على العكس، الكثير من المساعدات تخرج من هناك، هذا أولاً، أما ثانياً وأخيراً، الأميرة ليست مذنبه فيما يخص انتحار بارفن، وليس لها أي علاقة بذلك، لقد كان بارفن صديقا عزيزا علي، وبسجنه ثم موته قررت أن المذنب خلف هذا هي أماريليس، ولا أزال أوّمن بهذا، فلن أنسى صديقي مهما حييت، لكن هذا رأيي الشخصي، أما في الحقيقة، فلا يوجد دليل واحد يشير إلى

إهمال الديوان بهذا الخصوص، فهو قد انتحر قبل يوم محاكمته بيوم واحد، ولا أحد يُحاكَمُ على انتحار شخص بكامل قواه العقلية، لقد قمت بهذه الحركة بدافع محبتي لصديقي الذي مات، وليس بدافع تعاطفي مع والدته كما ظننتم، أنا أعترف وأمام الجميع أن كل ما حدث كان من تخطيطي ولا شيء مما نشرته بين الناس كان صحيحا، ولكنني لست نادما، هذا أقل واجب كنت أستطيع القيام به تجاه ذكرى صديقي المتوفي، فلتترقد روحه بسلام، هذا كل ما عندي، وأنا آسف.

لحظات من الصمت تساوي دهرا..

بدأت الهمهمات والهمسات تنتشر بين الناس، ثم تعالت الأصوات من كل حذب وصوب، البعض لا يصدقونه، والبعض يلعنونه ويطردهونه من الديار، وجهات النظر على اختلافها برزت، ولم يستطع إيقاف ذلك إلا صوته:

_ الهدوء من فضلكم، أتمنى أن ما حدث لسامر بسبب تفكيره الأناني وتضليله للناس وظلمه للأبرياء سيكون درسا لأي شخص قد يقدم على شيء كهذا في المستقبل، لقد كان لتسامحنا ولطيبة أعضاء الديوان المفرطة آثار وخيمة على نظام الحكم في هذه المملكة، لقد شهد الجميع أن منذ تولي الأميرة أماريليس لزام الأمور في العمل ازدهار وتقدم الحياة، وخاصة البسطاء منكم، في حين أننا نعمل ليل نهار لتوفير حياة أفضل للفقير قبل الغني نرجو منكم الثبات على الطريق الصحيح، وأن لا تستمعوا إلى ما يقوله لكم حثالة الشعب، الذين سبب لهم فشلهم عقدة لن يستطيعوا الخلاص منها مهما حاولوا، أتدرون لماذا؟ لأن قلوبهم سوداء، لأن باطنهم يحمل الكره والحقد وروح الانتقام بدل الحب والرحمة والغفران، هذا ما تفتقر إليه بلدتنا، وهذا ما ستكونونه منذ اليوم ..

نطق أحدهم قائلاً :

_ متى ستعود الأميرة أماريليس؟ وما مصير هذا الخائن؟

_ بالنسبة للأميرة فهي ستعود معززة مكرمة إلى وطنها، وستواصل مزاوله عملها على أكمل وجه، وستحظى بالمكانة والاحترام اللذين طالما حصلت عليهما، أما بالنسبة لسامر، فهذا عائد لكم، لقد استغللكم،

وكنتم ضحية لأفكاره السامة وشره لمدة طويلة، ومصيره بين يديكم الآن.

ابتسم سامر في سخرية، كان يتوقع حركة كهذه من الأمير، ولم يكن يصدق كلامه أبداً، وهاهو محق في ذلك.

_وماذا بخصوص أصدقائنا المسجونين؟ لقد هاجموا الديوان بناء على طلبه وهم لا يزالون يعتقدون أنه يقول الحقيقة.

_إنهم أحرار منذ هذه اللحظة، لقد شفعت لهم عدم معرفتهم للحقيقة، لكنهم تحت المراقبة، وسيتم القبض عليهم عند أول خطأ يقومون به تجاه الديوان.

تعالى الهمس بينهم مرة أخرى، وكأنهم يتفكرون هذه المرة ويتأكدون من صدق ما أخبرهم به الأمير، فلا مصلحة له في أن يكذب، كما أنه قام بواجبه كما يجب منذ أول يوم شغل فيه منصبه، وهو يستحق أن يكون محل ثقة بكل تأكيد..

_على هذا الكاذب أن يموت، لا مكان لمن مثله بيننا! صرخ أحدهم.
_المملكة برينة من أمثال هذا الخائن. أضاف آخر.

تعالى الأصوات مطالبة بتحقيق العدالة، وانتهى الخطاب بسرعة، الأمر الذي لم يتوقعه الأمير أبداً، فقد ظن أن الأمور ستسوء وأن الناس قد لا يصدقونه، لكنه نجا منها وبأعجوبة، سحب سامر المقيد مرة أخرى وأعادته إلى زنزانه حيث كان محتجزاً، غادر الجميع، ومن بينهم الأسرة الحاكمة، عائلة داميان، أعضاء الديوان، يمان، ديميتير، والذي اعتذر ألف مرة لأنه كان السبب في إدخال سامر بينهم، وبتعيينه كمساعد له فتح له كل الأبواب للاطلاع على الكثير من الأمور

التي لم يكن يحلم حتى بمعرفتها حول طبيعة العمل هناك، ثم قدم استقالته بعدها مباشرة مغادرا البلدة بسبب خجله، وبعد مغادرة الجميع لم يبق سوى الأمير والسجين:

_تحاول مواساتي ببقائك معي؟ حركة فاشلة.

_ترغب في البقاء لوحده؟

_كلا، ولكن لا يوجد شيء في هذا العالم قادر على مواساة شخص يقف على حافة الحياة.

_تعلم أنك ستموت أليس كذلك؟

ابتسم سامر في سخرية..

_أنت لم تضع لي سما أبدا في الماء، هل أنا مخطئ؟

_بلى، أنت محق، لم أكن لأقتل شخصا بيدي بتلك الطريقة البشعة مهما كان سيئا.

_أردت ترك مصيري للشعب، مع أنني حاولت قتل حبيبتك بيدي هاتين، كيف استطعت هذا؟

_أنا أفعل هذا من أجلها، أخبرتك أنني لا أريد أن أصبح مثلك بينما

أنا أسعى للقضاء عليك، لن أستطيع النظر إليها إن أصبحت شخصا هكذا.

_العاشق فقط من يفعل أمرا مثله، تمسك بها فأنت تحبها..

نظر إليه داميان في يأس..

_هل سأخذ نصائح منك حقا؟

_اعتبرها طريقة قد أصلح بها ما هدمته.

_تشعر بالندم؟

_كلا، لكنني نادم لأنني لم أعالج مشكلتي معكم بطريقة أصح، ربما كنت سأعيش إن قمت بذلك.

_ألن تكون لك أمنية أخيرة؟ سأل
فكر سامر لثوان، ثم أجاب :

_هناك امرأة تدعى فداء زوجها متوفٍ منذ سنوات، ولديها طفلان أحدهم يدعى شهاب وهو ثمان سنوات، والآخر يدعى حيّان وهو خمس سنوات، كنت أعيّلمهم طوال الفترة الماضية، فهم لا يملكون شيئاً عدا الكوخ الذين يقيمون به، أتعدني أنك ستهتم بهم من بعدي؟
استغرب داميان من أمنيته، هل يعقل لشخص منعدم الإحساس مثله أن يكون سببا في إشباع بطون الأيتام في سرّه؟

أوماً له داميان موافقا..

_أجل، أعدك بهذا..

_سالي تعرف مكانهم..

تبادلا النظرات الأخيرة حينها، ليغادر بعدها داميان الزنزانة، مرتاحا لأنه استطاع وفي مدة قصيرة إعادة الأمور إلى مجاريها، ولأنه أخيرا يستطيع العودة إلى قرية آرتميس ليحضر أماريليس إلى بلدتها وعائلتها بعد عدة أيام طويلة من الغياب..

بعد مرور يومين..

جلست أماريليس على حافة بحيرة صغيرة مغرقة ساقها داخل مياهها تفكر في ما حدث وفيما قد يحدث، متخوفة حيال تأخر داميان بالعودة إليها، تشعر وكأن الكثير من الأشياء السيئة قد حلت ببلدتها في غيابها، فقد طال اختباؤها في هذه القرية وهي ترغب في العودة و بشدة، لكننا لا نحصل على ما نريده دائما، قد تبقى أمانينا داخلنا محتجزة حتى يأذن لها الله بالحرية، حينها فقط سنستمتع بنسمات ما تمنيناها..

_ أماريليس، أنتِ هنا؟ لم أجدكِ في الكوخ فشعرت بالقلق.

_ أنا هنا يا سالي، لا مكان آخر قد يريحني من ضيق صدري..

_ لا تزالين تفكرين بداميان أليس كذلك؟ لن ألومك على هذا،

فالانتظار مرهق.

_ كلمة مرهق قد لا تكفي أحيانا، هناك ما هو أعمق منها، قد

يستنزف الانتظار منا كلّ تفكيرنا دون أن نشعر.

_ تظنين أن شيئا ما أصابه هناك؟

_ لست أدري، لكن تأخره يقلقني، أخشى أنه لم يستطع إيجاد حل

لإعادتي إلى هناك من جديد.

_ أتمنى أن لا يحدث هذا.

_ سالي، ماذا لو قرر البقاء هناك وعدم العودة إلي من جديد؟

ضحكت سالي..

_هل جننت يا أماريليس؟ تعتقدين أن داميان قد يتركك وحيدة هنا؟

_لا أعلم، المنات من الاحتمالات السيئة تدور داخلي.
_سيكون هنا عن قريب لا تقلقي، وستغادرين معه في أقرب وقت ممكن.

_حسنا، ماذا عنك، ستعودين معنا أليس كذلك؟
_لا أزال أفكر بالأمر، لا أعتقد أن هناك ما يربطني بقدر الشمس بعد الآن، الحياة هناك أرهقتني حقا..

_بإمكانك التفكير حتى عودة داميان، تعلمين أن وجودك معنا يسعدني حقا.

_أعلم، وأنا ممتنة لذلك حقا، هل نعود للكوخ؟ أشعر باقتراب المطر..

بدأ رذاذ المطر يلامس الأرض بعد مدة قصيرة، وكانت الفتاتان في تلك اللحظة على وشك الوصول الى الكوخ :

_من الجيد أن المنزل قريب، لقد وصلنا في الوقت المناسب.
_أخبرتِك أنني أشعر باقترابه.

_هل تشعرين به حقا؟

_أجل، وكذا سقوط الثلج، وموجات الحرارة العالية..

_كيف هذا؟

_أعرف جو هذا المكان جيدا، لم تغير فيه السنون من شيء.
_ياله من سؤال غبي أطرحه، بالطبع ستعرفين قريتكِ.
_لا عليكِ، هيا فلندخل قبل أن تشتد الأمطار.

دفعت إحداهما الباب بخفة، ودلفتا إلى الداخل بسرعة،
وصادفتهما حينها المفاجأة..

_ حتى المطر لا يسمح لك بالبقاء في مكان واحد؟ أنتِ أعجوبة.
لا تزال متمسرة في مكانها، لا تصدق أنه يقف أمامها بشحمه
ولحمه..

_ داميان !

_ أجل هذا أنا.

_ منذ متى وأنت هنا؟

_ منذ أكثر من نصف ساعة تقريبا، أعرف أنني تأخرت ولكنني..
لم تدعه يكمل كلامه، فهرولت نحوه تعانقه وكأنه غاب عنها الدهر
كله، استمر ذلك لثوان حتى فقع أحدهم الهالة الوردية التي كانت
تحيطهما :

_ حسنا، يا عصفير الحب، أعتقد أن هذا يكفي، ألا تحترمان
مشاعر العُزَّابِ أبدا؟

انتميت إلى وجود شخص رابع بينهم..

_ ثيودور؟ ما الذي تفعله هنا؟ سألت

_ لقد أصر أن يأتي معي ليتعرف على هذا المكان بنفسه، تعرفين
روح المغامرة لديه..

_ لا تبالغ يا أخي، ألا تقول دائما أنك ترغب في أن أكون بجانبك،
ها أنا ذا أفعل ذلك.

_ أهلا وسهلا بك في قريتنا يا ثيودور، تدخلت سالي التي التزمت
الصمت منذ دخولهما وتفاجئهما بوصول داميان وأخيه إلى القرية.

نظر إليها حينها متفاجئا، لم تكن أبدا كما تخيلها، فقد أخبره داميان بالقصة بأكملها، ملامحها السمراء البسيطة وكُحْلُ عينيها شعرها الأسود العجري كانوا كفيلين بأخذ سائرتفكيره ، ثم أن حياءها البادي على طريقة كلامها أضاف لمسة من الجاذبية نحوها..
_شكرا لكِ، قال بتلعثم.

شعرت بالخجل من نظرتة لها، واختارت الانسحاب من بينهم على الفور..

_لابد أنكما مرهقان من طول الطريق، فلترتاحا وسأحضر طعام العشاء لكما.

_أنا أشكركِ يا سالي، ختم داميان.

جلس البقية بعدها يتحدثون، وقص داميان على أماريليس ما حدث معه منذ لحظة وصوله إلى قدر الشمس إلى غاية اعتراف سامر بما قام به، كما أخبرها أنها تستطيع العودة متى شاءت، بالإضافة إلى أنها ستواصل عملها الذي تعشقه كما اعتادت أن تفعل، وكان ذلك كافيا ليحسن من مزاجها بشكل كبير.

_لا أصدق أنك فعلت كل ذلك من أجلي يا داميان، شكرا لك حقا.

_ليس لهذا أي داعٍ، حمايتكِ كانت أولوية بالنسبة لي.

تبادلا الابتسامات اللطيفة، ثم استأذنت بعدها لتساعد سالي في تحضير الطعام، وظل حينها الأخوان لوحيدهما..

_داميان .

_أعرف، وإياك أن تقوم بشيء مما يخطر ببالكِ.

_ولكنني لم أتكلم بعد ..

_ فهمت كل شيء، لقد رأيتك كيف كنت تنظر إليها.
_ تلك العجربة فاتنة، لماذا لم تخبرني أنها جميلة هكذا؟
_ ولماذا قد أتطرق لأمر كهذا؟ اسمع، سالي فتاة طيبة وبسيطة، إنها ليست من نوع الفتيات اللواتي كنت تتسكع معهن، كما أنها ساعدتني كثيرا ولن أسمح لك بالعبث معها، أهذا مفهوم؟
_ اسمع، أعتقد أنني قد وقعت في الحب .
_ ماذا؟
_ بل وأريد أن أتزوج.
_ هل جننت ؟
_ اخفض صوتك وإلا سمعتنا . أنا جدي في كلامي، ولا أعلم كيف حدث هذا حتى!
_ لا أصدق أن الأبله الذي كان يواعد عشرات الفتيات في آن واحد دون أن يكثر لأى منهن يخبرني الآن أنه يقع في الحب. إنه أمر لا يعقل!
_ أنا أيضا لا أصدق نفسي، لكنني أشعر بهذا الشعور لأول مرة وكأن قلبي سيقفز من مكانه يا أخي، إنها جذابة جدا..
_ فلتعلم أنها ليست متاحة للهو والعبث، إنها ليست كسائر الفتيات.

_ هذا بادٍ على هيئتها، كما أنني لا أنوي العبث معها أبدا.
_ حسنا على كل حال، لكن كما أخبرتك، تلك الفتاة قد عانت كثيرا في علاقتها السابقة، إياك وإحزانها!
_ أعدك أنني لن أفعل ذلك.
_ حسنا، أنت واقع في الحب إذن أليس كذلك؟ أيها الأحمق الصغير!

_و كأنك لست كذلك.

_ما الذي تقصده ؟

_أقصد أماريليس، هل تعتقد أنك تجيد إخفاء الأمر؟ أنت سيئ

جدا في ذلك، كما أنك تبدو كفأرٍ مذعور حين تتحدث معها.

شعر داميان بالخجل وشم أخاه الأصغر، ذلك أنه لم يكن يتوقع

أن يبدو حبه لها إلى ذلك الحد، فهو لم يشأ أن يسرع من وتيرة الأمر

كثيرا..

_هل أبدو بائسا إلى ذلك الحد؟

_كلا، ولكن عليك أن تخبرها بذلك، إنها بلا شك تبادلك نفس

المشاعر.

_لست أدري، من المؤكد أنها تعرف مسبقا، لكنني أخشى رفضها

لي..

_ولم قد ترفضك؟ لقد خاطرت بحياتك من أجلها، كما أنك لن

تعرف ما لم تغامر بكل شيء!

_أنت محق، وحدها الأيام ستكشف ذلك.

"هكذا هي الحياة، قد تغريك بداياتها وتستغل روح المغامرة داخلك لتدفعك لاختيار الطريق الوعر، وحين تدرك في لحظة من اللحظات خطورة ما قد تواجهه في رحلتك، تنسى طريق العودة.. وهكذا كانت قصتهم، لم يدرك أي منهم أن كل ما عاشوه من سعادة كان داخل فقاعة كبيرة ، وأن مصير الفقاعة دائما هو الانفجار، لتساقط حبات تلك السعادة واحدة تلو الأخرى.."

بعد مرور شهرين..

جاء فصل الشتاء، واختفت تلك الحلة الأنيقة التي كان يرتديها
الخريف بوقار، أسدل الآن الجو البارد ستائره على أنحاء البلدة
مفسحا المجال للمطركي يأخذ مجرى له..

يوم شتوي ممطر، الغيوم رمادية والسماء ملبدة، الشوارع فارغة
حتى محلات سوق نولان مغلقة، الكل في منزله يتدفأ، إلا أن هناك
من كسر حاجز البرد، استغل أحدهم تساقط الأمطار الغزيرة وراح
يرقص تحت الماء..

_ أنتِ مجنونة! أنتِ حقا مجنونة!

_ أجل.. أعلم ذلك.

_ أنا أبحث عنك منذ ساعة، هل أنتِ مدركة لهذا؟

_ أنتِ تضخم الأمور كثيرا، تعلم أنني أرتاح هنا.

_ ألا تنظرين؟ المطر يهطل بغزارة ونحن وسط الغابة، ستمرضين
حتما.

_ لقد عدت من الموت منذ أكثر من ثلاثة أشهر، لن تفعل بي الأمطار
شيئا. ثم ألم تقل لي أنني أشبه المطر؟ ها أنا أمطر. صرخت ضاحكة.

_ أنتِ حقا لا تعقلين.. من يرقص تحت المطر في جو كهذا؟ هيا
لنعد إلى قصرنا.

_ عد أنتِ إذا أردت، سأبقى هنا قليلا وسأوافيك بعد دقائق.

تمهد بنفاذ صبر..

_ حسنا، أنا ذاهب، بإمكانك البقاء إن أردت.

_ماذا ؟ أتترك زوجتك بمفردها تحت المطر وتعود لبيتك بهذه البساطة ؟

_ألسيتِ من طلب مني المغادرة ؟

_وكأنك كنت تنتظرها، ألا تفهم في النساء شيئا ؟ إذا قلن شيئا فهن حتما يردن العكس ، نحن مخلوقات هكذا، إذا أردنا شيئا قد نتحدث عن مئة أمر غير ما نريده، لكنك مجبر على تخمين الشيء الوحيد الذي لم نتحدث عنه ونرغب به .

_حسنا ، سأخسر الجولة معكِ مهما قلت، هيا لنعد إلى المنزل عزيزتي .

_لست ذاهبة إلى أي مكان.

لن يكون بيده أي حيلة مهما فعل، ركض نحوها تحت المطر وحملها بين يديه..

_ ما الذي تفعله ؟ أنزلي فوراً .

_كلا ، سنذهب من هنا حالا.

_داميان !

_ماذا؟

_لم تغضب مني أليس كذلك؟

_وهل أستطيع أن أغضب منك؟ حتى وإن أردت ذلك فأنا لا أستطيع. أنزلها مبتسما. فقط إنني لا أرغب في رؤيتكِ تلازمين الفراش مرة أخرى.

_أخبرتكِ أن ذلك الأمر قد انتهى، كما أن سامر ميت الآن، ولن يستطيع إيدائي وهو في العالم الآخر، دعنا لا نفكر فيه بعد الآن، ثم

انظر إلى الجانب المشرق من الأمر، ألم تطلب الزواج مني بعد عودتنا
من قرية آرتميس بفترة قصيرة؟

_ هكذا إذن ، هل يعني هذا أنك لم ترغبي في ذلك أيضا ؟

_ لا أريد أن أخرجك بهذا، فقبل ما حدث كنت لا أحتمل رؤية

وجهك حتى..

_ كم أنت متواضعة.

_ كيف عرفت أنني هنا؟

_ إنه مكانك المفضل، لا عجب أنك هنا في جو كهذا.

_ نقطة إضافية لك إذن.

_ أماريليس !

_ ماذا؟

_ أقسم أنني سأتجمد هنا بعد قليل، الوضع ليس رومانيا أبدا

هل نذهب؟

_ أجل ، نذهب . قالت مبتسمة.

..

كانت سعادتهم كالسحابة، فقد ظهرت مع المطر ثم اختفت من السماء بمجرد توقفه، الكثير منا يجد السعادة الحقيقية، لكن القليل منا فقط من يحافظ عليها حتى النهاية ، حتى وإن حاولنا الحفاظ عليها بكل ما أوتيناه من قوة ، فإنها قد تنزلق من بين أصابعنا رغما عنا، وقد تترك على أيدينا ألما لا تندمل، حينها فقط يكون التمسك مؤلما أكثر من الإفلات..

لم تكن تلك البداية فحسب، بل كانت النهاية أيضا، أوريما بداية النهاية لكيانين تعاهدا على الاتحاد ضمن جسد واحد ، نقطة الختام لمشاعر كان بإمكانها أن تثبت أن الشمس والقمر كان بإمكانهما الالتقاء في إحدى الليالي المباركة، لتجعل من حبات ثلج تلك الليالي شمعة تذوب لتنير عتمة الظلام..

وتمر الأيام و الأيام ...

حتى هذه اللحظة لازلت أذكر تلك الليلة المخيفة، لا تزال تفاصيلها حتى اليوم حية داخل تفكيري ، لم نكن نعتقد أننا سننجو مما حدث ، حتى وإن نجونا فلن يكون شيء كما كان.. القصر الذي كنا دائما نعتقد أنه الحامي من الشرور والمكائد لم تستطع جدرانها الصمود أمام شيء كهذا ، لقد كان شيئا مستحيلا يحدث أمام أعيننا ، شيئا يفوق الخيال ! كنتُ و أماريليس قد ذهبنا ذلك اليوم إلى قصر الملك لتناول العشاء في ضيافتهم ، لكننا اضطررنا لقضاء الليلة هناك بسبب سوء أحوال الطقس، لقد كان الجو ممطرا كما لم يكن من قبل ، الغيث استمر طوال المساء ، لم تكن لنا الجرأة لنخرج أبدا في جو كهذا ، كنت بالأحرى خائفا على أماريليس ، زوجتي .. نعم ، تزوجنا منذ فترة .. لم أستطع الصبر أكثر من ذلك ، فقد أصبحت تلازم تفكيري بشكل يُهلك قلبي، قررت أن أضع حدا لجميع من يرغبون بها لقد ظفرت بها لي أنا ، وإلى الأبد.. حبيبتي قد عانت من محاولة قتل مؤخرا ولم أكن أريد المجازفة بحدوث أمر هكذا مجددا ، لكنني أمضيت ذلك المساء هناك على مضض ، كانت تعطيني طوال الوقت الرغبة الشديدة في أن أُهَيِّمَ رأس ذلك الذي يُدعى ليجاي ، ابن عمته الذي لم تفارق نظراته أماريليس حتى وهي متزوجة، ناهيك عن أنني لم أستطع نسيان أنه حاول الاعتداء عليها سابقا، أعلم أنه مستاء من زواجنا، وأنه فعل كل ما بوسعه ليمنع ذلك، أشياء كهذه لم تكن لتُخفى عني، لكن الظروف جعلتني أتشارك معه نفس الطاولة فقط من باب الاحترام..

استأذنا العائلة في وقت متأخر لنذهب للنوم، أخيراً مع زوجتي ولوحدنا..

_ داميان ،كنت طوال السهرة مستاء على غير العادة ، ما الأمر؟
"سؤال ليس في وقته حتما " قال في نفسه..
_ هل حقاً تسأليني عن هذا؟ ألم تري ذلك السكّير كيف كان
يلاحقك بنظراته؟

_ هل تقصد ليجاي؟
_ومن غيره ، أماريليس ، لقد تجاوز حدوده منذ زمن طويل ، أنا
أصمت فقط احتراماً لوالدك ، إذا واصل بهذه الطريقة فأنا أقسم
أنني سأفصل رأسه عن سائر جسده.

_عزيزي ، اهدأ ، دعنا لا نفكر فيه الآن، هل هذا ممكن ؟
_ أنتِ من سألت عن سبب استيائي ، لن أدع أحدهم يتحرش بكِ في
حضورى بالطبع !

_حسناً ، ربما أنتَ محق ، لكننا لسنا في قصرنا الآن، سنؤجل
الحديث في هذا الموضوع إلى وقت لاحق ، اتفقنا ؟

استطعت حينها كبح غضبي بصعوبة ، لكنني لم أرد إجراجها بهذا
كما أنه لا دليل بيدي يثبت النوايا الخبيثة التي يخفها ذلك القدر لم
أستطع النوم بسهولة ، ظللت أتقلب يمناً وُيسراً ، بينما نامت قطي
الوديعة بجانبى كالملاك ، لكن هذا وللأسف الشديد لم يدُم طويلاً ،
كنت على وشك الذهاب في رحلة إلى عالم الأحلام حين حصل مباشرة
ما قلب الأمور رأساً على عقب ، تماماً بعد منتصف الليل..

أصبح الرعد والرياح يدويان بقوة أكبر..

أصبحت الجدران تتحرك
والأرضية تهتز أسفلنا
والنوافذ تصفق..
وصارت الأبواب تنفتح وتنغلق..
_داميان ! ما الذي يحصل هنا ؟
_لا أعلم .
_يا إلهي ماهذا؟
_لا تخافي، لن يحصل لك شيء .
ضمها بين ذراعيه بكل قوة..
_ما خطب النوافذ والأبواب؟ صرخت.
_لست أدري ، اهدئي فهي فقط من قوة العاصفة في الخارج ، قلت
محاوِلا تهدئتها..
_فلتحمنا الآلهة . ظلت تكرر..
كان كل من في القصر يشهد نفس الأمر ، لم يتجرأ أحد أن يغادر
مكانه من شدة الخوف، لم يحدث في القصر شيء كهذا منذ وُجِدَت
الحياة في هذه البلدة، الشيء الوحيد الذي إشتك فيه كل من في
القصر هو الصراخ، الجميع كان مذعورا، الأميرات، الخادِمت
الحرس، وكل من هناك ..
صوت الرعد أصبح أقوى وأقوى .. ولا تنفك الأبواب والنوافذ
تنفتح وتنغلق..

دقائق حتى هدأت العاصفة فجأة، وعاد كل شيء كما كان، بل
وكأنه لم يكن..

ساد الهدوء في القصر، حينها فقط خرج الجميع من غرفهم ،
 واجتمعوا في مكان واحد ليطمئنوا على بعضهم البعض ..
_عقلي لا يستوعب شيئا كهذا ، أيعقل أن كل هذا فقط بسبب
العاصفة ؟ قالت الملكة محتارة.

_لماذا قد يحدث شيء كهذا يا أبي؟ سألت أماريليس
_لا أعلم يا ابنتي ، قصرنا لم يشهد شيئا كهذا من قبل ! إنه شيء
غريب بالنسبة لعاصفة بسيطة.
_إنه تماما كالسحر .

انتفضت مالين رعبا لسماعها تلك الكلمة..
_ما الذي تقولينه عزيزتي هيرا ؟ السحر مستحيل في الواقع ، هل
تؤمنين بشيء كهذا ؟ قالت متدركة الوضع.
_كلا ، لكنني أعتقد أن هناك من يؤمن بهذا حقا ، خفية عنا
جميعا .

كانت في تلك اللحظة على وشك أن تفضح والدتها ، شعرت أن ما
تقوم به مع الساحرات هو نوعا ما سبب ما يحصل في القصر، لكن
صوت أحدهم قاطعها:

_ليجاي أين هو ابني ؟ صرخت
_لا بد أنه لم يغادر جناحه ، سأفقده بنفسي يا أختي، قال الملك.

صعد الأدرج بخفة ، بينما لحقته أخته التي لم تتحمل الانتظار ،
في تلك الأحيان ظل جميعنا في الأسفل مصدوما مما حدث منذ قليل ،
فجاءنا صراخ من الأعلى :
_ابني .. لا أتر لابني في غرفته .

الأمير ليجاي مفقود ، ولا أتر يذكر له..

. لم نترك غرفة تلك الليلة ولم نبحث فيها ، من كان يصدق أنني
أنا داميان قد أقلق يوما على ذلك الأخرق وأبحث عنه ، لكنني كنت
أعلم جيدا أن ذلك هو ما علي فعله تلك الليلة..
أخيرا قد وجدنا ليجاي ، لكن ذلك لم يكن خبرا سعيدا بالنسبة
لأي أحد فينا، لا أزال لا أنسى ذلك المنظر الذي وجدناه عليه..
ميتاً !

**وجدناه معلقاً من عنقه في سقف المغسلة، كما أن أطرافه كانت
لا تزال تنزف محدثة شلالا من الدماء تحته..**

فهمنا حينها أن الأمير ليجاي قد انتحر، وكان المشهد مروعا ، دماؤه
كانت منتشرة على الأرضية حتى أننا وجدناه على وشك الجفاف ، بينما
كُتِبَ بدمائه بخط واضح على الحائط العبارة الأولى والوحيدة:

" عندما تخرج الأمور عن السيطرة، على أحدهم أن يدفع الثمن "

لقد خانتني الكلمات لأصف كيف كان شعور كل واحد فينا في تلك
اللحظة ، خاصة والدته ، تلك المسكينة ، التي راحت تُلامس جسده
الدامي وسط هيستيريا من البكاء والضحك ، تتحدث معه وكأنه
يسمعها، لكنه مع الأسف لا يفعل .

رغم أننا رأينا ما حدث بأعيننا ، إلا أن أحدا منا لم يستطع تصديق الأمر، كان ذلك مثل القصص المرعبة التي كان أجدادنا يروونها لنا، على عكس كل الأطفال كنت لا أصدق تلك الخرافات ، لكن هذه المرة مختلفة ، الرعب يحدث أمام عيني ..
معاناتي الحقيقية بدأت تلك الليلة..

قبل موعد إعدام داميان بيوم واحد..

داميان ، آخر ليلة لي في بلدة قدر الشمس..

"قد لا يصدق البعض منكم ما قد أقوله ، لقد اكتشفت حينها ما لا أستطيع تصديقه حتى الآن، من كان يعتقد أن أماريليس كانت تخونني ؟ أجل .. في حين أنني كنت أفكر كل ثانية كيف أجعلها أسعد امرأة في الكون ، كانت هي بكل براءة تقفز من سريري إلى سرير ابن عمتها ، من أحضاني إلى أحضان ذلك المدمن، دائما ما كانت تبرر نظراته لها على أنها عادية ، لكنني بتُّ متأكدا ، حصلت على دليل إدانتها ، دليل خيانتها لي مع ليجاي ، ذلك النِّدَل، الذي اهتموني أنني من قتله ! صدمة أخرى.. هذه الحقيقة، وليست خواطر مثل.. لم تمر إلا ثلاثة أشهر وأكثر بقليل على زواجنا ، وعضوا على أن أتبادل الحب مع زوجتي في منزلنا فأنا الآن أكتب هذا الكلام للعين ، قد يتسلل الشك لنفوس بعضكم لتظنوا أنني حقا قتلت ليجاي نظرا لتاريخي معه ، وتهديداتي المستمرة بقتله ، لكنني حقا لم أقتله .. لست أخجل من الاعتراف إن كنت قد فعلت ذلك حقا ، ذلك يدعو إلى الفخر بالنسبة لي، لقد مات بطريقة وحشية ، تلك هي الكلمة التي قد تصف جزءا مما أصابه، إنها مجزرة حدثت مع شخص واحد، لقد انتحرت الأمر واضح، ولست أسفا لأن ذلك حدث معه بكل صراحة ، لقد استحق ذلك ، فهو سكير، غبي ، معتدٍ ومتحرش بامرأة متزوجة ، هو لا يهمني البتّة، فالجميع يعلم أنه نذل على كل الأحوال، أسفي عليك أنت يا أماريليس، خائنة أنتِ، قاتلة أيضا أنتِ ، تعلمين لماذا؟ لأنكِ قتلتِ أصغر إيمان كان في قلبي بالحب، وبِتُّ أوْمَن أن جميع نساء

الأرض خائنت ، فالمرأة قد تخون بنظرة ، بابتسامة ، أو حتى بفكرة في عقلها ، وأنتِ واحدة منهن..

الغد هو موعد محاكمتي ، سيقرر الديوان عقوبتي لقتل أمير ، كم هو سخيّف أن من سيصدر الحكم بحقي هو نفس الشخص الذي أنا بسببه في هذه الحالة المزرية ، إنها الآن تصدر الحكم ضديّ بتهمة قتله ، كم أتمنى لو أنني قتلته حقا ، ربما سأكون راضيا عما فعلته وسألتقى جزائي بفخر ، لكنني وللأسف لم أقم بذلك ، قد أُقتلُ اليوم أو قد أُسجَنُ إلى الأبد ، هذا لم يعد يهم بعد الآن ، لطالما كنت سجيناً لحبها ، ولن تخيفني القضبان الحديدية في شيء..

يوم المحاكمة..

_ ماهذا الذي تراه عيناى حضرة الأميرة ؟ أكلُّ هذه الأناقة فقط لأنك ستقتلين زوجك؟

_ لا تستفزني يا داميان ، ولا تجعلني أبدأ بالكلام .

_ هل سيغير كلامك من حقيقة أنني مسجون منذ أسبوع ؟

_ هل تريد منى أن أذكرك مجددا أننا وصلنا إلى هنا بسببك أنت !

_ هذا صحيح ، أنا من خانك مع امرأة أخرى ، وأنا من اتهمك بقتلها

أليس كذلك؟

_ لا تزال تعتقد أنني قمت بخيانتك إذن ، رأيك لم يعد يهمنى مقدار

ذرة. أقول لك شيئا؟ أنا ألعن كل دقيقة جمععتني بك ، بل وكل ثانية

صدقْتُ فيها أنك حقا تثق بي وتحبني..

_ كفاك تظاهرا بالبراءة أرجوك ، فقد سقط قناعك ، ذلك الغبي

الذي أحبك رغم كل شيء قد مات منذ زمن ، ذلك الذي عبرك البحار

ليحملك لم يعد موجودا، الذي يقف أمامك مجرد شبح للماضي ، على كل حال أنا مُمتن الآن ، تعلمين لماذا ؟ لأنني سأموت بعد قليل وأنا على علم بكل شيء، ولهذا أطلب منك أن تتوقفي عن احتقاري في ساعاتي الأخيرة وأن تذهبي من هنا ..

_ أنا لا أسمح لأحد بإهانتني حتى وإن كان هذا الشخص أنت أتفهم هذا ؟ لو كنت قد أحببتني بهذا القدر لكنت قد وثقت في أنني لم أخطأ أبدا، ليس لدي سبب لهذا، ليجاي كان يركع أمامي في اليوم ألف مرة، لو كنت أهتم لأمره لما تزوجتُك من الأساس، حاربت تقاليد الأسرة وكسرت أهم قاعدة فيها ،وهي الزواج من غريب، لكن هذا لم يكفك، فبررت لك مئات المرات موقفي، وأقسمت لك أنهم يحاولون تفريقنا وأنني لم أفعل شيئا، ليجاي كان مهووسا بي لدرجة أنه قام بكتابة تلك الرسائل اللعينة على شكلية خطي لتبدو أنني أنا من كتبها وعدتُك أن نتناقش بأمر ليجاي تلك الليلة لكنك لم تستطع الانتظار حتى الصباح، وبينما أنا نائمة قتلته بوحشية بسبب هوسك المرضي بسبب تكهنات تبنيها بنفسك.

_ تكهنات؟ أعتقدين أن تصديق أمر كهذا كان سهلا علي؟ رأيت كل شيء بعيني ، لم تكن فقط الرسائل هي الدليل الوحيد، أنسيتي أنني وجدت ملابسك الخاصة جدا التي لا يفترض أن يراها غيري في غرفته بعد أن أنتحر، تواجهه في مكتبك واضطرابك عند دخولي ذات مرة، أنسيت نظراته إلى شفطيك، إلى مناطق الحميمة، كانت تكاد تلتهمك وأنتِ بجاني، تغاضيك المستمر عن الأمر، كل شيء كان ضدك، لا أصدق أنني لم أستطع كشف ذلك إلا بعد موته.

_لقد كنت أتغاضى على ما يفعله لأحافظ على ما بيننا فحسب إنه هو من قام بتزييف كل شيء لأبدو على علاقة معه، كان يريد توريطي بعد مغادرته، لقد بتّ لا تستطيع التفرقة بين الوهم والحقيقة.
_هذا لم يعد يعني، لقد لاقى ما يستحقه جزاء ما فعله، إنها الكارما.

_وهل تعتقد أن ذلك سبب لتقتله أيها المريض؟ صرخت.
_تعلمين أنني لم أقتله، حتى وإن كنتِ تقنعين نفسك بالعكس ليس لي علاقة بالأمر، أقسم بذلك.

_ماذا عن الأدلة الموجودة ضدّك؟ قالت محاولة ألا تبكي.
_مزيفة، أخبرتكِ إنها مزيفة، تعلمين أنني لست قاتلا يا أماريليس المذنب هنا هو أنتِ ولا أحد سواكِ.

_بل قتلته، كما أنني لم أفعل شيئا، لستُ خائنة، صرخت مفسحة المجال لدموعها أن تنهمر كالشلال، أنتِ قاتلٌ يا داميان ووقعت على الأرض يائسة، كانت تلك أول مرة تبكي أمامه فأن تتحمل هذا كله فهو كثير عليها..

رقّ قلبه لحالها، لوهلة فكر بأنه ربما ظلمها، على الرغم أنهما تجادلا كثيرا بخصوص هذا إلا أنهما لم يستطيعا تصديق بعضهما فلا هي خانته.. ولا هو قتل ليجاي، الأمر كله كان من تخطيط مالين هي من زورت الكثير من الأمور ليبدو داميان خلف الجريمة، وهي من وضعت الرسائل وملابسها الخاصة في غرفة ليجاي بعد موته، لتبدو وكأنها كانت على علاقة معه قبل وفاته، كان ذلك جزءا من مخططها فموته المفاجئ لم يفدها في شيء، والحقيقة أنها كانت السبب في

انتحاره ،فحين لجأت للساحرة لتنتقم من أماريليس، خرجت الأمور عن السيطرة وأنهى ليجاي حياته بيده دون أن يشعر لأن دماءه باتت بين يدي الساحرة، والتي طلبتها منه مالين متظاهرة بمساعدته، حيث كان من شأنها السيطرة على عقله وبالتالي ستدفعه لقتل أماريليس فصار كالمجنون لا يدري ما يقوم به، وتلك الليلة أمرته مالين بقتل أماريليس مستغلة فرصة قضاءها تلك الليلة هناك، لكن حبه لها كان أقوى من تأثير السحر، فحاول وبشدة القيام بذلك لكنه لم يستطع أحبها.. وكره حبه لها لأنه جعل منه إنسانا ضعيفا، فقرر إنهاء حياته دون أن يهتم لشيء، وكانت تلك نهاية ليجاي الذي كان ضحية حب لمن لم يبادلها المشاعر، أحيانا قد يحدث وأن نقع في شباك الشخص الغير مقدرلنا، ويكون ذلك ألما، لكننا في خضم معاركنا النفسية ننسى أن الألم ثمرة، والله لا يضع الثمرة إلا على غصن يستطيع حملها..

اقترب داميان من أماريليس الواقعة أرضا دون أن يشعر..

_إياك أن تلمسني.. لا يحق لك ذلك ابدا .

_ستقتليني أليس كذلك؟ قال بعينين مغرورقتين..

توقفت عن البكاء.. لكنها لم تستطع الإجابة، مجبرة هي على اتخاذ

قرارها ، تم نصب الكمين بحرفية من طرف زوجة عمها كي لا تتهمها ابنتها وحتى لا تطرد من القصر، بحيث أن كل الأصابع أصبحت تشير

إليه ..

_لماذا لا تجيبيني؟ تعتقدين حقا أنني قد أفعلها؟

_ألم تتهمني بالخيانة؟ قد تفعل ما هو أسوء فقط لترضي غرورك..

_أرضي غروري؟ هل كانت غيرتي عليك ذنبا؟ أكنت تتوقعين أن أحبه رغم نظراته المقرفة إليك؟ رغم كل ما فعله لكي يفرقنا؟
_ألم تقل لي تلك الليلة أنك تريد فصل رأسه عن جسده؟ لقد قلتها بعظمة لسانك .

_وهل كنت لأقتله حقا؟ أماريليس لا تتصرفي وكأنك لا تعرفيني، أنا لست قاتلا!

_أنا حقا أصبحت لا أعرفك يا داميان..

انسحبت إلى الخلف، ثم خرجت تاركة إياه خلفها مسجوناً، غاضباً، يائساً، والأسوء من هذا عاشقاً..

نزلت الدرج متجهة إلى مكتبها بتثاقل شديد ، وكأنها أصبحت ترى بصعوبة ، أمسكت جانب رأسها إثر دوار أصابها، واختفى كل شيء حولها فجأة..

ممدودة على أريكة مكتبها، بدأت أماريليس تستفيق وتستعيد وعيها تدريجياً، فتحت عينيها لتجد يمان الذي أسعفها والطبيب الذي جاء إلى الديوان لفحصها..

_ما الذي حدث معي؟ سألت بصعوبة.

_لقد وقعت من الدرج سيدتي، وجدتك مرمية أسفله غائبة عن الوعي .. قال يمان.

_أجل ، أذكر أنني شعرت بالدوار ثم.. لا أتذكر، حضرة الطبيب؟ لماذا أغني عليّ فجأة؟

_لا تقلقي يا أميرة، مامن شيء يدعو للقلق، فقط القليل من التوتر، من الجيد أن السقوط من الدرج لم يؤثر عليك..

لم تدعه يكمل كلامه..

_ حسنا، هذا جيد، أنا أستأذنكما إذن فاليوم محاكمة كما تعلمان
قالت بنفاذ صبر.

_ حضرة الأميرة ، لم تدعيني أكمل كلامي، هناك ما يجب أن أخبرك
به .

عادت لتجلس مكانها..

_ ما الأمر؟ ألم تخبرني أنه ما من شيء يدعو للقلق؟

_ أجل هذا صحيح ، شعورك بالدوار والإغماء أمر طبيعي ، فأنتِ
حُبلى.

توقف بها الزمن للحظات، تجمدت في مكانها وظلت نظراتها
معلقة في عيني الطبيب..

_ حضرة الأميرة، هل أنتِ بخير؟

لا ترد عليه..

_ أنا، سأترككما بمفردكما، بالإذن، قال يمان وخرج مسرعا
مصدوما هو الآخر..

وكانها استعادت يقظتها حين أُغلق الباب بقوة..

_ حُبلى، هل أنا حقا..

_ أجل يا أميرة، ربما لم تنتبهي هذه المدة إلى أن وظائفك الأنثوية
مضطربة. وهذا بديهي، نعلم أنكِ تمرّين بوقت عصيب..

_ منذ متى؟ أقصد الحمل.

_ منذ ثلاثة أسابيع تقريبا..

_ أريد أن أجهض هذا الولد ! فورا!

_ولكن سيدتي..

_أنا أمرك بهذا، لا أنا ولا الظروف الحالية سنسمح بإنجاب هذا الطفل.

_حسنا، إذا كنتِ مصرةً على هذا ، لكن هناك ما يجب أن تعرفيه على الأمير داميان أن يعلم بهذا أولاً، فهو والد الطفل، ثم ستتخذان قراركما سوية ، تعلمين أيتها الأميرة، القانون هنا هو القانون ، ومع ذلك عليكِ التفكير ملياً بالأمر، الإجهاض ليس حلاً دائماً ، من يدري، ربما يكون هذا الطفل هو خلاصك من كل ما يحدث .. بالإذن..

كان آخر شيء قد تتمنى حدوثه هو هذا، بينما هي تفكر في احتمال موت زوجها هذا اليوم بالذات، تجد نفسها حاملاً منه ! والأسوء أنها هي من قد تعطي أوامر قتله، هي لا تريد فعل هذا، لا يمكنها القيام بهذا للرجل الذي أحبته بصدق، حتى وإن اتهمها بالخيانة ..لكن القانون هنا يسري على الجميع ، وما بحوزة الديوان من أدلة يشير مباشرة إليه ، ربما يشرب البعض الآن نخباً للانتصار الذي حققوه فإن كان قتلها صعباً فإن التفريق بين أماريليس وداميان وحزن أماريليس للأبد يفي بالغرض ، كل هذا والطفل البريء الذي يقبع داخل أحشائها والذي تنوي التخلص منه لا يفارق تفكيرها، ترى ما ذنبه من كل هذا ؟ تقول لنفسها، كان الطبيب على حق، هي حقاً لا تعلم إن كان عليها أن تفرح أم تحزن من شدة تعقُّد هذه الأحجية، عليها الآن أن تتخذ قراراً، إما الحفاظ على حياة زوجها وطفلها أم قتل الاثنين معا ..

شارد في مهب النسيم العليل
أسير بلا هدف والظلام حولي يطوف
هارب كمن ليس له خليل
أرقص على ألحان سكرتي لا أبالي بالظروف
تسترجع روحي ذكريات ذلك الحلم الجميل
لأستيقظ مرميا في أحضان الكهوف
أسأل أنفاسي المتناثرة أوجِب حقا الرحيل؟
أبحث بين كتبي وأبعثر تلك الرفوف
لا جواب يأتي من قدري البخيل
الذي اختار عذابي بدل إعطائي الحروف
لا يطيعني ولا يعطيني السبيل
لأعود يوما بعد سنوات ألوف

غيبوبة..

"لم تكن تلك بداية النهاية .. كانت فقط نهاية البداية.."

فارس

خطاب بالإنجليزية..

_أيها الطبيب.. المريض يستيقظ .

يركض الطبيب بسرعة إلى الغرفة ، وعشر دقائق تمر..

يفتح عينيه بصعوبة ، ألم فضيع على مستوى رأسه ، يحركه يميناً وشمالاً ، يرى نفسه وكأنه في مكان غريب ، كابلات طبية تحيطه من كل مكان ، بينما رجل خمسيني ذو شعر رمادي يرتدي نظارة و مئزراً أبيضاً ينظر إليه ، تقف خلفه شابة ثلاثينية ذات شعر كستنائي قصير مسدول على كتفها، إنها ممرضة.. بدأت الملامح تتضح أمامه ، لكنه لا يعلم ما الذي يحدث حوله بالضبط..

_عذراً، من أنتم؟ وما الذي أفعله هنا؟

إنه يتحدث بالعربية الفصحى، وهذا ما استغربه الطبيب.

_اهدأ من فضلك ، أجابه بنفس اللغة نظراً لأنه يجيدها ، طرحت للأسئلة وشعورك بالاستغراب أمر بديهي جداً، لا تقلق فسوف أشرح لك الأمر بموضوعية تامة..

_ما الذي ستشرحه لي؟ كيف وصلت إلى هنا؟ ومن أنتم من

الأساس؟

_حسناً ، سيد فارس.. يؤسفني وبشدة قول هذا لكنك كنت فاقدا

الوعي ولمدة طويلة ، لقد كنت في غيبوبة !

مصدوما ، لا يعرف ما الذي يجب أن يُقال..

_كي.. كيف حدث هذا؟ منذ متى وأنا في هذا المكان ؟
_منذ خمسة أشهر أو أقل بقليل، بعد تعرضك لذلك الحادث
يمكن القول أن إمكانية نجاتك كانت ضئيلة جدا ، لكنك أقوى مما
اعتقدنا ، لقد عدت حقا.

"ما الذي يقوله هذا الرمادي؟ هل تم الخلط بيني وبين أحدهم؟" يقول
لنفسه..

_لقد أخطأت بيني وبين شخص آخر على الأغلب يا سيدي، لست
الشخص الذي تتحدث عنه .

_كلا ، لست مخطئا ، أنا أخاطبك أنت بالذات سيد فارس..

_لا أصدق هذا! هل لي أن أعرف أي نوع من الحوادث تعرضت له؟
استغرب من سؤاله..

_ألا تتذكر ما الذي حدث لك؟ سأل الطبيب في شك
هز رأسه نافيا..

_لقد انحرقت بك السيارة في تلك الليلة، الإصابة ألحقت الضرر
برأسك ، فالصدمة تسببت في تورم في دماغك مما أدى إلى ضغط
السائل الدماغي على عظام الجمجمة، فدخلت بعدها في غيبوبة
واليوم استيقظت!

"سيارة؟ تورم؟ سائل دماغي؟"

لم يفهم شيئا مما يقوله الطبيب، أخذ يسير في الغرفة جيئة وذهابا
بعد أن تخلص من تلك الكابلات التي كانت تربطه، لا يفهم أبدا هذا
التغير الذي حدث معه فجأة ، في المكان الذي يراه غريبا..

_ هذا غير ممكن ، ليس من الممكن أن أكون قد أمضيت كل هذه الفترة وأنا في هذه الغرفة أيها الطبيب ! لقد كنت مع زوجتي منذ فترة قصيرة، أنا أشعر بهذا ، نحن نعاني من بعض المشاكل وعلي حلها في أسرع وقت !

_ من الطبيعي أن تشعر بهذا ، كل الحالات التي تمر بما مررت به تنكر الواقع في بداية الأمر، وخاصة عند معرفتهم بالمدة التي أمضوها نائمين، ثم يبدوون في التأقلم ، it's normal !

_ انتبه إلى أنهم يتحدثون لغة لا يفهمها ، فراوده تسأول..

_ أخبرني ، في أي بلدة نحن؟

_ نحن في إنجلترا ، تعجب الطبيب من كلمة "بلدة".

_ هل أنا وحيد هنا؟ أين هي عائلتي؟

_ أنت جزائري الأصل ، لكن لا أحد يزورك هنا ، سوى رجل سبعيني

وزوجته ، أعتقد أنهم أصدقاؤك ، يدعون بسايمون وكريستينا..

لا يزال غير مصدق..

_ هذا مستحيل ، متأكد من أنكم خلطتم بيني وبين شخص آخر..

توجس الطبيب من طريقة أخذه للأمور، لكنه بدأ يفهم مشكلة

المريض..

_ سيد فارس، ألا تتذكر أي شيء بخصوص ما مضى؟

_ لا أتذكر أي من هذا ، ثم توقف عن قول فارس ! اسمي داميان

ولا أعلم كيف وصلت إلى هذا العالم؟

خطاب باللغة الإنجليزية..

_دكتور آدم، أهنالك خطب ما؟

_كلا، نادين، ليس هنالك ما يدعو للقلق، لكن هنالك ما يجب أن

تعرفيه لهذا طلبت منك المجيء بهذه السرعة، اجلسي من فضلك..

جلست منتظرة الخبر..

_في الحقيقة هي أخبار سعيدة نوعا ما، لكن نظرا لظروفك وزوجك

لم أعرف بالضبط ما يجب أن أفعله..

تنظر مترقبة ما سيقوله..

_حسنا، السيد فارس.. لقد استيقظ هذا الصباح .

نهضت من الكرسي دون أن تشعر..

_ماذا؟ فارس.. استيقظ حقا؟

_نعم ، صراحة يبدو وضعه الصحي جيدا، إلا أنه..

_إلا أنه ماذا؟ أخبرني يا آدم ..

_زوجك لا يتذكر شيئا مما سبق يا نادين، على الأغلب يعاني من

فقدان مفاجئ للذاكرة، الضربة التي أخذها على رأسه سببت هذا ،

كما أنه يقول أشياء غريبة نوعا ما..

_قلت أشياء غريبة؟

_كان يقول أن الذي حصل معه أمر مستحيل، وأن اسمه داميان،

وأنه من مدينة أخرى..

بحزن كبير:

_هل هذا طبيعي؟

_ هذا طبيعي أحيانا، نصادف من حين لآخر حالات فقدان ذاكرة كهذه، لكن بالنسبة لنسب الشخص نفسه لشخص آخر، لست متأكدا من ذلك.

_ وهل سيدوم هذا طويلا؟

_ لا أحد يعلم ، قد لا يسترجع ذاكرته أبدا ، لكن الاحتمال الراجح أن حالته هذه مؤقتة، قد لا يتذكر بعض الأشياء هذه الفترة ، تبقى تلك مسألة وقت، نادين، كلانا يعلم أنكِ عانيتِ الكثير مع زوجك قبل الحادث، لكنني لم أخبره شيئا عن هذا، هو لا يعلم أنه متزوج منكِ حتى.. أعتقد أن إخباره بهذا نظرا لظروفكِ من صلاحيتكِ أنتِ وحدكِ وإذا سمحتِ أريد أن..

_ لا يجب أن يعلم يا آدم، على الأقل هذه الفترة، على التفكير في الكثير من الأمور فأنا لم أتوقع استيقاظه هذه الفترة أبدا، لا أريد التسرع في أي قرار.

_ أجل، أنا أفهمك، لكن كما قلت، سيكون هذا مؤقتا فحسب كما أن هناك ما يجب أن تعرفيه، سيخضع السيد فارس إلى جلسات علاجية نفسية منذ الغد، وبصفتكِ أخصائية نفسية أرى أن من الجيد أن تشرفي على علاجه بنفسك، ربما تكونين الدافع الأفضل له لكي يسترجع ذاكرته في مدة أقصر.

_ أتعني أن أكون طبيبته النفسية الخاصة؟

_ بالضبط ، لا أحد يعرفه كما تعرفينه أنتِ، ما يحبه وما يكرهه ما يفضله، كل هذه الأشياء قد تساعد على التعافي، وخاصة لأجل التخلي عن تلك الأوهام التي يحملها في ذاكرته، ربما تلك كانت بقايا

آخر مسلسل شاهده قبل الحادث مباشرة، لا أعلم، لكن يجب أخذ هذا بعين الاعتبار.

_ أنا لا أدري ، تعلم أننا لم نكن مقربين من بعضنا بما يكفي في الفترة ما قبل الحادث ، على كل حال سأشرف على حصصه النفسية كما طلبت ، أرجو من هذا أن يأتي بنتيجة على الأقل !

_ تريدن رؤيته ؟ ربما بصفتك صديقة .

_ لا أعتقد أنها فكرة سيّدة ، لا أعلم ما الذي قد يحصل معي إذا رأيته مجددا ..

_ الكثير من الألم أليس كذلك؟

أو مات بيأس..

_ الله وحده يعلم بما مررتُ به السنة الماضية، لن تصدق ذلك .

_ أجل، أستطيع تخيل مدة صعوبة الأمر عليك، لكن بإمكاننا النظر

من الجانب المشرق، إنه حي يرزق بعد كل هذه المدة .. أتمنى أن تحلّا مشاكلكما العالقة في أقرب وقت.

في غرفته في المشفى..

_ أيتها ال.. ماذا كان اسمها، ممرضة أجل! أيتها الممرضة، لو سمحت
أريد بعضا من الأوراق وحبرا ، هناك من أرغب في استدعائه إلى هنا
استغربت الممرضة من طلبه، هل نسي أن هناك اختراعا صغيرا
اسمه الهاتف أيضا ؟ ليس لهذا الحد، قالت لنفسها..
_ سيد فارس، هل أحضر لك هاتفك المحمول، لقد ظل في أمانة
المشفى منذ مدة، بإمكانك إجراء المكالمات من خلاله.
نظر إليها وكأنه لا يفهم ما تقوله، ففهمت هي أنه لا يتذكر حتى
التكنولوجيا..

_ إنه عبارة عن جهاز لاسلكي بإمكانك التواصل مع من تشاء
بواسطته، أخرجت هاتفها من جيب مئزرها وناولته إياه ليفهم ما
تقصده، أمسكه مترددا وأخذ يتفحصه ..

_ هل ابتكروا.. أشياء مستحيلة كهذه في الخمسة شهور التي
قضيتها هنا ؟ قال لنفسه ثم أعاده إليها..

_ أحضري لي هاتفي إذن لو سمحت، قال.

_ حسنا، هل تريد شيئا آخر ؟

_ كلا شكرا، فقط الهاتف.. أجل، وافتحي النوافذ من فضلكِ

الغرف هنا صغيرة جدا.

فُتِحَ في تلك الأحيان باب الغرفة.. كان ذلك سايمون العجوز
وزوجته اللذان حدثه عنهما الطبيب.

_عزيري فايس ، لا أصدق أنك استيقظت.. أخذت تضمه العجوز بقوة.

_فايس؟

عانقها على مَضَض ولم يستطع فهم ما تقوله بالإنجليزية ، ففهم زوجها الأمر ، سبق وأن حدثتهما نادين عن حالته..

_كريستينا تحب مناداتك بفايس بدلا من فارس، لطالما وجدت صعوبة في نطق اسمك بشكل صحيح، ضحك الرجل العجوز. أوماً إيجاباً على مَضَض.

_من الجيد أننا أخذنا دروساً في اللغة العربية يا سايمون، والشكر يعود لفايس الذي حثنا على هذا، قالت العجوز لزوجها ، وراحت تخاطب فارس بالعربية بلكنة أجنبية نوعاً ما..

_أنتِ كريستينا أليس كذلك؟ قال، وأنت يجب أن تكون سايمون. أجل هذا صحيح، قالت في أسمى وهي تنظر إلى حالته..

_أجل فارس، أنا وزوجتي كنا جيراناً لك ومن أقرب الناس إليك ، كنت كابن لنا.

_أنا أعتذر حقاً، أنا لا أتذكر الكثير من الأشياء، بل ربما كلها، قال مجارياً إياهما في الكلام فقط، هو لا يزال متأكداً من أن اسمه داميان وأنه لا ينتمي إلى هذا المكان، لكن الوسيلة الوحيدة لفهم ما يحصل والعودة من حيث أتى هي مجاراتهم كي لا يلفت الانتباه، نظراً لأن الجميع يراه مجنوناً هناك..

_هذا لن يدوم معه طويلاً يا ولد..

_أرجو ذلك، لست معتادة على رؤيته هكذا..

_ لا تقلقي، سيكون بخير، فارس شخص قوي ، لطالما كان كذلك

_ إذن ، كيف تشعر يا فارس؟

_ أنا أفضل بكثير، شكرا على السؤال.

_ أوه يا صغيري، لو تدري كم اشتقنا إليك، أخبرك بشيء؟ لم أطبخ

طبق المعكرونة بصلصة الروبيان والفطر منذ آخر مرة حضرته لك

فيها ، لقد كان طبقك المفضل، بالإضافة إلى فطائر الشيفرد مع حبات

البازلاء، كنت لا تأكلها إلا من يدي .

_ أوه..

أحى رأسه متظاهرا بالتعاطف معها، لكنه في الحقيقة لا يفقه

شيئا مما تقول..

"هل يأكل الناس ذلك الفطر البري المقرف حقا؟ وماهي المع.. كرونة

والرو.. أيا كان " قال لنفسه.

_ ما رأيك أن نتحدث عن القليل من ذكرياتنا يا فارس؟ سأل

سايمون كاسرا ذلك الحاجز الشفاف الذي أصبح يفصل بينهم فوافق

هو على ذلك..

ذلك المساء في منزل سايمون وكريستينا..

_ هل فكرت في هذا جيدا عزيزتي؟ ربما يكون من الأفضل أن تخبريه..

_ كلا يا كريس، لا أستطيع المجازفة بهذا، العلم بالمشاكل التي كانت بيننا قبل الحادث عبارة عن انتكاسة في حالته مجددا وهذا آخر ما أتمناه..

_ نادين، تعلمين أن هذا لن يدوم طويلا، سيعلم بهذا عاجلا أم آجلا.

_ لا أعرف يا كريس، حقا لا أعرف.

_ حسنا، هل فكرت فيما عرضه عليك الطبيب؟ هل ستكونين طبيبته النفسية الخاصة؟

_ لا حل آخر، يقولون أن وجود شخص من ماضيه وتبادل الحديث معه قد يفيد في شفائه، لكنني..

_ لكنك لم تستطعي أن تنسي أليس كذلك؟

_ أجل، اعترفتُ، في كل مرة أحاول فيها أن أقنع نفسي بأنه ربما يستحق فرصة أخرى، وخاصة بعد ما حصل معه أتذكر ما فعله بي..
_ فارس لم يكن أبدا شخصا سيئا، فقط الظروف هي ما أجبره على التغيير..

_ حسنا، لكن هذا لا يمحو أخطائه المتكررة، أصبح الخطأ عادة لديه، أنتما تعلمان كل ما حدث، ألسنت محقة في اتخاذي لموقف ضده كل هذه المدة؟

_بلى عزيزتي، مئة في المئة، لكن ربما قد حان وقت الغفران وبدأ
صفحة جديدة فأنتِ تستحقينها، ألا تعتقدين ذلك؟ خاصة وأنتِ..
_إياك يا كريس ! إياكِ أن يعلم بذلك، سبق وأن تحدثنا بهذا.
_حسنا إذن ، ومع ذلك يجدر بكِ التفكير في الأمر من كل النواحي
الأمر سيبدو أكثر فأكثر مع الوقت وفارس هنا بعد الآن، هل هذا
مفهوم؟
ابتلعت ريقها وأومات بالإيجاب، الجميع يخبرها بما تعلم به مسبقا
ولا أحد يفهمها..

في تلك الليلة بينما الجميع نائم..

مرميا على أرضية صلبة يحاول فتح عينيه، لا يرى حوله إلا الظلام وبقايا أشعة الشمس التي تتسلل عبر قضبان النافذة الحديدية لا يدري من هو وأين يكون، قطع تفكيره أولئك الجرادون، إنهما نفس الشخصين، أخذا يجزانه بوحشية إلى الخارج ورمياه في تلك الساحة المشهورة، أركعاه بقوة ووضع رأسه على ذلك الجسم الحديدي، وقبل أن يهوي الرجل بسيفه على عنقه سمع الجملة المعتادة "إنه الجزاء يا داميان.." لكنه هذه المرة رأى وجه المرأة التي رآها في المرة السابقة، لكنها واضحة كالشمس هذه المرة ، كانت تنظر إليه باكية وكأنها تريد إخباره بشيء ما، لكنها وللأسف لم تستطع..

فتح عينيه بطريقة عادية ، لا يشعر بالشعور الذي كان يلزمه كل ما رأى هذا الكابوس، إنه يعرفه جيدا، لكنه اليوم بدا وكأنه حقيقي أخذ نفسا عميقا، ثم تذكر أنه ليس في أرض قدر الشمس، بل وليس في عصره إطلاقا، تذكر ذلك الشيء الذي يسمى هاتفا فتفقدته ، تعلم قراءة الساعة الرقمية، إنها قاربت الثانية بعد منتصف الليل..
_إنه نفس الوقت الذي بدأ فيه كل شيء، كل شيء حدث بسبب هذا الكابوس اللعين ، لكم أتمنى أن أعرف تفسيره..

وضع الهاتف مكانه وأغلق عينيه مجددا، عله يستيقظ في اليوم التالي في قصره وزوجته بجانبه، في مملكته..

تذكر مجددا مصيره الذي كان ينتظره في قدر الشمس..

_ربما كان هذا التغيير في صالحه، ماذا لو أعطت أماريليس ذلك اليوم التعليمات بأن يتم إعدامه حقا، ربما كنت ميتا الآن، ترى كيف

وصلت إلى هنا ؟ هل تراني أحلم ؟ هل هي حياة أخرى أعيشها بعد الموت ؟ أم تراني عبرت حقا عبر الزمن ؟ لا يمكن للعقل أن يستوعب ما يحدث معي، التطور هنا لا يعقل، راح يحدث نفسه في ارتياب مستمر، ثم استسلم للنوم مرة أخرى، حائرا تائها غريبا وسط أناسٍ "لا يعرفهم".

صباحا..

ذهبت نادين إلى عيادتها الخاصة، ألغت ذلك اليوم جميع مواعيدها، أخيرا سوف ترى فارسا يقف أمامها حيا يرزق على قدميه بعد أن ظنت أن إمكانية شفائه مستحيلة، هاهو يفاجئها كما اعتاد أن يفعل، علمت بالفعل أن فارسا قد وصل إلى العيادة وهو في انتظارها ليبدأ جلساته العلاجية.. لحظة وصولها تناقلت خطواتها فجأة، والسبب معروف، تعلم أنه لن يتذكرها في كل الأحوال، لكن أن تقابل الرجل الذي لطالما أحبته بعد خمسة أشهر من الفراق أمر مرعب بالنسبة إليها..

بالإنجليزية..

_دكتورة، السيد فارس وص، رأيت أن من الأفضل أن أدخله إلى مكتبك ريثما تصلين..

_أنا على علم يا لورين، سأهتم بالأمر لا تقلقي.

دخلت إلى غرفة مكتبها أين كان جالسا دون فهم على الكرسي المخصص للمرضى، نهض عند رؤيتها وتقابلا وجها لوجه..
وقفت مكانها، لم تستطع التفوه بكلمة واحدة ، قلبها ينبض بسرعة وكأنها تراه لأول مرة !

أما بالنسبة له، فرد فعله لم يختلف كثيرا على رد فعلها، لكن السبب لم يكن نفسه، لم يستطع تصديق الشبه الكبير بينها وبين أماريليس، نفس العينين العسليتين، نفس الشعر البني، لكنه ليس طويلا كشعر أماريليس، لا يكاد يتخطى كتفها، نفس القوام، نفس تلك النظرة التي كان يراها في عيني حبيبته، نفس الشخص كان يقف أمامه ولكن في عالم آخر..

_ أماريليس ! قال دون أن يشعر..

لوهلة ظنت أنه تعرف عليها، لكنه لم يفعل..

_ عفوا؟

عاد إلى وعيه..

_ أعتذر، فقط وجهكِ ذكرني بشخص ما لكن.. لا عليكِ، أرسلني

طبيبي الخاص لمزاولة ما يسمونه ب.. لم يتذكر ما اسم ذلك.

_ الجلسات العلاجية ، قالت.

_ أجل، هذه هي، شكرا..

تحركت من مكانها أخيرا متجهة إلى مقعدها..

_ حسنا، اجلس من فضلك ، ثم أضافت متظاهرة بعدم المعرفة:

إذن ، سيد فارس، أخبرني الطبيب أنك كنت في غيبوبة لمدة خمس

شهور تقريبا ، لكنك استيقظت منذ فترة قريبة، ما رأيك في هذا؟ هل

تعتقد أن ما مررت به منطقي؟

_ وما رأيك أنتِ بهذا؟

_ عفوا، ماذا تقصد؟

_أنا لا أعلم إن كان ما أمر به أمرا منطقيا أم أنها مزحة ثقيلة من
القدر، لا أعلم شيئا على الإطلاق، سألتك ماذا تعلمين أنت؟
شعرت وكأنه يعرف شيئا ما، وكأنه يواجه الكلام لها خصيصا..
_وما الذي قد أعلمه أنا عنك ؟ لقد تعرفنا للتو.

أحس وكأنه لا يستطيع مجابهة كل هذا ، لا يعرف حتى ما الذي
يخرجه من فمه، ولا ما يفعله مع امرأة "تعرف" عليها منذ دقائق
،فهمت نادين أنه يعجز عن البوح بما يريد، وإنه يواجه صعوبة في
إبداء ما يرغب به، وأن ما حوله بعد غيابه بات يشعره بالغيرة، طبعا
فهذا عملها ، القراءة ما بين السطور ..

_سيد فارس، أعلم أن هناك ما تخفيه عن الجميع هنا ، كل ما
ستقوله لي لن يخرج عن جدران هذه الغرفة ، بإمكانك الوثوق بي .
ضحك باستهزاء..

_الثقة؟ هلا أخبريني كيف لي أن أثق بك؟ أو بأي أحد هنا ؟ في
عالم ليس بعالمي حتى!

_ماذا تقصد بعالم ليس عالمك؟ هلا وضحت لي هذه النقطة.
_وما الذي سيتغير إن شرحت لك الأمر؟ ، لن تصدقيني في كل
الأحوال.

_ما الذي جعلك تعتقد أنني لن أصدقك؟ الحكم على شخص لا
تعرف عنه شيئا تصرف متهور جدا.

ذاق ذرعا مما يدور حوله فقرر أن يعترف لها ، لا يعلم لماذا شعر
بالرغبة في شرح نفسه لها ، حتى وإن كان الشبه بينها وبين أماريليس
لا يسمح له بالتركيز..

_حسنا، سيدة..

_نادين، أنا نادين.

_أجل ، سيدة نادين، بما أنك تريدين معرفة ما أخفيه عن الجميع منذ لحظة استيقاظي هنا، على الرغم من أن هذا قد يبدو من الجنون..

_ الحديث هنا متاح بجميع الطرق، يكفي أن تخبرني بالحقيقة وأن لا تخفي شيئاً.

_مبدئياً اسمي ليس فارس، أنا أدعى داميان ولم أكن أعلم شيئاً عن عالمكم هذا، ولا أعتقد أنكم تعلمون شيئاً عن عالمي.. تحزيت عن هذا باستخدام الجهاز الذي تسمونه "تافها" ولم أجد شيئاً يذكر عن بلدتي..

ضحكت دون أن تشعر..

_ما الأمر؟ لماذا تضحكين؟

_تقصد الهاتف، وليس "التافه"، تلك كلمة لها معنى مختلف تماماً..

_فليكن، ما يهم هو أنني لم أجد كلمة واحدة تتحدث عن موطني.

_وما اسم بلدتك؟

_أرض قَدَرِ الشمس وهي مملكة ، كنت في الماضي أميرا وكانت لدي زوجة تدعى أماريليس ، وهي ابنة الملك وكنا على وشك الانفصال..

انتفضت من مكانها حين سمعت اسم أنثى أخرى..

"زوجة ماذا التي يتحدث عنها أمام زوجته الحقيقية؟"

تمت.

_لديك زوجة ؟

_أجل أماريليس ، وهي جميلة جدا ، ابتسم بعفوية ، حتى أنها تشبهك كثيرا ، أشار إليها بحركة من يده ، عندما دخلت اعتقدت للحظة أنك هي..

شعرت أن هناك أمرا منطويا نوعا ما في أن يتخيل زوجته تشبهها ..فراحت تجاربه في "خياله" بكل جوارحها..

_هل تشبهي حقا؟

_أجل ، بشكل لا يصدق ، نفس العينين ، نفس لون الشعر ، لكنه أطول بقليل ، نفس الشفتين ، ونفس النظرة..

لم تنتبه في تلك اللحظة إلى أنها بالغت في إبداء رد فعلها فأفسحت مجالاً لدمعة أن تنزل على خدها لا إراديا ، فاستغرب هو ذلك..

_سيده نادين ، أنت بخير؟

استفاقت أخيرا مما كانت فيه وانتهت لدموعها فمسحتها فورا..

_أنا آسفة ، أشعر فقط بمدى صعوبة هذا عليك ، تابع من فضلك..

_أنا وزوجتي عشنا الكثير من المشاكل في الفترة الأخيرة ، انهممتُ بالقتل ، طبعاً مع وجود أدلة زائفة صدقت هي الأمر ، كما شككتُ في خيانتها لي مع ابن عمتها ، وهو الذي تم قتله ، كانت هي الأمرة النهائية في قدرِ الشمس ، يوم محاكمتي أتت إلي مرتين ، وحاولت في المرة الثانية أن تخبرني بشيء ما لكنها تراجعت في آخر لحظة ، ذلك المساء أمرت بإعدامي ، لكن في تلك الليلة وقبل أن يتم إعدامي دلف إلى الزنزانة طبيب ، أخبرني عما حصل في الخارج وعن الأمر الذي قررت زوجتي

إخفاءه عني في ساعاتي الأخيرة، لم يسمح له ضميره أن يُخْفَى عني شيئاً كهذا..

_وما هو الشيء الذي أخفته عنك "زوجتك"؟ سألت وكان الفضول يأكلها..

_أماريليس كانت حاملا، حتى الآن لا أصدق كيف استطاعت إخفاء الأمر عني ورغم ذلك أمرت بإعدامي، بإعدام والد طفلها ، طفلي أنا ولي عهد مملكة قدر الشمس.

تجمد الدم في عروقها إثر آخر جملة قالها، يقول أن زوجته حامل وكأنه..

_إذن ، كيف وصلت إلى هنا؟ قالت مغيرة الموضوع.

_هذا ما لا أفهمه حتى الآن، وما لا يستطيع أحد مساعدتي عليه، لا أحد يعرفني هنا ، بعد مغادرة الطبيب للزناينة تلك الليلة وقيل منتصف الليل بدقائق أتاني شخص ملثم، يحمل على كتفه الأيمن غرابا أبيضاً، قام بقتل الحارسين أمام الباب، وحين وصل إلي حاولت الدفاع عن نفسي، لكنه قام بطعني أنا الأخر طعنات متتالية ثم غادر الزناينة تاركا خلفه الغراب ، وقعت أرضاً أتلوّى من الألم، لكن ذلك الغراب العجيب اقترب مني ووضع منقاره على إحدى قدمي، وظل على تلك الحال لمدة كنت أشعر فيها أن ألمي بدأ يخف تدريجياً، ثم رفع منقاره أخيراً وتراجع إلى الخلف فإذا بلونه يتحول إلى الأسود، لكنني في تلك اللحظة لم أستعد وعيي كما توقعت أن يحدث، بل خارت قواي أكثر فأكثر وشعرت برغبة في النوم ، وأغمي علي بعدها بثوانٍ، لأفتح عيني هنا وأثار الطعن مختفية تماما، وكأنني بُعثت من جديد!

_ ما حدث معك مثير للدهشة ! ولكن لماذا ساعدك الغراب الأبيض
على الرغم من أن صاحبه كان ينوي قتلك؟
_ لا أدري، أعتقد أنه كان يعرف أنني بريء وأني سأموت ظلماً، أنا
مدين له بحياتي.

_ ألم يحدث معك شيء آخر غير هذا، داميان؟
سَرَتْ الطمأنينة في قلبه عند سماعه لها تناديه باسمه، فقد
اشتاق لسماع اسمه من شفاه الآخرين منذ أن وصل إلى هنا..
_ شيء مثل ماذا؟

قالت مستغلة الوضع:
_ أقصد، ذكريات من نوع آخر، ربما في عالم غير "قدر الشمس"
أوربما مع امرأة أخرى غير أماريليس؟
_ كلا، أجب بحق.. أنا لم أغادر بلدي منذ ولادتي كما أنني لم
أحب إحداهن كما فعلتُ مع زوجتي أبدا .

_ أرى ذلك ، اعذرني على تطفلي داميان ، كيف حدث وأن أصبحت
متزوجاً من تلك المرأة؟

_ كما أخبرتكِ، لقد كانت الابنة الوحيدة لملك البلدة ، وكنا نعمل
سويا ، ولأكون صريحاً أكثر لم تكن نحب بعضنا في البداية ، بل وكرهنا
بعضنا كرها شديداً !

_ حب وحرب.. قالت
_ هذا صحيح، لكنني لستُ نادماً أبداً على تغير الوضع، لو لم يحدث
ما حدث معنا لربما كنا سعيدين جداً سوياً، لو لم تتهمني بالقتل، لو
لم تخني مع ذلك الأبله..

كان بدنها يقشعر كلما كانت تتردد إلى مسامعها كلمة خيانية ، لكنها لم تكن تبدي ذلك ، إنه يستمد أحداث ما يرويها مما عاشه سابقا..

_هل أنت متأكد من خيانتها لك؟

_مع وجود كل تلك الأدلة ضدها كان إنكارها أمرا لا فائدة منه،

رأيتُ كلَّ شيء بعيني !

_حسنا، أخبرتني أنهم قد اتهموك بالقتل ونصبوك الكمين بحرفية

ألا تعتقد أنهم فعلوا ذلك أيضا مع أماريليس؟

_فكرتُ في هذا، لكنني في تلك الفترة لم أكن قادرا على التفكير

بحكمة، لقد كنت على شفا حفرة من الموت كما أن الأفكار السوداء

لم تفارقني قط..

ظلت صامتا تتابع قصته بتمعن ، تجاربه في الحديث فقط لتفهم

ما قصة هذه الحالة التي وقع فيها، إنها حقا لا تجد الكلمات المناسبة

التي يجب أن تقولها، ترغب في البكاء والتحسّر على حالها وفي الضحك

على غرابة ما يحصل، منذ شهور وهي تصلي لله كي يعيد الصحة

لزوجها على الرغم من كرهها له ، رغم كل ما فعله بها ، وحين تحقق

ما كانت تتمناه لم يتذكرها ، بل ونسب نفسه إلى مكان آخر، بل وإلى

امرأة أخرى، إنها سخرية القدر..

_حضرة الطيبة عليكِ مساعدتي، علي أن أعود إلى مملكتي زوجتي

وابني في حاجة إلي، الجميع يعتقد أنني مذنب وأنا لست كذلك علي

إثبات العكس قبل فوات الأوان، هل ستساعديني؟

لا تزال تنظر إليه في شرود والدموع متجمعة في عينها، تكاد تسكب

عليه كأس الماء الموجود على المكتب لعله يستفيق من حلمه، تجمعت

طاقة سلبية بحجم الكوكب داخلها ، ازدردت ريقها بصعوبة بينما لا يزال هو يحملق في وجهها منتظرا ما ستعلّق به ، لكنها لم تفعل نهضت من مكانها فجأة :

سيد فارس ، أقصد داميان ، لقد انتهت جلسة اليوم ، ستحدد لك مساعدتي موعدا آخر..

_لكنني..

_من فضلك ، من الأفضل أن نتابع الجلسة في وقت آخر ، أرجو المعذرة..

ثم خرجت من المكتب بسرعة ، العيادة ، الشارع ، سيارتها ، مباشرة إلى بيتها ، لا تشعر أنها بخير وكل ما تريده هو الانهيار في المنزل والبكاء مرتدية أكثر ثيابها راحة مع فنجان من الشاي الأخضر ، ثم إخبار كريستينا بما حدث ، فلا أحد سواها قد يفهمها ..
بالنسبة له فقد تعجب مما حصل معها للتو..

_أعتقد أن الجميع مجنون في هذا العالم الغريب .. قال

نهض من مكانه متجها إلى الباب فتوقف فجأة.. شعر بدوار في رأسه تلاه تسارع في نبضات قلبه ، اقشعر بدنه ، أحس بتضارب في الأحداث يمر في مخيلته..

"امرأة تصرخ وتدفعه إلى الوراء ، لا يستطيع تبين ملامحها ، تبكي وتسقط أرضا ، خائن! لا أريد رؤيتك مجددا! تقول ، يغمض عينيه من شدة ألم رأسه وما يراه ، اسمعيني أولا أرجوك ، لا أريد سماع شيء أيها الخائن! دعني وشأني ، حبيبتي اسمعيني! ، تدفعه مجددا ، إياك ومناداتي هكذا مجددا! ، فلتذهب إلى الجحيم ومعك عشيقتك

اللاتينية ! تحمل الحقائب وتغادر البيت ، لم يستطع تحمل ذلك الألم
الفضيع فأرعى يديه لا إراديا ، وسقط على الأرض مغميا عليه.

في المشفى..

فتح عينيه بصعوبة، ووجد نفسه في المشفى مرة أخرى، أصبح
معتادا على هذا المكان، اعتدل في جلسته ليجد الممرضة ذات الشعر
الكستنائي تنتظر استيقاظه ..

_ لا داعي للاستغراب سيد فارس، لقد حدث وأن وقعت مغميا
عليك في عيادة الطبيب نادين وتم إحضارك إلى هنا، ونمت بعدها
بفعل المهدئ .
نادين..

تذكر كيف خرجت من العيادة فجأة وتركته في منتصف الجلسة،
بل وفي بدايتها ، وهو لا يزال يجهل السبب ، صورتها وهي تنظر إليه
بتلك الطريقة لم تفارق باله.

_ أتذكر أنني شعرت بدوار وألم قوي في رأسي ثم..
ثم ماذا؟

_ لا أدري بالضبط، إنه شيء عصي عن الفهم ، كأنني شخص آخر..
_ ما المقصود بشخص آخر؟

_ لا أعلم، رأيت أحداثا لم أرها من قبل ، لكنني شعرت أنها حقيقية
كأنني عشتها حقا !

_ ربما يكون هذا طبيعيا بالنظر إلى حالتك، هل تريد أن أخطر
الطبيب بهذا الأمر؟

_ كلا ، لن يكون هذا ضروريا..

_ سأغادر ما دمت قد استيقظت، هل تحتاج شيئا آخر؟

_ كلا يا.. ترى ما اسمك؟

_ "ياسمين".

_ حسنا، ياسمين، شكرا لك، لا أريد منك شيئا.

ظل يحملق في الفراغ بعد مغادرة الممرضة لمدة، ثم خطرت بباله
فكرة..

لدى نادين ذلك المساء..

منذ أن عادت من العمل بعد مقابلة فارس وهي تفكر في نفس
الشيء، حاولت إلهاء نفسها قدر المستطاع لكي تنسى قليلا، أخذت
تعيد ترتيب الكتب في رفوفها، شاهدت فيلمها المفضل
The Notebook للمرة الخمسين، قصة كئيبة وحزينة تناسب
مزاجها الحالي تماما، وها هي الآن في المطبخ منذ ساعة تحضر تحليتها
المفضلة "التيراميسو" على الطريقة الإيطالية، بالإضافة إلى معكرونة
بيضاء مع صلصة البيشاميل للعشاء، مع طبق بسيط من سلطة
التفاح والموز الممزوجين مع الفلفل الأخضر والطماطم، على الطريقة
الأمريكية التي علمتها إياها كريستينا منذ سنوات، ذلك أن العجوز
كريستينا أمريكية لكنها جاءت لتعيش في لندن بعد أن وقعت في حب
سايمون، ليقرر الزواج بعدها مباشرة، وهما على تلك الحال منذ أكثر
من ثلاثين سنة، على الرغم من سفر ولديهما مايكل وأوليفر إلى فرنسا
للدراسة والعمل، فإنهما لم يشعرا أبدا بالوحدة، ذلك أن نادين
وفارس كانا أنيسين لهما على مر السنوات، كريستينا ستتناول العشاء

معها هذا المساء، ظنت أن هذا سينسبها قليلا ، لكن نفس الموضوع لا يزال يشغل بالها..

تذكرت كم أمضت من الوقت مع فارس يتشاركان الطبخ سوية، تذكرت كم كانا يتنافسان حول "من أفضل طبخ بينهما"، وتذكرت كذلك كم كانا سعيدين قبل أن يدمرها بما فعله بها ، قبل أن يفسد بيديه كل شيء..

_يجدر بكِ الاعتراف، طعامك سيئ، فارس يطبخ أفضل منكِ بكثير.. قالت لنفسها

_ لا أزال لا أستطيع النجاح في شيء بدونه!

أحدهم يدق الباب..

_لا بد أنها كريس، قالت.

بعد أن فتحت الباب خاب ظنها، ليست كريستينا من جاءت

تجمدت مكانها..

_ماذا؟ ألن تدعيني للدخول؟

لاتزال تنظر في عدم فهم..

_كيف عرفتَ عنوان منزلي؟

_لنقل أنني استعملتُ سلطتي كأمرير في بلدتكم ، لقد بقي حديثنا

هذا الصباح في منتصفه ، علي معرفة بعض الأمور..

شعرت أنه لا خيار أمامها سوى مجاراته كما طلب منها الطبيب،

فبعد أن صرف الممرضة ، أخرج الهاتف الذي لا يزال يراه "عجيبا"

لقد علّمته تقريبا كيفية استخدامه ، فدخل للمتصفح وقام بكتابة

الحروف بحذر خوفا من أن يخطئ، قام ببحث حول عيادة نادين،

أين وجد فيها معلوماتها الشخصية: حسابها على الفيس بوك، البريد الإلكتروني، رقم هاتف المكتب، وعنوانين: الأول خاص بالعيادة بالإضافة إلى عنوان ثانوي، على الأغلب خاص بمكان إقامتها، وعلى الرغم من أنه لم يكن متأكدا من ذلك إلا أنه قرر المجازفة، أعطى العنوان لسائق التاكسي بصعوبة واضحة في التعامل وانطلق إليها..

أفسحت المجال له للدخول ثم تبعته إلى غرفة الجلوس..
_تود شرب شيء؟ قالت من باب اللطافة ، مع أن قلبها على وشك القفز من مكانه..

_لا ، شكرا، لن آخذ من وقتك الكثير.
_أنا أسمعك إذن..

_منزل جميل ، يشبه غرفتي في بعض التفاصيل..
" أليس هذا لأنك شاركت في تنظيمه بنفسك يا ترى؟ "
قالت لنفسها
_شكرا.

_ذوقك جميل في اختيار الأثاث أيضا ، أنت من رتبته هكذا؟
_كلا ، إنه، زوجي، قالت على مضض.
نظروا كأن أمله خاب..

_لم أكن أعلم أنك متزوجة ، وإلا لما جئتك في هذا الوقت..
_لست كذلك بعد الآن، أقصد .. ليس بمعنى الكلمة، أعني..
ظل ينظر باستفهام..

_دعك مني الآن، ما الذي جئت لأجله؟

_حسنا، ألا تعتقدين أن ما يحدث معي خارج عن المعقول؟ أشعر
أنك تعرفين شيئاً ما..

صامتة تنظر إلى الأرضية..

_أعلم أنك تعتقدين أنني مجنون، لكنني .. أشعر أنني أعرفك من
مكان ما..

_أخبرتني أن زوجتك تشبيني.

_لا علاقة لهذا بزواجي ، جميع من صادفتهم هنا لهم بعض من
الشبه في أبناء بلدي، لكن بالنسبة إليك..

ظلت تنتظر أن يتم جملة، هل يعقل أن يتذكرها؟

_حين كنا في العيادة وبعد أن غادرت حدث معي أمر غريب شعرت
وكأنني أرى أحداثاً حقيقية .

_أحداث مثل ماذا؟

_رأيت امرأة حزينة، تخبرني أنها لا تود رؤيتي وأني خيبت أملها
كانت تحمل حقائب على الأغلب خاصة بالسفر وتغادر المنزل ، أعتقد
أنه يشبه منازلكم هذه نوعاً ما، لم أتبين ذلك جيداً، حاولت منعها
لكنها لم تأبه لأمرى..

"بل إنه نفس المنزل أيها الأبله ! " تحدثت نفسها مرة أخرى ..

ظلت تراقبه دون كلام ، مزيج من الحزن والسعادة أحاط بها، إنه
يتذكر، لكنه لا يتذكر إلا ذلك اليوم الذي تغير فيه كل شيء نحو
الأسوأ..

_وماذا تعتقد أنت بخصوص الذي رأيته؟

_ لا أدري ، قلبي يخبرني أنه السبب في ما أنا فيه اليوم ، لكنني لا
أزال أرغب وبشدة في العودة إلى عالمي ، إلى حيث أنتي حقا..
أمسك بيدها ونظر إليها فجأة..

_ نادين ، أشعر أنك خلاصي الوحيد في هذا العالم ، يجب أن
تساعديني.

لا تزال تحديق به دون أن تقول كلمة ، هي لا تبكي بسهولة في العادة
لكنها تشعر أن دموع العالم تجمعت في عينيها في تلك اللحظة، لماذا
يطلب هذا منها هي بالذات؟

أيعقل أن تمتحنها الحياة بهذه الطريقة؟
_ أخبريني ، هل ستساعديني؟

لم يكمل كلامه، أفلت يديها فجأة ، نفس الدوار اعتلاه ثانية ذات
الألم الفظيع في رأسه، والأحداث لا تزال تتضارب في ذهنه..
_ فارس ، أنت بخير؟ قالت أخيرا .

"يرى حفلة، في مكان ما يعرفه ، مهلا، إنه نفس المنزل الذي يتواجد
فيه بلا شك، حوالي عشرة من الأشخاص مجتمعون حول طاولة
ثيابهم غريبة، علامات السعادة باقية على وجوههم، يغنون أغنية إنه
عيد ميلاد أحدهم ، وهو يقف بجانب امرأة ، نفس المرأة التي رآها
وهي تبكي ، هي الآن سعيدة، أمسك بنهاية رأسه من شدة الألم اقشعر
بدنه من جديد، وشعر بالحرارة تجتاحه. هذه المرة لم يغم عليه ،
دقيقة مرّت ، ثم بدأ الألم يتلاشى تدريجيا، أين بدأ يفتح عينيه شيئا
فشيئا .."

_ فارس ، هل تسمعي؟

نظر إليها بشكل معمق، في كل تفصيل في جسمها، من شعرها حتى أخمص قدميها، حتما كانت هي التي يراها في مخيلته، هي تلك المرأة التي كانت تعانقه، لم يعد يفهم شيئاً مما يدور حوله ، وكأنها لعنة أصابته ولم يستطع التخلص منها..

_ من أنتِ؟ قال بغير تصديق، أنا أراكِ في خيالاتي المستحيلة، هذا لا يعقل !

ثم نهض من مكانه ولم يدع لها فرصة لتجيبه عن سؤاله، خرج مسرعاً من هناك، عليه تصفية ذهنه بعيداً عنها وإلا سينفجر عقله عما قريب..

بالنسبة لنادين فلم تتحرك من مكانها ، قلبها كان يتوسل إليها أن تذهب خلفه وتبوح له بكل شيء ، لكن عقلها كان يأمرها بأن لا تعقد الأمور أكثر، وأن تتصرف بعقلانية وأن تفكر في مصلحته قبل كل شيء وكان عقلها سيد الموقف، أغلقت باب غرفتها على نفسها وأجهشت بالبكاء..

بالإنجليزية..

_ ألو ، كريس .

_ نادين ، أعتذر عن التأخر، سأكون عندك في غضون نصف ساعة

_ كريس أنا..

_ ما الأمر؟ هل أنتِ تبكين؟

_ أنا مرهقة ، لا أشعر أنني بخير.

_ ما الذي يحدث يا صغيرتي؟

_ لقد كان هنا ..

_عمن تتحدثين ؟

_فارس ، لقد أتى إلى المنزل منذ قليل ، لكنه لا يذكره ، علاوة على هذا يريد مني مساعدته ليعود إلى عالمه السابق.

_عن أي عالم تتحدثين ؟ تعلمين جيدا أن كل هذا عبارة عن توهمات ، عالمه معك أنت ، لا يجدر بك أن تفقدي ثقتك بهذا ..
_أعلم ذلك ، لكنني لا أستطيع تحمل أي من هذا ، لا أستطيع أن أنسى ما فعله بي في السابق ، بالإضافة إلى أنه ينسب نفسه إلى امرأة أخرى ، يقول.. يقول أنها حامل !

_أوه ، هل يعقل أن..؟

_هذا احتمال مستبعد ، لكنني متعبة من كل ما يحدث ، حقا..
_هوني عليكِ صغيرتي ، توقفي عن البكاء الآن فالأفضل لم يأت بعد اسمي ، أنا وسایمون نتسوق الآن ، نتحدث حين آتي ، اتفقنا؟
وانتهت المكالمة. لكن أحزانها لم تفعل، فواصلت بعدها نوبتها البكائية في قلة حيلة.

في المشفى تلك الليلة..

بينما أوشك الطبيب المشرف على فارس على الخروج من مكتبه
مغادرا طُرقَ بابهِ..

_دكتور، السيد فارس هنا، يريد مقابلتك.

_أدخله من فضلك..

ثوان معدودة..

_حضرة الطبيب ، أخبروني أنك في انتظاري.

_أخبرتني الممرضة أنك غادرت المشفى منذ ساعتين تقريبا دون

أخذ إذن .

_أنا..

_سيد فارس، أنت لا تزال تحت المراقبة الطبية ، كونك في صحة

بدنية جيدة لا يعني أنك سُفِيتَ تماما ، ثم إنك لا تتذكر المدينة، لا

يمكن التنبؤ بما قد يصيبك في الخارج ، أرجو ألا يتكرر هذا.

_لقد زرت الطيبة نادين هذا المساء ، لم أذهب إلى مكان آخر.

_هكذا إذن ، وكيف قمت بذلك؟

_لقد طلبت من أحد سائقي تلك المركبات الصفراء العجيبة أن

يُقِلني بعد أن أريته العنوان من الهاتف، ولأنه لم يفهم كلمة مما كنت

أتفوه به لم يطلب مني مالا.

_تقصد سيارات الأجرة ، وما الذي أردته من الطيبة؟

_أردت أجوبة للأسئلة التي تدور في رأسي ، شعرت أنها تعلم شيئا

ما، فتبعته إحساسي..

_وهل شعرت بشيء حين رأيتهما؟

_ شيء مثل ماذا؟

_ أقصد، هل تبدو لك نادين مألوفة؟ ألا تذكرُك بشخص من ماضيك؟

_ بلى ، أشعر بشيء غريب عند رؤيتها ، وحين أقترُب منها تأتي الكثير من الأحداث المتضاربة إلى ذاكرتي ، ويصيبني دوار.

_ هذا ما قصده بالضبط ، لقد بدأت تستعيد ما حدث معك سابقا ، ربما كانت فكرة العلاج النفسي جيدة بالنسبة إليك.

_ لكن هذا غير ممكن أيها الطبيب، أعلم جيدا أنني لا أنتهي إلى هنا، وأنني لست منكم ، أنا داميان، وأنا أمير نولاني، بلدتي هي قدر الشمس ولا أعلم كيف وصلت إلى هنا، لغتكم غريبة، وملابسكم أيضا ، كما لديكم ذلك الشيء العجيب الذي يسمونه هاتف، تركبون مركبات عجيبة بدل العربات، ولديكم عالم افتراضي اسمه "الانترنتين"

_ بل اسمه الإنترنت.

_ مهما يكن، هذا غريب بالنسبة إلي، لا أفهم ما ضرورته على كل حال ، الرسائل الورقية أفضل بكثير، هل يعقل أن أكون قد سافرت عبر الزمن ؟

ابتسم الطبيب ..

_ هذا ما تعتقده؟

_ نسبيا نعم ، ربما قفزت داخل فجوة زمنية وبشكل ما وصلت إلى عالمكم، أنتم متقدمون بشكل لا يستوعبه العقل !

_ في هذه النقطة بالذات أنت محق ، فنحن في مدينة من أكثر المدن
تقدما في العالم.

_ مالا أفهمه هو أنك أنتَ ونادين تتكلمان العربية مثلي، بالإضافة
إلى تلك الممرضة ، لستم تتكلمون مثل سكان هذه المدينة ..

_ هذا طبيعي ، أنا ونادين ننحدر من دول عربية، وتلك الممرضة هي
صديقة لي ، وهي عربية كذلك ، لكن الجميع هنا أجنبي، لو لم نكن
هنا لكنت قد واجهت مشكلة كبيرة حقا في التواصل معهم.
_ هل هذه صدفة برأيك؟

_ على كل حال هي حقا ليست مجرد صدفة، بإمكانك التأكد من
هذا ، لكن كبداية ستواصل جلساتك العلاجية ، سيكون هذا دافعك
لتجد الجواب على كل اسئلتك، أهذا واضح؟

_ ليس واضحا حقا لكن.. فليكن، لا حل آخر بين يدي ، أجب.
عاد بعدها إلى غرفته، أخذ حماما سريعا ثم ارتدى على سيره،
غارقا في أفكاره وتساؤلاته ..خطرت على باله أماريليس، ترى ما الذي
تفعله في تلك اللحظة؟ هل ابنه في صحة جيدة؟ ربما هي لا تزال حاملا
أوربما قد أنجبت ، ماذا لو كان ذلك الطفل من ابن عمها وليس

مني ؟ لا أعتقد هذا ..لا يدري كم من الزمن مرّ بالضبط منذ أن
غادر بلدته، خطرت على باله مجددا نادين ، المرأة اللغز ، الشبه بينها
وبين أماريليس لا يصدق ، اعترف لنفسه أنه شعر بشيء حين رآها
تذكر عطرها ، أحس بأنه مألوف، إنها تختلف عن جميع من قابلهم
هنا ، لا يعلم لماذا كان يريد رؤيتها ثانية وفي تلك اللحظة..

_ ترى من أنا ؟ قال ساخرا من نفسه.

أغمض عينيه مستسلما لـ"مورفيوس"، ربما سيأخذه أثناء نومه إلى أرض قدر الشمس، ربما ينتهي كل هذا هذه الليلة، لكنه لم ينته، عوضا عن ذلك راح خلال نومه يرى حلما، أو ربما ذكرى .. مورفيوس: هو إله النوم والأحلام قديما عند الإغريق.

" في غابة كبيرة جدا ، تحيطها الأشجار العالية من كل صوب تسمع فيها أصوات العصفير أينما ذهبت ، المكان خالي من الناس نوعا ما ، الأرض اكتست بحلة بنية اللون تكومت عليها أوراق الشجر المتساقطة ، إنه يعرف هذا المكان ، ربما تلك غابة رامبا ، ربما عدت حقا إلى قدر الشمس ، كلا .. بل إنها غابة Elmstead Woods ، أقرب الغابات إلى مدينة لندن ، هناك رجل يمشي يحمل حقيبة على ظهره مهلا ، هذا أنا ، كانت هناك امرأة بجانبني ، ترتدي معطفا أسودا قصيرا وترتدي قبعة شتوية وتحمل حقيبة على ظهرها هي أيضا ، لا بد أنها أماريليس ، إنها تشبهها كثيرا ، لكن شعرها البني قصير! لقد رأيت هذه المرأة من قبل..

_فارس ، لنتوقف قليلا ، لقد مشينا مسافة طويلة وأشعر بالتعب قالت وهي تلهث.

_أرى أنك استسلمت بسرعة ، هل أذكرك بأنك أنت من أصر على أن نقوم برحلة برية؟ أم أنك تراجع؟ سأل ضاحكا.

_هل تسخر مني ؟ بالطبع لم أتراجع.

_هل يعقل أن أسخر منك يا عزيزتي؟ هل ترغبين في العودة إلى

المنزل ؟

_هل جننتَ ؟ لم أقطع كل هذه المسافة كي أعود إلى البيت، قالت وهي تتخذ من ظل أحد الأشجار مكانا لها.

_فأرس ..

_أجل ؟

_هل ترى تلك العصافير هناك؟

_نعم ، ما بها؟

_أيعقل أن تكون قد اختارت أن تطير في السماء بدل أن تعيش على الأرض عمدا؟ ماذا لو أنها كانت تعلم عن الأرض شيئا لا نعلمه نحن البشر؟

استغرب من براءة سؤالها ، اقترب منها وجلس إلى جانبها تحت الشجرة..

_هناك أسطورة قديمة يا جميلتي تقول أن الطيور ترمز إلى الروح وقدرتها على مفارقة البدن لحظة الموت، القدماء كانوا يصورون الروح على هيئة طائر برأس بشري، وعندما تنفصل الروح عن الجسد لحظة الوفاة تظل الطيور تحوم حول الجثة حتى تحمها من التحلل إلى أن تعود إلى البدن مرة أخرى..

_لكن هذه تبقى تخيلات فحسب، لا شيء منطقي فيها.

_هذا أكيد، لكن المعنى في هذا .. هو أن الطيور بتحليقها في السماء فهذا لا يعني أنها قد تخلت عما في الأرض ، لطالما اغتُيرتِ الطيور رموزا للبشر سواء كانت جالبة للحظ السيء أو الموت أو كانت شيئا مقدسا وشعارا للنبالة ..

ظلت تنظر بهدوء..

_فليكن، قالت، بالنسبة لي فالطيور دلالة على المشاعر، ألم تكن الحمامة تنقل الرسائل بين العشاق؟ هذا ممكن برأيي.
_ما ترينه أنتِ ممكنا فهو كذلك، لا أحد يمكنه أن يُعارض كلامكِ يا جميلتي ..

ابتسمت هي في خجل، بينما أُلقت بثقل رأسها على كتفه.."
انتفض من مكانه فجأة وفتح عينيه..
راح يذهب ببصره يمنة ويسارا، يتذكر تفاصيل الحلم الجميل الذي كان يراه..

_اهدأ، إنه مجرد حلم وليس واقعا، قال محاولا مواساة نفسه.
_كلا، لم يكن حلما، لقد حدث هذا الموقف معي حقا، أنا أشعر بهذا.

_تلك الغابة ليست غابة راما، لكنني أعرفها جيدا، وتلك المرأة ليست أماريليس، اللعنة! إنها حتما نادين، ما خطبي مع هذه المرأة!
وما الذي تفعله داخل أحلامي باستمرار؟
نهض من مكانه وراح يسير داخل الغرفة..

_لا يعقل أن يكون ما أعيشه حقيقيا، أيعقل أنني جننت؟ أم أنني أعيش حياة أخرى لا أعرفها؟ ماذا لو كانت حياتي السابقة عبارة عن كابوس انتهى بمقتلي في قدر الشمس، هذا غير ممكن، إطلاقا! لا يمكن أن يكون هذا تفسير ما يحصل معي..

استقر أخيرا على حافة السرير، يفكر ويفكر..
_حتما هناك ما لا أعرفه حيال هذا الأمر، هذه الذكريات التي تأتيني لا تبدو وكأنها وهم، بل تبدو حقيقة، أشعر بهذا..

_كفاك سخريّة من نفسك، تعلم جيدا أن حقيقتك ليست في هذا العالم، قال لنفسه مجددا ..

_أخشى أنني بدأت أشك في هذا .

مرّ اليوم الموالي بطريقة عادية، والذي بعده كذلك، لا جديد يذكر، لم ترغب نادين في استدعاء فارس إلى عيادتها قبل أن تستجمع نفسها جيدا، لا ترى أن لها طاقة لمواجهة أو مواجهة تساؤلاته ، أما بالنسبة له ، فلم يرتح له بال ، منذ أن استيقظ وهو يفكر في ذات الأمر، حاول تمالك نفسه قدر المستطاع كي لا يهرب من جديد ليذهب إليها ، لا حاجة له لمعرفة السبب الكامن وراء رغبته في رؤيتها ، يكفيه فقط أن يراها ، كانت بالنسبة له طوقا للنجاة ، حتى وإن كان ذلك الطوق على وشك التمزق..

مساء اليوم الموالي..

_ سيد فارس، يمكنني الدخول؟

_ طبعاً، تفضل حضرة الطبيب.

_ أرى أنك منمك في استخدام الحاسوب، هل راق لك؟

_ أحاول أن أواكب العصر هنا، قال مبتسماً.

_ إذن ، هل بدأت تتأقلم مع المكان ؟

_ لا أعلم، لا تزال هناك الكثير من علامات الاستفهام في رأسي ،

التأقلم مع المكان شيء و الرضا بالواقع المفروض شيء آخر..

_ ألا تزال تفكر في العالم الذي جئت منه؟

_ هذا صحيح، حتى وإن لم أرد ذلك فهو مفروض علي..

_ من الطبيعي أن تفكر هكذا، كما أخبرتك سابقاً، تحتاج فقط إلى

الوقت ، هو مفتاح كل شيء.

_ الوقت ، أجل، بالمناسبة، كم الساعة الآن؟

_ إنها التاسعة إلا ربعاً.

_ ظل يحدق في الأرض لثوان، كأنه يفكر في شيء ما..

_ لماذا تسأل؟

_ لا شيء ، اعتدت على وجود الشمس هذا الوقت في بلدتي، غروبها

المبكر هنا يشعرني بالغرابة ..

_ من الجيد أنها تغرب مبكراً، لا أعتقد أننا قد نتحمل أشعة

الشمس حتى اقتراب منتصف الليل كما اعتدتم في بلدتكم .

_ إن أشعة الشمس في هذا الوقت لدينا ليست كتلك الخاصة
بالصباح ، إنها تصبح أقل إضاءة ويتغير لونها إلى البني الفاتح نوعا ما ،
إنه جو شاعري جدا .

_ هل تعلم أنني بت أتشوق لرؤية هذه المدينة التي نتحدث عنها
باستمرار؟ قال الطبيب . مع إنه يعلم أنها من وحي خياله ، إلا أنه بدأ
يستمتع بالحديث عن مكان لا يوجد إلا في عقل شخص فاقد للذاكرة
لا يتذكر غيرها .

_ أتمنى أن أعود إليها مجددا ، من يدري ، ربما تأتي معي لتكتشفها
بنفسك.

_ إن شاء الله ، هل تريد شيئا قبل مغادرتي؟

_ كلا ، شكرا لك.

هم الطبيب بالخروج لكنه استوقفه..

_ أعتقد أنني أشعر بالعطش ، هل لي بقارورة عصير؟ أو ربما اثنتين؟

في أحد المنازل في العاصمة لندن ، الساعة قاربت العاشرة مساء..
بعد يوم عمل مرهق ، قررت نادين أن تأخذ حماما دافئا قبل
النوم ، أحيانا ، فحتى الطبيب النفسي قد يعاني من مشاكل نفسية
.. فإن كان هو المواسي لجميع المرضى فمن قد يواسيه..

ارتدت ملابس مريحة للنوم ، واختارت ألا تجفف شعرها، لا
طاقة لديها لذلك، ارتمت في فراشها وفتحت أحد الكتب لتقرأه: إحدى
الروايات البوليسية للكاتبة أجاثا كريستي بعنوان " جثة في المكتبة "
.. الجو مناسب تماما لبعض الهلع..

سمعت صوت ارتطام شيء بالنافذة ، لا بد أنهم أطفال ..لكن أي
والدين سيسمحان لطفل أن يبقى في الخارج إلى هذا الوقت..
لم تعره اهتماما ، ربما كان ذلك فقط بسبب انغماسي في رواية
كهنه ، وواصلت قراءة كتابها..

الصوت مجددا، ومجددا.

_لا يعقل أن يكون هذا سبب رعي من مجرد رواية!

نهضت مسرعة لترى ما الأمر ، ولم تستطع تصديق ما تراه :

_ماذا ؟ هذا لا يعقل، أنت مجددا!

_ذات الشعر البني ! أخيرا ظَهَرَتْ !

_ما الذي تفعله هنا في هذه الساعة ؟

_باب المبنى مغلق، لم أستطع الصعود ، هل بإمكانك النزول إلي ؟

مندهشة لا تجد ما تقول ، نظرت إليه وهو يقف كالأبله تحت

منزلها ، حاملا بيديه قاروتي عصير من حجم صغير، إن لم تنزل إليه

الآن فحتما سيوقظ كل الجيران بصوته العالي ..

وبعد أن نزلت..

_هل اعتدت على المجيء إلى هنا دون إخباري؟

_أعتذر إن كنت قد أزعجتك.

_أيها المجنون ! ألم تجد طريقة غير رمي الحجارة على نافذتي كي

تتكلم معي؟

_لم أستطع الانتظار حتى الصباح ، أتحيين عصير الفراولة؟

كبحت داخلها ضحكة عفوية، يا لسخافة ما يسألها إياه وأمسكت

بالقارورة ..

_تعالى ، لنجلس هناك ..قال

أخذت تتبعه دون وعي داخل ملابس النوم ..

_إذن ، ما الأمر الذي لا يستطيع الانتظار حتى الغد؟ سألت

_هل تتهربين مني ؟

تدفقت دماء ساخنة إلى وجهها..

_ما الذي تقصده بأن أتهرب منك ؟ بالطبع لا.

_ولكننا في المرة الأولى التي تقابلنا فيها انصرفت فجأة وبدون سابق

إنذار، والمرة السابقة كنت تراوغين في الكلام ، واليوم ، قررت تأجيل

موعدنا إلى الأسبوع القادم..

_أنت تتوهم فحسب ، أنا..

_هل أذكرك بشخص ما؟

كان سؤاله صاعقة بالنسبة إليها..

" أنتَ تذكّرني بزوجي الخائن الذي هو في الحقيقة أنتُ ! " قالت في

نفسها..

_ لا ، الأمر ليس كذلك، كل ما في الأمر أنني كنت مشغولة اليوم
أنت تتخيل هذا ، ألم تستيقظ حديثا ؟ مؤكداً أنه سبب هذا..
_ نادين ، صحيح أنني لا أتذكر شيئاً ، كما أنني لا أعرف أحداً هنا
أنا مجرد أب له في عالم يراه لأول مرة ، لكنني لست مغفلاً ، أعلم أنك
تخفين أمراً ما ، هلا أخبرتي من فضلك ؟
ظلت تحديق به في صمت ، كالعادة، خانتها الكلمات واختفت
الحروف المناسبة ، كانت على وشك البوح بكل شيء له ، يكفي أن
تزيل هذا العبء عن كتفها..

_ فارس أنا..

ظل ينتظر الإجابة بشغف..

_ أنتِ ماذا ؟

يتبادلان النظرات دون كلام..

_ نادين ، أخبريني أنتِ ماذا ؟

وكأنها استفاقت من تأثيره فجأة، وتراجعت في الثانية الأخيرة ..

_ علي العودة إلى المنزل فوراً، عمت مساء !

_ دائماً ما تختارين الصمت والمراوغة، لماذا؟

اكتفت بإنزال رأسها دون إضافة كلمة، ونهضت مسرعة متجهة
إلى باب المبنى، ظل يراقبها وهي تبتعد ، حينها قررت غريزته الجلوس
خلف مقود القيادة أين جاءها صوته من الخلف :

_ نادين ! بأعلى صوته ..

توقفت، التفتت لتراه قادماً إليها دون أن يدري ما الذي يفعله
ودون أن يقول حرفاً واحداً..

توقف الزمن فجأة ، وكأن الجميع اختفى من على وجه الأرض ، باستثناءهما، تلك اللحظة كانت لهما وحدهما، ملكا لهما ، لشفتيهما اللتين قررتا الالتقاء أخيرا بعد شهور من الفراق، كان يتصرف وفقا لما يمليه عليه تفكيره فحسب ، أما هي، فأطلقت العنان لقلبها لكي يكون سيد الموقف هذه المرة ولو لمدة قصيرة، ثوان كانت تساوي شهورا من الفراق ..

_ نادين ، أنتِ حقيقيتي الوحيدة في هذا العالم الكاذب !
ابتسمت دون وعي ، لأول مرة منذ زمن طويل تجرب هذا الإحساس ، لأول مرة تتأكد من أن فارس لم يعد ذكرى أليمة وإنما واقعا عليها أن تعتاد عليه بعد الآن..

سحبت نفسها من بين أنفاسه بصعوبة ، عائدة إلى منزلها والسعادة تمطر من كل اتجاه، بينما ظل هو ينظر إليها وهي تسير مبتعدة ، توقفت فجأة والتفتت مجددا بشجاعة :

_ بالمناسبة ، أنا لا أحب عصير الفراولة ، لدي حساسية منها ، تعلم ذلك جيدا ، ثم اختفت في لمح البصر.

ظل شاردا يحرق في المكان الذي كانت تقف عنده..

_ "تعلم ذلك " هل تراني أعلم حقا؟

انتهت تلك الليلة أخيرا ، غادر كل منهما لكن تفكير كليهما ظل يحوم حول نفس الشيء " الإحساس القوي الذي بينهما " ، لا شيء يمنعه من الرغبة في فك لغز هذه المرأة التي تجذبه إليها بهذا الشكل، شعر بتأنيب الضمير لأنه قتل تلك الثقة التي كانت أماريليس تضعها به فبينما كان يلومها على خيانتها الوهمية له ، قام هو بخيانتها حقا لكنه

لا ينكر أنه حتى وهو خائن أنه سعيد بما أقدم على فعله ، حتى تلك اللحظة لا يستطيع أن يعلم من أين اكتسب الشجاعة ليقبّل امرأة لا يعرف عنها سوى اسمها فجأة ، ليلا وفي الشارع !

في صباح اليوم الموالي علم أنه لا موعد له اليوم مع نادين ، فكما أخبره الطبيب فنادين في صباح كل يوم سبت تذهب إلى أحد الميامم لتزور الأطفال هناك ، فهي تحبهم وتحاول مساعدتهم قدر الإمكان كما أنهم لا يستطيعون إمضاء ذلك اليوم دون معانقتها وإمضاء نصف اليوم معها..

_ حسنا، وماذا تفعله في الفترة المسائية؟

_ في الحقيقة ، لا أحد يعلم هذا، هي لا تلتقي بأحد كما أنها لا تمشيها في المنزل .. ما تفعله مجهول..

_ربما تزور أحد أقاربها أو أصدقائها .

_ لا أرجح هذا، فلا عائلة لها في هذه المدينة، وعلى حد علمي فلا أصدقاء مقربين لها إلا ذلك الثنائي العجوز ..

_ أعتذر على التدخل ، أرى أنك تعرف الكثير عن نادين، هل تربطك

بها علاقة خارج العمل ؟

_أوه لا ، أنا ونادين أصدقاء عمل ، نادين عملت في هذه المشفى لثلاث سنوات تقريبا ، قبل أن تفتح عيادتها الخاصة ، ومن وقتها نحن على تواصل..

_هل تعرف إذن لم هي وحيدة ؟ أليست متزوجة أو ما شابه؟

لم يعرف الطبيب بما يجيبه ، فليس من صلاحيته إطلاعها على أمر كهذا، وبينما فارس ينتظر الإجابة في ترقب ، يدق باب الغرفة لتعلم

الممرضة الطبيب أن أحد المرضى يرغب في رؤيته ، بدأ الارتياح على ملامح الطبيب ، لقد أنقذته من الموقف حقا..

ظل في الغرفة وحيدا يفكر في كل شيء ، بينما علق في ذهنه أمر ما " ترى ما الذي تفعله نادين هذا المساء دون علم أحدهم ؟ "

في حوار بالإنجليزية، في أحد المياتم..

_ خالتي نادين، هل من المؤكد أنك ستكونين هنا السبت المقبل؟

_ طبعا صغيري ، هذا أكيد.

_ نحن سنقوم بحفلة عيد ميلاد لماكس ، هل تستطيعين القدوم

مبكرا لتساعدينا في التحضيرات ؟

ابتسمت بكل عفوية..

_ دعني أفكر، هل ستعطونني أكبر قطعة من الكعكة؟

_ أجل بالتأكيد ! صرخ ببراءة.

_ سوف آتي مبكرا إذا !

مرحى . قال الطفل ، ثم انصرف للعب.

_ الأطفال أصبحوا متعلقين بك كثيرا يا نادين ، قالت مديرة الميتم.

_ أنا أيضا يا أماندا ، أشعر بالسعادة وأنا هنا.

_ الكثير من المتبرعين يأتون إلى هنا أسبوعيا ، لكنهم يفضلونك أنت

كما كانوا يحبون السيد فارس أيضا..

شعرت بالحزن فجأة ، تذكرت أنه دائما ما كان يرافقها إلى هناك

ثم قالت مغيرة الموضوع:

_ كيف هو حال أليسيا الصغيرة ؟

_ على حالها، لا تتكلم مع أحد، أعتقد أن رهاها الاجتماعي لن يتركها بهذه السهولة .

_ من الواضح أنها لم تستطع التأقلم مع المكان بعد، لم يمر سوى شهر على وجودها هنا.

_ أرجو أن يتغير الوضع حتى السبت المقبل ، الأطفال متحمسون جدا لعيد ميلاد ماكس .

_ أنا أرى هذا يا أماندا ، هذا جيد من الناحية النفسية لهم. نظرت إلى ساعتها فجأة..

_ أخشى أنني قد تأخرت، على الذهاب الآن ، لقد أحضرت ملابس جديدة للأطفال وتركتها في قسم التقسيم، أعتقد أنها تفي للجميع أخبري ماكس والبقية أنني سأعود السبت المقبل وأحضر هدايا للجميع ، اتفقنا ؟

ثم غادرت المكان مسرعة.. عليها الذهاب إلى المكان الذي تزوره كل مساء سبت ، والذي لا تخبر أحدا عنه..

وصلت بعد نصف ساعة إلى وجهتها المعتادة ، الكثير من الهدوء في هذا المكان ، قد تجد شخصا أو اثنين على أكثر تقدير، كانت تلك مقبرة، وكان ذلك هو المكان الذي كانت تزوره لمدة سنتين..

توقفت عند أحد القبور، معلومات المتوفي دونت على شهادة

القبر "الاسم : ملك ناير، من 2015/04/18 إلى 2018 /11 /23 "

جلست بجانبه ووضعت ورودا بيضاء فوقه ، وراحت تتحدث:

_صغيرتي الغالية، أعلم أنني لم أزرِكِ الأسبوع الفارط، لدي

أسبابي، وإن كنتِ تقبلين الأعذار، فأنا آسفة ، لدي خبر سعيد لكِ

أبوكِ قد استيقظ ! أعلم أنكِ كنتِ ستكونين سعيدة جدا لو كنتِ هنا، لقد عانيتُ كثيرا لفقدانكِ يا صغيرتي، ولم أستطع أن أقوى على فقدان والدكِ بعدكِ، الحمد لله فهو على قيد الحياة، ملك .. يا حبيبة أمكِ ، كم أتمنى لو كنتِ هنا لتكتملي سعادتي بكِ، كم أتمنى أن أضمكِ إليّ لأشعر بأناملكِ الصغيرة، وبقلبكِ ينبض، و ببراءتكِ اللطيفة .. أفتقدكِ جدا يا حبيبتي.. ربما لم أخبركِ بهذا من قبل لكنني على الرغم من أنني وفارس قد قمنا بتبنيكِ، لكنني دائما ما شعرتُ أنني أنا من أنجبكِ، عندما أردنا تغيير اسمكِ إلى اسم عربي، كنتِ مصرة على اسم شمس، لكن والدكِ كان أكثر إصرارا على اسم ملك وقد كان محقا في ذلك، أنتِ ملاك، كنتِ قطعة مني، وستبقى دائما كذلك ، لقد زرت الميتم اليوم أيضا ، أنا أقوم بكل ما أستطيع فعله لأسعد الأطفال هناك كما وعدتكِ بالضبط ، كما أعدكِ أن تتحسن الأمور عن قريب، والدكِ يتعافى بشكل تدريجي، على الرغم من أنه لا يتذكرنا لكنه بدأ يستعيد بعض الأمور، ستكونين بخير في الأعلى، وسأحرسكِ ووالدكِ بدُعاءنا .. اتفقنا ؟، علي الذهاب الآن فكريستينا متوعكة قليلا، لكنني سأعود الأسبوع المقبل لأراكِ مجددا أعدكِ بهذا هذه المرة ، استودعتك الله الذي لا تضيع ودائعه يا طفلي، أحبكِ ..

وضعت قبلة باردة على القبر ثم غادرت حزينة ، كما تغادر كل مرة تأتي فيها لزيارة ابنتها الصغيرة بالتبني التي توفيت إثر مرض كانت تعاني منه، على الرغم من قدرتها على الإنجاب ، إلا أنها قررت ألا تنجب وأن تربي طفلا يتيما بدلا من ذلك، لكن الصغيرة صمدت بالكاد لتغادر العالم بعد ثلاث سنوات من ولادتها..

مرّ المساء خلاف هذا بهدوء، انشغل فارس كعادته بتصفح الأنترنت و"التعرف على الحضارة" كما يسميها هو، وأحرز تقدما حين تعلم إرسال رسالة إلكترونية ، رغم بساطة الأمر إلا أنه يعتبره إنجازا كانت تأتية بين الحين والآخر ذكرياته في قدر الشمس، شعر أنه يحن إلى تلك الحياة وبشدة ، فعلى الرغم من أنه بدأ يعتاد على هذه الحياة وعلى فكرة كونه فارس نادر، المريض الذي كان في غيبوبة ، إلا أنه لا يتحمل فكرة تقبّل الواقع المفروض..

تلقت نادين ذلك المساء مكالمة فيديو من عائلتها في الجزائر يطمنون عل حالها وعلى حال زوجها ، طبعا ، لم تخبر أحدا أنه استعاد وعيه لكنه لا يتذكرها ، فكرة أن يشفق عليها أحدهم تجرح غرورها وبشدة..

_يوم آخر طويل كاد ألا ينتهي.. قالت لنفسها.

_أتمنى أن ينتهي هذا الكابوس عن قريب ، أضافت .. ثم أغمضت عينها وهي تتذكر ما اقترحته عليها والدتها " تستطيعين العودة إلى أرض الوطن، تعلمين أن لكِ مكانا بيننا دائما"

_كفاكِ سخريّة، حياتكِ وعملكِ هنا، وفارس كذلك ، قالت .

_يمكن أن يكون ذهابي من هنا حلا لكلينا، ربما سيكون أفضل من دوني ..كلا ، الطبيب قال أن استعادته لذاكرته مرتبطة بي ..تبا ! أشعر أنني لست بخير..تواصل الحديث مع نفسها ..

_حتى وإن غادرتُ، سيتوجب عليّ تحمل هالة وأسماء من جديد ولا طاقة لي بذلك، أضافت، متذكّرة أختها المتعجرفتين اللتين طالما شعرتا بالغيرة من نادين.

_أنا لا أعرف إن كان استمرار الوضع مع فارس بهذه الطريقة شيئاً صحيحاً، علاوة على ذلك فأنا لم أنس ما فعله بي من قبل.. لكن برأيي هذا هو الأصح ، تعلمين أنكِ لا تستطيعين العيش بدونه ، مهما أملك سابقاً ..

مهلاً ! هل أصبحت أتكلم لوحدي؟ أعتقد أنني جننت.. أظن أن الأطباء النفسانيين بدورهم علمهم أحياناً استشارة طبيب نفسي.

إلى أماريليس..

"إلى زوجتي وامرأة أحلامي ، إلى من لامست بعنفوانها أوتار قلبي، إلى تلك التي ابتعدت عني ولا تزال قريبة مني ، إلى تلك التي تقبع الآن في عالم آخر غير هذه العالم ، إلى تلك التي حتى وإن سافرتُ إلى دنيا أخرى فأنا لا أزال أحمل بقاياها داخلي ، ربما سأستيقظ لك مجددا يوما ما..

إليك يا حسناء الأساطير..

أنا لا أعلم كم من الوقت مضى منذ آخر لقاء بيننا ، كما أنني حتى الآن لا أعلم حقيقة هذه الدوامة التي أنا داخلها ، أشعر وكأنني لست أنا، لا أعلم إن كنت قد سافرت بالزمن أم أن الزمن قد سافر بي، ولا أدرك بالضبط تفسير ما يحصل معي.. أن تعيش طوال حياتك أمرا ثم تنقطع عليه فجأة ليس بالشيء الهين أن تعتاد عليه ، أترف بهذا ، لن أظاهر بالقوة أبدا، أنا لست ذلك الأمير النولاني الذي لا يُهزَم بعد الآن، أنا فقط مجرد اسم تحت لائحة المرضى ، ربما قد جننت ، أجل .. أنا مجنون، وحيد، يائس، متعب من كل ما يحدث لكنني أشتاقك، أستطيع تذكر تلك اللحظات التي كانت أصابعي تداعب فيها خصلات شعرك، ونظراتك التي كانت تنسييني ما حولي ولحظات الحب التي جمعتنا، أحن إلى هذا ، لن أنكر، لقد كنت امرأة طاغية بأنوثتك، جرئتِك، وشخصيتك الاستثنائية .. لكنني ببساطة أصبحت شخصا آخر، لا أعلم إن كنت لا أزال أحبك كما اعتدت أن أفعل أم لا ، حقا لا أعلم، لقد كنت بالنسبة لي صعبة المنال، وكنت أعشق الصعب، لكنني لم أعد ذلك الإنسان الذي غادر قدر الشمس

بعد أن عشت هنا تعلمت أن هناك الكثير من الأمور التي لم نكن نعلم بوجودها في بلدتنا، الحضارة التي تتواجد هنا لم يسبق لها مثيل ! كل شيء يحدث بسرعة كبيرة ، وأنا أشك في معرفتي لطريق العودة إليكم يوما ما ، تعرفت على شبيبتك هنا، اسمها نادين، وهي آية في الجمال ، تماما كما كنت أنتِ، لا أدري ما الشيء الذي يجذبني إلى تلك المرأة ، وهو حتما ليس الشبه الذي بينكما ، أشعر كلما أراها أن الرياح تدفعني إلى حضنها تلقائيا، ولا أدرك ما السبب ، أعلم أنك لن تقرئي هذا حتى، لكنها الوسيلة الوحيدة التي تقلل من إحساسي بتأنيب الضمير حيال ما يحصل.. اعذريني بعد الآن، فلا ذنب لي فيما أصبحته.."

وضع قلمه أخيرا، كم شعر بالراحة بعد كتابته لهذه السطور لقد اعترف لنفسه أنه أصبح يشك في حبه لأماريليس، لكنه حتى وهو في هذه الحالة فنفسه لا تسمح له إلا بأن يتغزل بها ، هو لا يعلم حتى ما إن كانت هي التي يقصدها بكلماته أم هي امرأة أخرى..
_كيف يمكن لشخصين مختلفين أن يكون الشبه بينهما طبيعيا إلى هذه الدرجة ؟ قال بقلة حيلة..

بعد مدة..

جلست نادين ذلك الصباح مع سايمون وكريستينا تتناول فطور الصباح، حينها أخبرتهما أنها سئمت من لعبة الاختباء والبحث هذه مع فارس، وأنها ستخبره بكل شيء..

_إذن ، هل قرارك نهائي ؟

_أجل، أنا أفكر منذ يومين، هذا أفضل لكلينا يا كريس، لا أستطيع التحمل أكثر من هذا..

_حسنا، فعلى أية حال فهو سيعلم الحقيقة عاجلا أم آجلا..

_هذا الأمر سينتهي اليوم ، سأخبره بكل شيء ، عما حدث له بعد الغيبوبة وعن ماضينا قبل الحادث ، وبالحديث عن هذا أعتقد أنني قررت إعطاء نفسي فرصة أخرى مع فارس ، يعني إذا أراد هو ذلك .. لقد سامحته عما حصل سابقا..

_أوه ! هذا خبر رائع عزيزتي ، لقد اتخذت القرار الصواب ، فارس لم يحب أنثى غيرك ولن يفعل ذلك، لو لم يكن لييلتها تحت تأثير المشروب بعد أن تشاجرتما فهو لم يكن ليحزنك أبدا!

_كريستينا على حق يا نادين، قال سايمون، لا يمكنك أن تَمجي كل ما كان بينكما لمجرد أنه أخطأ مرة واحدة.

_هذا ما سأفعله حاليا، سأتناسى كل شيء ، رغم أن ذلك لن يكون سهلا، ناهيك عن إمكانية رفضه لي ، ربما لن يتقبلني بهذه البساطة _ثقي بأنه سيتذكرك يا نادين ، أنا متأكدة من هذا .

_أتمنى ذلك..

طلب الطبيب من فارس ذلك الصباح تفقد بريده الإلكتروني الذي تعلم استخدامه بشكل جيد ، تعجب من الطلب في بداية الأمر لكن الطبيب طمأنه..

_ لا تتعجب، إنه شيء جيد حتما .

فتح بريده الإلكتروني بخفة فوجد رسالة من نادين، كانت الأولى والوحيدة ، اعتلته السعادة فجأة وفتحها بسرعة:

"حصتك العلاجية اليوم لن تكون صباحا ، سأرسل لك المساء عنوانا وسائق أجرة ليحضرك إلى المكان ، كن مستعدا الساعة الثامنة "

_هل الوضع جدي ؟ هل علي القلق ؟ رد عليها.

_ستعرف كل شيء هذا المساء ، كل الأجوبة للأسئلة التي في رأسك

_إذن ، هل نحن على موعد ، أليس غريبا أن تتقدمي أنتِ بدعوتي؟ ربما كان علي أنا القيام بذلك .

_حسنا ، حين تعتاد على هذه المدينة، بإمكانك رد هذه الدعوة.

_أنتِ محقة، شكرا لتذكيري بأني كالأعمى في بلاد الألوان ، ألن

تخبريني عما سنتحدث؟

_لا تستطيع الصبر، دائما ما كنت هكذا .

_ "دائما ما كنت هكذا "؟ ما الذي تقصدينه؟

_ لا شيء ، هذا المساء، كن جاهزا .

وضع الحاسوب جانبا ، واعتدل في جلسته يفكر..

"ما الأمر الذي لا تريد الحديث فيه قبل المساء ؟ " قال.

ظل كلاهما ينتظر حلول المساء بفارغ الصبر، بالنسبة لها فقط

اختارت البدلة التي دائما ما كانت تفضلها على فارس، وقبل الموعد

بساعتين قررت أخذها للمشفى وإعطائها لأحد الحراس ليوصلها إليه تريد أن يكون كل شيء مثاليا ، لا تزال لا تصدق أنها حقا على موعد مع زوجها الذي فارقها لمدة طويلة ، حين وصلت إلى المشفى لم تجد الحراس ، نظرت إلى الساعة فتيقنت من أنه وقت الاستراحة ، في تلك الحال عازمت أن تأخذها إليه بنفسها ، هي اليوم سعيدة ولا شيء سيعكر صفو مزاجها..

بعد أن وصلت إلى الغرفة دقت الباب ثم دلفت تحمل البدلة والحذاء الأنيق ، لا أحد في الغرفة . " ترى أين هو " قالت ، دقت باب الحمام ولم تتلق جوابا..
_ربما يستنشق الهواء خارجا.

اقتربت من السيرير مبتسمة ووضعت الأغراض عليه ، وإذا بها تلمح ورقة مطوية ظهر جزء منها أسفل الوسادة ، اعتلاها الفضول لتفتحها وترى محتواها..

_فليكن ، إنه زوجي على أية حال، وأخذت تقرأ محتواها..
كانت تلك هي الرسالة الخيالية التي كتبها فارس إلى أماريليس، والتي بعد أن كتبها دسّها تحت الوسادة، قرأت نادين منها ما يكفّيها لتتأكد أنه لم يعد يحبها بعد الآن، لو أكملت قراءتها كاملة لكان لها رأي آخر لكنها لم تتحمل مغازلته لأنثى أخرى فتوقفت عن القراءة والدموع تنهمر كالشلال من عينيها..

_إنه لا يحبني، إنه لا يحبني بعد الآن ..
مزيج غريب جمع بين الحزن والشفقة أصابها حزن على ما يحصل، وأسى على نفسها لأنها "فقدت حب زوجها لها بسبب امرأة خيالية لا

وجود لها في الواقع"، أي شيء هو أسمى من هذا، بعد أن استجمعت شجاعة العالم كلها لتخبره عما تكون بالنسبة إليه، متناسية بسبب ذلك كل الآمها، انهارت أحلامها في لحظة ..

مسحت دموعها بيأس، وضعت الورقة مكانها وغادرت مسرعة بعد أن تأكدت أنه لم يعد لها مكان في حياته ابتداء من تلك اللحظة.. بعد عشر دقائق عاد فارس إلى غرفته ، فكما ظنت نادين فقد أخذته الممرضة ياسمين إلى سطح المشفى ليستنشق الهواء ، وينسى قليلا ألم رأسه الذي يزعجه من الحين إلى الآخر، وحين دخل تفاجأ بالبدلة والحذاء ، فأخبرته إحدى العاملات أنها رأت امرأة قد دخلت ووضعهم بنفسها ، ابتسم لأنه عرف من هي ، ومن غيرها .. أخذ حماما سريعا وارتدى الملابس وجلس عند النافذة ينتظر السائق، كان يقاوم وبشدة ذلك الألم الذي يصيبه، لا شيء سيعكر صفو هذه الأمسية الهادئة ، فقد حضر الكثير من الكلام الذي سيقوله لنادين ، فهو يرغب في أن تساعد ، وإن استطاع العودة إلى قدر الشمس، فسيقترح عليها أن تترك كل شيء خلفها وتسافر معه ، كان عازما على إيجاد أماريليس وشرح الوضع لها ، وأن هناك من يشعر بالانجذاب إليها غيرها ، وكانت تلك نادين، التي لم يمض إلا شهر منذ مقابلتها ، هل تراها ستقبل أن تكون معه ، أن تترك حياتها وعملها وعالمها المتقدم لتأتي معه إلى بلدة يعتقد الجميع أنها خيالية ، كان يتمنى أن ترافقه في كل هذا حقا ، لكنه لا يعلم ماذا ستكون إجابتها..

اشتد ألم رأسه في حدود الثامنة إلا ربعاً، طلب من الطبيب إمداده بالمسكنات لأنه أصبح لا يطاق ، ظهرت على وجهه معالم الإرهاق وانتابته الرغبة في التقيؤ، لكنه كان يقاوم كل هذا، أخذ يحوم في الغرفة جيئةً وذهاباً، في تلك الأحيان فقط لمح تلك الرسالة التي كتبها ، تذكر أنه وضعها مطوية ، وهي الآن في مكانها ..لكنها مفتوحة !
_أيعقل أن أحدهم قد قرأها في السر؟ فكر في أن أحداً لم يزره هذا اليوم، باستثناء..

_اللعنة! إنها بالتأكيد نادين، هي من قرأتها. يا إلهي ما الذي فعلته؟ صرخ في غضب .

دخلت ياسمين الغرفة في تلك اللحظة..

_سيد فارس ، يؤسفني أن أخبرك أن السيدة نادين تعتذر عن موعدها معك هذا المساء، هي لا تستطيع المجيء، كما أنك اعتباراً من الغد ستواصل جلساتك العلاجية مع طبيب نفسي آخر.
_لا، هذا لا يمكن، يجب أن أتحدث معها في أقرب وقت ..
_أسفة سيد فارس، ليست لدي أية معلومات أخرى..
_انتظري لحظة .

ركض إلى الحاسوب وفتح بريده الإلكتروني، وحين أراد محادثتها علم أنها قد حضرته ، إنها تخرجه من حياتها وبشكل نهائي .
_اسمعي أيتها المريضة ، أنا.. أنا..

اشتد ألم رأسه مرة أخرى ، لكنه كان أقوى من أي مرة، وقع على الأرض من فرط الألم وأخذ يمسك برأسه بين يديه وسط ركض

الممرضة لإحضار الطبيب ، تراءت أمام عينيه نفس تلك الخيالات مرة أخرى ، لكنها هذه المرة أوضح..

لقد كان يرى نادين بشحمها ولحمها ، لقد كان يرى ذلك اليوم الذي حدث فيه كل شيء ، رأى نادين والتي كانت تهمه بالخيانة وتحزم حقائبها مغادرة المنزل ، كان يحاول تهدئتها لكنها لم تكن تريد سماعه تذكر كيف أنه لحقها بسيارته ثم ضاعف السرعة ليتقدم عن سيارتها ويجبرها على التوقف، لكنه لم ينتبه إلى تلك الشاحنة التي ظهرت من الظلام لتخرجه خارج الطريق وتنقلب السيارة لينجو منها بعد ذلك بمعجزة..

استعاد وعيه بعد ذلك كعادته وكأن شيئاً لم يكن، نهض فجأة وراح يتحسس أجزاء جسده ، ثم نظر إلى ما حوله وكأنه يراه لأول مرة منذ مدة ، سارع لينظر إلى المرأة ، وكأنه لم ير نفسه منذ زمن طويل بدأ فجأة يستعيد تفاصيل ما حدث معه منذ اليوم الذي استيقظ فيه من الغيبوبة، ثم تذكر نادين التي لا تزال تعتقد أنه وقع في حب أماريليس:

_ نادين، لا يمكنكِ فعل هذا بي مرتين.. ثم انطلق من مكانه بسرعة البرق .

بالنسبة لها فقد كانت في منزلها ، توظب حقائقها وتحزم أمتعتها ،
لا تزال الدموع تهمر على خديها..

_ نادين ، أنتِ تتسرعين يا صغيرتي ، هلا فكرت في هذا مرة أخرى
من فضلكِ؟

_ لقد انتهى كل شيء يا كريس ، زواجي من فارس انتهى، حبه لي
انتهى، كل شيء قد انتهى ..

_ تعلمين أنه مريض، ألم تقرري هذا الصباح أنكِ ستخبرينه بكل
شيء وستكونين معه رغما عن كل شيء؟ كيف تستطيعين تركه وهو
في هذه الحالة؟

_ هذا لن يجدي نفعا ، لن يغير من حقيقة أنه لم يعد يشعربشيء
تجاهي، اعتقدت أنه من الأفضل أن أعطي زواجنا فرصة أخرى ، لكن
هذا لن يفيد في شيء، لا يرى مني سوى شبح لامرأة أخرى رسمها عقله
الباطن ، حتى لو كانت تلك التي تسمى أماريليس امرأة خيالية لا يراها
غيره ، هذا لا يغير شيئاً من حقيقة أنه لم يعد يرى مني سوى شبيهة
لها، إنه أفضل من دوني ..

_ولكن..

_كريستينا ، أنتِ أكثر من يفهمني ، أُمي محقة ، مكاني ليس هنا من
دون فارس ، بلغني سايمون سلامي واعتذارني لأنني لم أستطع توديعه
، أنتم الوحيدون الذين سأشتاق لهم بذهابي ، ثم .. أريد منك أن تمرى
على الميتم صباح الغد ، أعلمهم أنني لن أستطيع زيارتهم بعد الآن
لكن تبرعاتي سوف تصل لهم كما هي العادة ، أخبري الأطفال انني

أحبهم وأني سأتكلم معهم مكاملة فيديو من الحين إلى الآخر، وربما قد
أزورهم أيضا، أهذا ممكن؟

ثم عانقتها مطولا ..

_ سأفعل بالتأكيد، أتمنى أن تجدي السعادة أينما كنتِ يا صغيرتي

نحن نحبكِ ، لا تنسي هذا، اتفقنا؟

أومأت لها إيجابا ودموعها لم تتوقف، فأكملت كريستينا:

_ إذن، هذه لحظة فراق لندن أليس كذلك؟

_ ليس بعد، علي أن أفعل شيئا للمرة الأخيرة..

كانت وجهتها معروفة، بل وأنها كانت على رغم ألمها ترغب وبشدة

أن تكون هناك على الدوام، إنها تضع قطعة اقتلعها القدر منها في ذلك

المكان، قطعة لن يشفى جرحها أبدا..

_ هذه أنا يا صغيرتي، لا تخافي، جلست على حافة قبر ابنتها مجددا

وراحت تخاطبها وقلها يعتصر ألما.

_ لقد عادت أملك مرة أخرى، لم أستطع المغادرة دون توديعك حتى

وإن كان الوقت غير مناسب لهذا، فهو لا يهمني البتة، تذكرين ما

أخبرتكِ به منذ أيام ؟ تعلمين أن والدك قد استيقظ، وأنه لا يتذكر

شيئا من الماضي، لكن ما كان بيننا جعله يقترب مني يوما بعد آخر

اعتقدت أنه حتى وإن فقد ذاكرته، فإن قلبه لا يزال يتذكر كل شيء

فقررتُ إعطائه وإعطاء زواجنا فرصة أخيرة، لكنني كنتُ مخطئة

مشاعر والدك تجاهي انتهت وباتت من طي النسيان، لقد رسم في ذهنه

صورة لامرأة افتراضية وقرر أن يقع في حبها، وهذا ما لن أقوى على

مجاهته يا بنيتي، أعلم أنك لن تكوني سعيدة بهذا لكنني سأغادر

لندن، لقد أصبحت أشعر بالاختناق هنا وكأن المدينة بأكملها باتت لا تسعني، فبعد فقدانك، ثم فقدان والدك لم يعد يربطني بهذا المكان شيء، فأينما ذهبت لي ذكريات معكم، ولن أقدر على مواجهة تلك الذكريات بمفردي، لقد وعدتني كريستينا أنها ستزورك وسایمون من حين لآخر، كما أنني لن أنساك ما حييت، وإن اشتقت إليك، سأرسل لك دعائي عبر السماء، رحمك الله يا حبيبة قلبي، أرجو أن تصلك محبتي ودعائي..

_متأكد من أنها تشعر بكل ما تخبرينه بها، الله قادر على كل شيء.
سمعت الصوت من خلفها فشعرت بالذعر الشديد، تعرفت على نبرة صوته لكنها رغم ذلك شعرت بالخوف، فهي داخل مقبرة وفي الليل التفتت في توجس فلم تصدق ما كانت تراه أمامها، إنه يقف مقابلاً لها بشحمه ولحمه، وفي عينيه نفس النظرة التي اعتادت عليها منذ سنوات مضت.
_نادين..

_ما الذي تفعله هنا؟ هل تلاحقني؟
_كريستينا أخبرتني أنك هنا، علينا أن نتحدث..
_لم يعد هناك ما نتحدث به، المعذرة منك، قالت محاولة المغادرة، فأوقفها.
_بل ستسمعيني، أعلم أنك تنوين العودة للجزائر، لن أسمح لك بهذا.

_وكان الأمر في يدك، سبق وأن حجزت رحلة، لا تتعب نفسك، أفلتت نفسها من يده مغادرة.

_ نادين اسمعيني أرجوكِ، أنا.. أتذكر كل شيء..
توقفت مكانها غير مستوعبة لما يقول، فالتفتت دون أن تشعر..
_هل.. أنت..

_كما سمعتِ، لقد عادت لي ذاكرتي، لقد تذكرتُ كل شيء
ماضيًا، مشاكلنا الزوجية و.. ملك، أضاف مشيرًا إلى قبر ابنته..
_هذا لن يغير من حقيقة أنكِ قمت بخيانتني، لقد آلمتني وبشدة.
_لست أنكر هذا، لقد أسرفت في المشروب وسمحت لامرأة أخرى
بأن تقترب مني في تلك الحانة، لكنني لم أكن في وعيي، مشاكلنا
أخرجتني عن الطريق الصحيح، أدرك فظاعة ما قمت به، وأرجو من
الله المغفرة، لكن اسمعي لي أن أتلافى أخطائي.

_لستُ أدري إن كنت قادرة على هذا، ثم، ألم تقل أنكِ تحب امرأة
أخرى؟ أماريليس الأميرة الخرافية؟

_تعلمين أن تلك أوهام وأنني كنت تحت تأثير الغيبوبة، لا وجود
لأماريليس على أرض الواقع، لقد كنت أتخيل أحداثًا ليست بحقيقية.
_هذا لا يغير من حقيقة أنكِ شعرت بالحب مع غيري.

_نادين، أعلم أنكِ غاضبة مني كثيرًا ومستاءة بشدة ، أفهم ذلك
لقد أخطأتُ كثيرًا، وأسأت إليكِ بشكل لا يمكن غفرانه ، لكنني هنا
بعد الآن، اسمعي لي بأن أصحح ما بَدَرَ مني ، وأن أعترف منكِ آلاف
المرات ، ألا يرسلون الورد في الأفلام، كما ينامون تحت منازل من
يحبون، كما ينظمون المفاجآت أيضًا ، فقط ليعتذروا، أعطني فرصة
لأفعل لكِ كل هذا ، أعطني فرصة لأن آخذك في رحلة إلى المستحيل
إن أردتِ ، يكفي فقط ألا تذهبي الآن..

انهمرت دموعها مرة أخرى، لقد ذكرها بنفسه كم تأملت بسببه لقد فتح دون قصد أبوابا كانت تحاول إغلاقها منذ مدة ، لكنه لم يكن ليسمح لها بأن تهجره أبدا ، اقترب منها وواصل كلامه:

_ أنتِ حامل ، أعلم أنكِ كذلك ، لقد أخبرتني قبل الحادث بأنكِ سوف تجهضين الطفل ، لكنني أرى أنكِ قررت الاحتفاظ به، كان يجب علي أن أنتبه لهذا فبطنكِ ظاهرة بشكل واضح، لكنني أبله ولم أُعِر ذلك اهتماما، لقد كنتِ ذكية وحرصتِ على ارتداء ما لا يبرز حملك، أماريليس أيضا كانت كذلك ، لكنها أخفت حملها عن زوجها لأنها كانت تراه مذنبا ، أنتِ أيضا ترينني مذنبا ، لكنني لن أسمح لكِ بالذهاب بعد أن تذكرتُ كل شيء ، ما كانت ملك طفلتنا الصغيرة لتسمح بذلك لو كانت هنا ، لقد خسرتُ ابنتي مرة، ولن أسمح بأن أخسر طفلا لي مجددا ..أنا أعدك ، هنا وأمام جميع أمواتِ أنجلترا، بأنني سأسعدكِ حتى آخر رفق في أنفاسي ، سنكون أفضل عائلة ، يكفي فقط أن ننسى الماضي، وأن تبقي معي هنا، وإلى الأبد..

غلبتها ابتسامة عفوية بعد آخر جملة له، فركضت نحوه دون أن تشعر معانقة إياه وكأنها تحاول تعويض كل ما فاتها خلال فترة الغيبوبة، وسط شلال من الدموع..

_ هل يعني هذا أنكِ قد سامحتني؟

_ دعني أخمن ، ليس كذلك تحديدا لكن، لنقل أنني قررت إعطائكِ فرصة لتتلافى أخطاءك، ثم، من هي تلك الأميرة التي كنت تتحدث عنها طوال الوقت، أماريليس؟

_إنها شخصية في رواية لكاتبة جزائرية، كانت آخر ما قرأته قبل الحادث، كما أنني كنت أراها بصفاتك أنتِ، لم تكن تشبه شخصا غيرك، أما ريليس هي أنتِ، لقد كنتِ امرأتِي الخيالية طوال الوقت.
_سعيدة لأنها اختفت من حياتنا..

_أعدك ألا تندمي على هذا ، كما أنني، أتذكر جيدا أنك لا تحبين عصير الفراولة، ما رأيك ألا أُجِبُّه أيضا بعد اليوم؟
_لا أدري ، بإمكانك سؤال داميان ، طفلنا القادم .
_مهلا ! هل هو صبي؟

_أجل ، بالمناسبة.. تتذكر جيدا ما وعدتني أن نقوم به قبل الحادث
أليس كذلك؟

_أجل، ابتسم، ستكون أغرب مغامرة على الإطلاق ..

"بعض القصص لا تنتهي حتى وإن سافرتِ إلى قدر الشمس!"